

روايات عبر

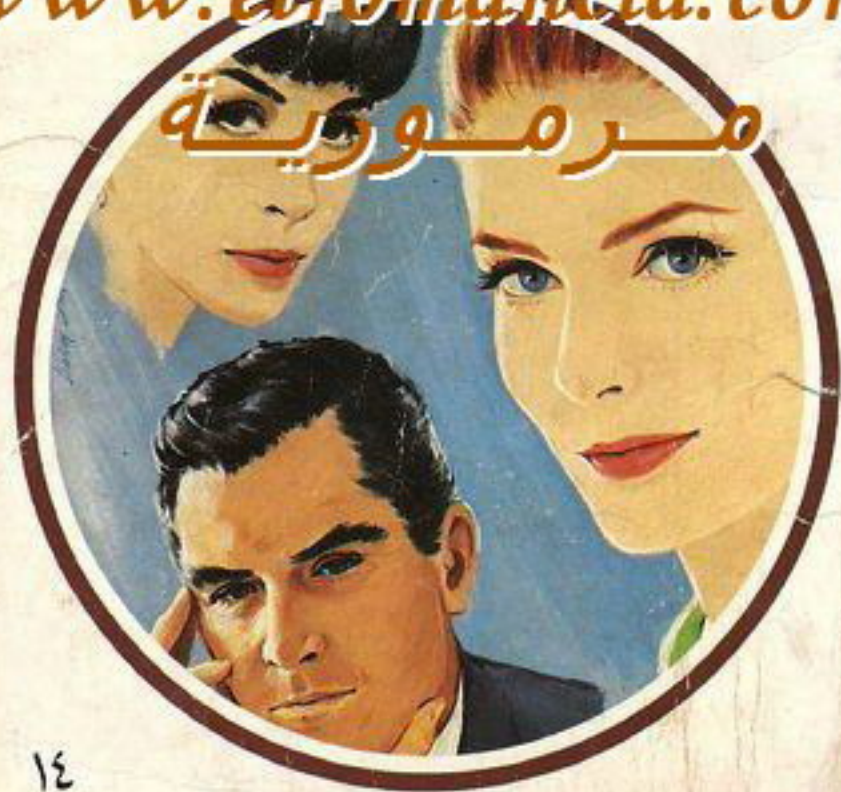


نيرينا هيليارد

الزواج الأبيض

www.elromancia.com

مرمورية



الزواج الابيض

شقيقتان ... الجميلة الموهوبة اعتادت منذ الطفولة أن تأخذ كل شيء يخص اختها حتى خطفت منها خطيبها ، فما كان من ليلي ديرمونت الا أن تنحّت مفسحة في المجال امام شقيقتها صاحبة السحر الذي لا يقاوم ، وقبلت عرضاً بزواج ابيض ... زواج خدعة هدفه حصول مديرتها الاسباني على ارث تركه جده مشروطاً ان يكون الوارث قد تزوج ، لكن الأمور تجري على غير ما تصوّره وبات الزواج الابيض يتلون بالوان اخرى .. تحت شمس المكسيك .. لكن ماذا تريد تلك الشقيقة المعروفة باسم «النجمة الداكنة» لأنها نجمة سينائية ذات مصير غامض ... وهل تستطيع ان تخطف من اختها زوجها الاسباني الوسيم ؟

السودان ٧٠٠ م	اليمن ٨ ر	الكويت ٧٠٠ ف	لبستان ١٦-١٠
UK £ 1	تونس ١ د	الامارات ٩ د	مشورية ٨-١٠
France F 10	ليبيا ٧٠٠ د	البحرين ٩٠٠ ف	الأردن ٥٠٠ ف
Greece Drs 120	المغرب ٨ د	قطر ٩ ر	العراق ٥٠٠ ف
Cyprus P 1	مصر ٧٠٠ م	عمان ٩٠٠ ب	السعودية ٨ ر

١ - أسرة ديرموت

أغلقت الباب بعنف كمن يتمنى أن يصفعه بشدة، ولكنه يحاول أن يكبح جماح نفسه. وابتسمت ليلى للفتاة الغاضبة التي ألقت بكومة من الأوراق على مكتبها وسألته بعطف: "يبدو عليك الاضطراب، فماذا يجري؟" أشارت الأنسة كيريفان بيأس، وكان شرح ما يزعجها بدقة أمر يفوق طاقتها وقالت:

"سأقول يوما لذلك الرجل رأيي فيه... وثقي أنني لن أكون مهذبة في ذلك!"

اختلجت شفتا ليلى ديرموت قليلا، وظهرت في عينيها الفانتازيتين الداكنتين ومضة انشراح. ولو أن احدا اطال النظر اليها لأعجب أيضا بلون بشرتها القرمزي الشاحب وبشرها المجدول في عناية، بعدما عقصته مثل اكليل حول رأسها الصغير. وكان مظهرها خادعا اذ تبدو هادئة ساكنة الاعصاب، لكنها كانت ذات مزاج حاد وكانت كيري كيريفان تعرفها معرفة جيدة ولا ترتاب اطلاقا في الصفات الكامنة تحت كمال بشرتها الشاحبة. وأدركت كذلك ان ليلى لم تأخذ كلامها على محمل الجد. وقالت وهي تجلس على ركن من المكتب:

"آه... لعله من الصعب أن اجد الجراءة... ربما يكون مديرتنا جذابا ولكنه ارهب مثال صادفته!"

فقال ليلى معلقة:

"مشكلتك أنك تسمحين له بأن يثير اعصابك".

وأعدت كلماتها اللهب الى العينين الخضراوين، فهتفت كيري:

"يثير اعصابي؟ كاد يهيج غضبي منذ لحظات، واصارحك بأنني لا أفهم كيف استطعت أن تلازميه ثلاث سنوات..."

وأجالت عينيها في محجريهما، وارذفت:

"لا بد ان عندك صبر القديسين" فهزت ليلى كتفها في شيء من عدم المبالاة وقالت:

"كل ما هنالك انني لا احفل اطلاقا به ولا بأطواره..."

"هذا من حظك... لأنك تضطرين لتلبية جرسه معظم"

الوقت ! ولكن هناك كلمة حق لا أحجم عن قولها بصدد صاحب مؤسسة ميريديث ، وهي انه لا يقول كلمة في غير موضعها *
والثوت شفتا ليلي الجميلتان الى اعلى ، وقالت :
* اتعنين انه لا ينساق للحب ؟ يا للمسكين ! انه لا يعرف كيف يحب ، اذا هو حاول !*

انطلق صوت الجرس ، كانه ازيز سرب من النحل المهتاج ، فبدد هدوء غرفة ليلي الصغيرة ، فوثبت كيري عن المكتب ، ولاذت بالغرفة العامة المجاورة . وجمعت ليلي بعض الاقلام ، وكراسته للمذكرات ، وأسرعت الى باب المكتب الخاص برئيسها ، الباب الذي كادت كيري أن تصفعه ، لولا انه كان محتوما عليها الا تفعل ، لان رويز الدوريت لم يكن من ذلك الطراز من الرجال الذي قد يجيز عنفا من هذا النوع . لم يكن من الطراز الذي يسمح بأي شيء من قبيل الألفة أو الازدراء لمركزه المهيب كرئيس لدار ميريديث ، وكان التصدي له بالرد يتطلب درجة من التصلب في الرأي لم توءتها كيري قطعا .

كان بوسع رويز الدوريت ، أن يخمد التوتر العصبي بكلمة هادئة ، أو أن يذكيه بنظرة واحدة . كان الكفاءة بعينيها ، عنده معرفة كاملة ومطلقة بكل شؤون شركته ، وما كان ليشفق قط على نفسه اذا دعت الضرورة للعمل الشاق ، وبهذا القدر من الكفاءة التي لا ترحم ، كان يتوقع نفس الكفاءة من كل امرئ يعمل لديه . ولكنه ما فصل أحدا يوما ظلما ، وكانت نظراته واحدة من عينيه الباردتي النظرات ، توضح انه لا يطبق جدالا . كانت كلمته هي الفاصلة في كل المناسبات ، وهو صاحب السلطان النهائي .

لم تشعر ليلي بأي توجس حين دخلت حجرته ولكنها اختلست نظرة اليه لتستبين ما اذا كان مزاجه معكرا اكثر من المعتاد . كان يقف وراء مكتبه حين دخلت ، يسيطر بقامته الطويلة على الموقف ، بينما كان ينبش نافذ الصبر في ركامات الاوراق على مكتبه . وقدرت ليلي أن بارومتر مزاجه يشير الى درجة عاصف ، فتمنت أن يكون من الممكن تفادي العاصفة . ولكنها لم تأمل كثيرا ، فأن رويز الدوريت كان نصف اسباني ، فقد آلت اليه دار ميريديث من ناحية أمه .

* أكنت تطلبيني يا سيد الدوريت ؟ *

* ما كنت لأدق الجرس ، لو لم اكن أطلبك . *

كان جوابه حادا ، وما من شك في أن الرجل كان جذابا ، ولكن امارات الغضب كانت تشوه جاذبيته . وهتف :

* أين ملف بروان وكينتون ؟ *

فأخرجت ليلي ملفا متخما بالوثائق من خزانة بجوار الحائط :

* أنت طلبت مني مساء أمس أن أخذه . *

وشعرت بارتياح ضئيل . وتناول الملف منها ، وأخرج العقد منه ، فقرأه بأكمله وهو مقطب ، ثم التفت فرأها لا تزال واقفة امام مكتبه . وانعقد حاجباه الاسودان ، ثم لانت أسارير وجهه وهذأت ، وقال :

* حسن . . لك ان تنصرفي . *

وخرجت ليلي وهي تكبت رغبة طائشة في أن تضحك ، بالرغم من انها كانت تغادر مكتبه وهي تشعر كأنها كانت في معركة .

وخطر لها ، وهي تعود الى مقعدها خلف مكتبها ، ان كيري كانت على صواب . كان بوسع رويز الدوريت أن يثيرها ، اذا سمحت لنفسها بأن تهتاج ولكنها لحسن حظها كانت اكثر سيطرة على انفعالاتها من كيري المتقدمة الطباع ، فضلا عن انها كانت قد ألفت هذه المعاملة . وعلى النقيض من رويز الدوريت ، كان حبيبها بروس أشبه بالملك . وسمحت لنفسها بأن تفكر في بروس وأوشكت أن تستسلم لحلم من احلام اليقظة ، لولا انبعاث رنين الجرس مرة أخرى ، ولكنه لم يكن متعجلا وملحا كالمرءة السابقة .

كان رويز الدوريت يفرغ غرفة مكتبه ، ذهابا وايابا ، حين دخلت للمرة الثانية فحدها بعينين سوداوين ، ثاقبتين ، تشعان بفضول واهن ، وقال :

* اتعرفين مطعما جيدا ، لا يبعد كثيرا عن الادارة يا آنسة ديرموت ؟ أنني على موعد للاجتماع بمندوب من بروان وكينتون ، ولن يتسع الوقت لأذهب لمطعمي المعتاد . *

وفكرت ليلي بسرعة . كان ثمة مقهى أو أثنان قريبان ، لكنهما ليسا من الطراز الراقي ، الغالي ، الذي يليق برئيسها . وقالت أخيرا ، في تردد :

* هناك مطعم ريكي ، على مسيرة بضع دقائق من هنا . لا يتردد عليه من شركتنا سوى القلائل . والطعام جيد ، ولكنه ليس ممتازا . *

قال في غير تردد :

* انه مع ذلك يصلح . كيف اذهب اليه ؟ *

ارشدته ، فشكرها في لهجة فاترة مقتضبة ، ثم صرفها مرة أخرى . وفي طريقها الى مكتبها ، عرجت على القاعة العامة ،

لتسأل كيري عما اذا كانت سترافقها للغداء، فتطلعت كيري اليها منصرفة عن نسخ تقرير على الالة الكاتبة، وسألته:
"في مطعم ريكي؟"

"نعم، سأقابلك هناك اذا لم يعوقني صاحب الشأن لأي أمر."
وهمت بأن تعود الى مكتبها، لولا أن كيري نادتها قائلة:
"بالمناسبة جاءت مكالمة هاتفية من ستيليا بينما كنت مع صاحب الجلالة منذ لحظة. قالت انها ستأتي بسيارتها في وقت ما غدا."

وبرقت عينا ليلي، وهتفت:

"هل ستيليا قادمة؟"

فتطلعت اليها كيري بلامح متحفظة، وتساءلت:

"انك باللغة الاعجاب بها. ألسنت كذلك؟"

رمتها ليلي بنظرة متعجرفة، وازدادت ابتسامتها رقة، فأصبحت كتلك التي تؤثر بها بروس. وقالت:

"طبعاً. كلنا بالغوا الاعجاب بها يا كيري، وفخورون بها. ربما لانها جميلة، وموهوبة، وبارعة بدرجة غير متوقعة في أسرة عادية."

هكذا كانوا دون شك، أسرة عادية. وكان هذا سر دهشتهم من أن يكونوا قد انجبوا فتاة مثل ستيليا... النجمة الداكنة، كما كانوا يسمونها مداعبين، ولكنهم كانوا جميعاً فخورين بستيليا نورديت، الممثلة الكبيرة، وكانوا يعجبون كل الاعجاب بها، كشخص من الأسرة.

وما كانت كيري التي شعرت بما جال بخاطر صديقتها تقرها على ذلك. فلم يكن أي من أفراد عائلة ديرموت عازبا ولو أن ستيليا كانت تظفر بالاعتراف بأنها جميلة. لم تكن ثمة دمامة أو جمال عادي في تيس و توم التوأمين اللذين يتعذر كبح جماحهما، ولا في جولي المراهقة التي أوشكت أن تتخرج من كلية الفنون - حيث كانت تتلقى برنامجاً للسكرتيرية - ولا في ليلي ذات الهدوء الذي لا ينم عما بداخلها... والى جانب هذا كله، لم تكن كيري تقرأ البتة بعض آراء الأسرة عن ستيليا.

ما كان ثمة ريب في أن ستيليا جميلة، كان لشعرها الاسود المصقول لمعان جناح الغراب الاسود، الامر الذي لم يكن مرتقبا في أسرة شعر افرادها أحمر، وكانت قسمات وجهها وبشرتها الخالية من أي عيب - والتي يعرفها رواد السينما - أقصى ما تشتهيهِ فتاة... ولكن هذا كان أقصى ما توافقت

كيري به على اسطورة أسرة ديرموت، التي كانت اسطورة زائفة تماما. فان ستيليا كانت أنانية، لا تعني الا بنفسها، وما كانت شخصيتها في جمال جسمها. وفي أية حال، فإن كيري كانت ترى - بينها وبين نفسها - أن ليلي كانت الجميلة الحقيقية في الأسرة. كان جمال ستيليا من النوع الظاهر، أما جمال ليلي فكان في قسمات وجهها الشبيهة بنحت أزميل فنان، وفي وضع رأسها الاشم، الهاديء، وتاج شعرها اللامع الذي لا يقل تألقاً عن شعر ستيليا... وفوق كل شيء آخر، كان في ليلي جوهر عميق، ثابت، من الاخلاص الصادق الذي كانت ستيليا تفتقر اليه بالتأكيد. كانت الممثلة المشهورة تتلقى كل التلذذ والاعجاب اللذين يوجهان اليها - حتى من أسرتها - وكأنها حق واجب لها، وما كانت تمنح شيئاً سوى ابتسامة لطيفة غير صادقة، لا معنى لها!

كان هذا رأي كيري، ولكنه كان آخر ما يمكن ان تقدم على مصارحة ليلي به. وتساءلت ليلي: هل ذكرت ستيليا كم ستمكث؟ فهزت كيري رأسها قائلة:

"الواقع أنها لم تقل كثيراً إذ كانت متعجلة لحضور مؤتمر صحفي أو شيء كهذا. اتصلت بالبيت، ولكن الرقم كان مشغولاً، فاتصلت بك هنا، بدلا من أن تنتظر خلو خط البيت." فابتسمت ليلي قائلة:

"هكذا هي ستيليا حقاً... اشتكت مرة انهم لا يتركونها تخلو بنفسها ابداً، ولكني أخال أنها تستمتع بكل دقيقة يحيطونها بها."

ووافقت كيري - في نفسها - على ان هذه الكلمات كانت صريحة خالية من الرياء. كانت ستيليا نهممة الى الشهرة والاهتمام، فلا بد من أن تكون مركز الجاذبية باستمرار. كان لا بد من أن تستحوذ على كل ما تبغي، واذا كان ما تبغيه ملكا لغيرها فانها كانت تأخذه دون أي تأنيب ضمير، ودون أن تفكر لحظة فيما قد تسببه للغير اصابعها الطامعة. ولو أنها تراجعت لحظة، فمن المحتمل ان يقتصر ترويبها على هزة غير مبالية من كتفها.

وعندما استقرت ليلي في عزلة مكتبها، جلست الى منضدة المكتب لتطبع على الالة الكاتبة ما أعطاها رويز آدوريت من عمل، ولكنها لم تستطع إيقاف افكارها، برغم انسياب اصابعها على مفاتيح الالة بكفاءة: ترى هل ستعجب ستيليا ببروس؟ طبعاً! وازافت في سرها، وفي عينيها

ابتسامة: من المستحيل ألا تعجب به!

وعادت الى العمل وهي تكبح رغبتها في الانسياق لأحلام اليقظة عن بروس، وهي رغبة كانت مطردة الازدياد والتسلط في الشهور القلائل الاخيرة، وهو أمر مفهوم، ماداما قد اصبحا خطيبين. كان من المستحيل - برغم كل رصانتها - ألا تحب بروس من النظرة الاولى، وأن لم يظهر عليها ذلك. وغشيت عينيها رقعة لطيفة، وهي تفكر فيه... في بروس العزيز، الضخم غير المصقول! لم يكن لها مفر من أن تحبه حين دخل مكتبها، وابتسم لها، وسلمها مجموعة من التقارير من القسم الهندسي في المصنع موجهة الى رويز الدوريت. ولقد أقرت الاسرة اختيارها عندما رآته... ابتداء من أبيها المحامي الخشن، الى أمها المتزنة - والتي مازالت جميلة - الى جولي المراهقة، الى التوأمين الجامحين، اللذين اعربا عن تحبيذهما، بطريقتهما العابرة: لا بأس بها! وكان هذا منهما بمثابة اطراء بل أكثر. وقد داعبوا جميعا أما جولي فقد استهوت فكرة العمل في شركة الدوريت، خلال العطلة الدراسية الاخيرة، ولكن كيري كانت ترى انها قد تعدل رأيها، بعد لقاء واحد بصاحب الشركة الموقرا وعلى أي حال... فكان من الرائع ان تعود للبيت بعد أيام قلائل، عندما تحين العطلة الدراسية. وبمجيء ستيليا كذلك، ستسنع فرصة لالتئام الاسرة تفوق كل ما كان متوقعا. سيكون وجود ستيليا وجولي معا مناسبة بديعة حقا.

وفجأة تذكرت موعد الغداء، فنهضت لترتدي السترة السوداء الانيقة، سترة البذلة المحكمة حول جسمها الرشيق. والتقت بكيري خارج باب حجرتها الملحقة بقدراس رويز الدوريت. فسارتا متجاورتين على البوابة البيضاء للمصنع الحديث النظيف، وهضيتا في الطريق الى المطعم... على الباب العادي، كتب عليه ريكي. كان داخل المطعم عليل الهواء، فسيحا، اصطفت على طول احد جانبيه مقصورات صغيرة، أسدلت عليها ستائر.

واستقبلتهما ريكي نفسها، وكانت امرأة متوسطة العمر، ذات شعر أسود وخطه الشيب قليلا، وقادتهما الى احدى المقصورات، وهي تقول مخاطبة ليلي:

"بالمناسبة، اختك هنا."

وردت ليلي مشدوهة: اختي؟ واذا ذلك ازيحت ستارة احدى المقصورات، وخرجت منها في حركة رشيقة فتاة يافعة،

في العقد الثاني من العمر ذات شعر برونزي عقص على شكل ذيل الحصان، وعيناها العسلتان ترقصان بضحك ماكر. ورمقتها ليلي مصعوقة، وهتفت:

"جولي! ماذا تفعلين هنا؟"

"تفشت الحصبة في المدرسة بشكل وبائي، فأرسلونا جميعا الى بيوتنا، من لم يصب بها من قبل، على الاقل. لقد انتهى الفصل الدراسي تقريبا، على أية حال."

كانت جولي تدرس في مدرسة داخلية للسكرتيرية اشتهرت بتفوق برامجها، ومناهجها العامة. ولم تلبث ان اردفت، في مرج:

"عندما ينحسر الوباء، سنكتتم الفصل الدراسي، وتقام حفلة توزيع الشهادات، وحتى يتسنى هذا فأنا هنا."

واحتضنتها ليلي بحنان مغتبط، ثم ألقت نظرة على حقيبة الملابس المستقرة على الارض، وقالت:

"لم تذهبي للبيت بعد؟"

فهرت جولي رأسها قائلة:

"لم أذهب بعد. خطر لي انني سأصل الى هنا قبيل وقت الغداء، فرأيت أن أفاجئك هنا."

قالت ليلي بشيء من الجفاء:

"لقد فاجأتني قطعا. والاسرة يتوقعون مجيئك؟"

فرمتها جولي بابتسامة ماكرة أخرى، قالت:

"كلا. كان المفترض أن ابرق لهم، ولكني رأيت أن افاجئهم هم الآخرين" ودخلت المقصورة معهما فتهاكت على المقعد، وزفرت في ارتياح، قائلة:

"ها قد عدت نهائيا... اني لمصممة على العمل بشركة مريديت. فعقبت ليلي بجفاء:

"اما زلت على فكرتك القديمة."

برقت عينا جولي، وقالت:

"بالتأكيد... أنني وقعت حقا في حب مديركما."

ولم تبد ليلي أي ردة فعل، إذ كانت على دراية بأختها، وقالت: "ولكنك لم تره قط."

اذن فقد وقعت في هواه يا صغيرتي؟ أسمحين بأن تخبريني ما الذي استهواك؟

تهنئت جولي في نشوة المراهقة، وقالت:

أنه جذاب، اسمر، رومانسي.

قالت ليلى في برودة:

وعاطفي كقطعة من جليد... حان ان تكبري على نزوات الطالبات!

ولكنه رائع! لابد أنك لاحظت هذا، فأنت تعملين معه منذ ثلاث سنوات.

وعلقت كيري بضحكة خفيفة:

ألا ترينها سريعة في تفكيرها؟

وخالت ليلى ان اختها تمزح، ولكن شيئاً من القلق جعلها تأخذ الامر مأخذ الجد. فقد كانت جولي في سن تجعلها سريعة التأثر. ومع أنها نزوة لا بد أن تنقضي مع الزمن، فان ليلى لم تشأ لشقيقتها المراهقة ان تقع فريسة لجاذبية سمرة رويز الدوريت، وان تكن جاذبية غير انسانية. وقالت في تودة:

ان رويز الدوريت جذاب جدا، واني لأوافقك على ذلك، ولكنه كرجل فهو آخر من ينبغي لفتاة ان تقع في هواه!

لماذا بالله؟ ما اظنني رأيت شخصا مليحا منذ سنوات، حتى بين اولئك الذين تمثل ستيليا معهم!

فقالت ليلى باقتضاب:

بهذه المناسبة، ان ستيليا قادمة غداً. وانتظرت رد الفعل، فصاحت جولي:

ستيليا قادمة؟ كم ستمكث؟

لست ادري بعد. احسبها ستخبرنا حين تصل.

وكان في عيني ليلى وميض الفرح، الذي ظهر حين سمعت النبأ لأول مرة، فأحست كيري فجأة بخوف من اجلها... كان في ذهنها شك في أن ستيليا ستجرح شعور اختها.

*انني موزعة بين الولاء له، والاعجاب بستيليا، ثم الارتياح الفظيع في أنه سيفوض بنظراته في كيانها. انه قد يكون نصف اسباني، ولكنني على يقين بأنه يعتبر النساء - كنساء -

شرا لابد من احتماله، لمجرد بقاء النوع. ولو وجدت مؤسسة علمية تعكف على البحث عن طريقة للاستغناء عن النساء،

فأنني متأكدة من أنه سيتبرع لها بجزء طيب من ارباح شركة

مريدت!*

وضحكت جولي، ولكنها أردفت على الفور:

لا يحتمل ان يفكر على هذا النحو وقد اوتي هاتين العينين!

وفي تلك اللحظة بدأ الرجل الجالس في المقصورة المجاورة بالاصغاء الى حديثهما بمزيج غريب من الانزعاج والحنق، وان

لم يكن قد سمع شيئاً ينال منه كرجل. كان من الواضح ان الفتيات لم يكن لديهن فكرة عن وجوده هناك، وبدا ان

سكرتيرته نسيت تماما أنه كان قد اعتزم تناول غدائه في

مطعم ريكي. وكان قد أودع سيارته شارعا خلفيا فلم يكن ثمة ما يذكر ليلى بأنه جالس في مقصورة مجاورة، منذ وصلت

جولي، والا لاستطاعت ان تنذر الآخرين، ولما تحدثت هي نفسها على هذا النحو غير المتحفظ.*

ولقد شعر مديرها في البداية بحرج من استراق السمع دون

تعمد، ولكن لم يكن من سبيل لتفادي ذلك. ثم جد ما جعله يصغي لكل كلمة، اذ انبعث صوت ليلى جافاً، وان لم يشبه

ذلك الصوت الهاديء الذي اعتاد سماعه منها:

*هذا هو يوم المفاجآت حقاً. حدثيني يا صغيرتي. الامر الوحيد بشأن عينيه هو أن لهما قدرة على الايحاء باستياء

سيادته.*

هتفت جولي في دهشة من قصر نظر شقيقتتها:

*لابد انك لاحظت، فأنا لم اره الا في لحظة مقتضبة، اما أنت فتعملين لديه منذ زمن، ولا أدري كيف تسنى ان تغلتي من

الوقوف في حبه!*

فاعترضتها ليلى قائلة:

*ما كنت لأجسر. وتبينت الوميض المداعب المتراقص في عيني اختها، فأدركت ان جولي لم تكن جادة، ولكنها قررت

المضى فيما بدأت فيه. فما كان ينبغي لجولي - اذا جاءت للعمل في الشركة - ان تشعر، خطأ، بجاذبية صاحبها. كانت

بعد في سن الحرج، وقد تصبح كلماتها المداعبة جادة. لذلك مضت ليلى تقول لجولي:

*كنت أكثر انشغالا بعلمي من ان اوليه اهتماماً. وعندما ازدادت معرفتي به، تبينت أن من الخير ألا تساورني اية

افكار عاطفية نحوه. انه رئيس جاد جدا* وهنا اولى المستمع غير المشته في وجوده، كلماتها شكراً ساخراً، وهي تستطرد:

هذا اذا استطعت احتمال اطواره، ولكنني اعترف بأنني لا اوافق على انه عاطفي على الاطلاق!

وأخذت تعدد ميزات على اصابعها:

*انه طويل، رشيق، ليس في هذا شيء غير عادي. وهو

شديد السمرة، امر عادي كذلك، فمعظم الرجال ذوي الدم اللاتيني سمر، أما أنه عاطفي! وضحكت وكأنها تطرد آخر وهم قد يكون ساور جولي وقالت:

أنني اسفة اذ اخيب تصورك يا صغيرتي، ففي ساق المقعد الذي تجلسين عليه الآن من العاطفية اكثر مما في مديرتنا المحترم. أنه لا يعرف كيف يطارح فتاة الحب لو حاول!

وضحكت كيري في خبث وقالت:
كم اتمنى ان أرى وجهه لو سمعت تقولين هذا!

فابتسمت ليلي قائلة:

لا قدر الله. انه قد يعتبر هذا نوعا مستغربا من الاطراء.
فغمغم شاغل المقصورة المجاورة لنفسه: أواه، هذا محتمل! واردفت ليلي:

ليس للنساء مكان في حياة رويز الدوريت اكثر من أنهن أدوات لامسك الاقلام، وكتابة ما يمليه عليهن، واداء الواجبات الكتابية الاخرى للشركة!

وضحكت جولي نفسها، متخيلة عن مداعباتها، ثم اضطرب الحديث ازاء عبير الطعام الذي طلبته. وبعد فترة من الصمت، انبعث صوت جولي:

*هل تسدين لي صنيعا يا ليلي؟ فأجابت هذه بمكر، وهي الخبيرة بأختها:

هذا يتوقف على ما تريدن فضحكت جولي قائلة:

عندما تعودين لمكتبك، تأملي رويز الدوريت مليا، ثم أخبريني في المساء عما اذا كنت لا تريه مليحا بعد.

ولأي داع هذا؟

لأسباب لدي!

فهزت ليلي كتفها قائلة:

لم أقل انه غير مليح. انما قلت انه يكاد يكون عدوا للنساء، فأكملت لها جولي العبارة: وفي ساق المقعد اكثر مما فيه من عاطفة!

لم تطمئن ليلي للمكر المتراقص في عيني أختها، ولكن ما من شيء قيل عن رويز الدوريت بعد ذلك.

نهض شاغل المقصورة المجاورة بعد قليل، فدفع حسابه وانصرف، دون أن تفتن الفتيات اليه. ولكنه في الطريق الى مكتبه، لم يستطع - وان شغل ذهنه بأمور غير شخصية كعادته - أن ينسى الصوت الهاديء، وصاحبته تتناول مظهره قطعة فقطعة، موضحة بجلاء انها لا تؤمن

بحب السكرتيرة والمدير.

وكانت فترة بعد الظهر فترة موفقة، أتم فيها المدير توقيع عقد براون وكينتون، ثم عكف على بقية أعماله، متناسيا الحديث الذي تناهى لأذنيه، حتى جاءت سكرتيرته الى مكتبه، لتعنى ببعض الملفات. ووجد نفسه يراقبها - على الرغم منه - وهي تتحرك دون ما صوت. كانت السكرتيرة المثالية التي عهدا، والتي لا تنم اساريرها عن شيء، حتى كاد يقتنع بأنه تصور ذلك الحديث في خياله، وبالرغم من تأكده بأن ما سمعه كان صوتها. وادهشه ان يسأل نفسه عما يكون قرارها النهائي اذا ما فعلت ما طلبته أختها. ولكن وجهها وعينيها لم تكشف شيئا مما كان يساورها، برغم انه كان يراقبها عن كثب، كأنما كان فينظرها مجرد قطعة اثاث أخرى. وهذا ما كان يبتغيه. ولم يكن أي طراز آخر من السكرتيرات ليناسبه.

ووجد نفسه - هو يراقب تحركاتها في مكتبه بهدوء، ورضانة، ورشاقة - يسأل نفسه عما اذا كانت قد شعرت يوما بانفعال عاطفي حقيقي. كانت تبدو أشد سيطرة على نفسها من أن يراودها شيء من الشهوات الحارة التي قد تمزق الادميين.

وتحولت ليلي عن آخر خزائنة للملفات، وألقت نظرة على ساعتها، ثم تطلعت اليه قائلة:

اوشكت الساعة على الخامسة. هل تريد أي شيء آخر هذا المساء؟

فقال:

كلا. طابت ليلتك.

وردت التحية بهدوء، وخرجت مغلقة الباب خلفها بنفس السيطرة على نفسها التي كان يبدو انها سمة لكل تصرفاتها. وان هي الا دقائق، حتى ساد الجو نشاط سريع، مع رنين جرس الانصراف. وبعد ثوان، كان المكان قد خلا، وساد الظلام، عدا الضوء الوحيد الذي ظل في حجرة رويز الدوريت، الذي بقي هناك وحيدا لساعات، وعيناه السوداوان على الاوراق التي أمامه. ثم نهض أخيرا، وأودع إحدى خزانات الملفات أوراقه، وضغط زرا للتليفون الداخلي، وقال:

لك ان تأتي وتغفل الأبواب.

وحياه حارس الأبواب الخارجية، وسيارته الفارحة تنطلق في الظلام، وهو يدرك أن أمسيته هي نفس امسية البارحة. سيذهب الى البيت - وان كان لم يعتبره مسكنه يوما

بيتا 1- كان ثمة مكان واحد، يمثل في نظره البيت دائما ٠٠٠ مكان لم يكن بوسعه قط ان يعود اليه ٠٠ المبنى الابيض، الممتد الارجاء، الذي كان يذكره بجلاء تام، وان كانت قد انقضت أعوام منذ رآه آخر مرة. وتشبثت يده بقوة بعجلة القيادة - لمجرد تفكيره فيه - حتى اصبحت سلاميات اصابعه في بياض الكاراسترانو. ثم خف تشبث قبضته، اذ أجبر ذهنه على تناسي الموضوع. والسيارة تمضي به الى مسكنه الفخم، والى الزوجين العجوزين اللذين يعينان به. كانا من الدقة والحرص والتجرد الذاتي كبقية عناصر حياته، ومع ذلك فقد كان يحس احيانا بأن الاصداف الصلبة الباردة تتشقق احيانا، فتترحف الوحدة متسللة منها، ويضطر لأن يضغط على ذاكرته، كما ضغطت يده على عجلة القيادة.

ان أي شيء كان يمكن ان يسبب ذلك الشعور ٠٠٠ ولكن بعض الاشياء كانت أكثر تأثيرا من سواها، شجر نخيل المنطقة الحارة في بعض الاعلانات السياحية، أو لمعان ضوء الشمس على مبنى ابيض ٠٠ ولكن الموسيقى أكثر من كل شيء. فعندما كان يسمع العذوبة المتراخية لأغنية أو رقصة من اسبانيا القديمة، مع الوقع اللوح الذي يشد الحواس تحت جاذبيته الناعمة، عندما كان يسمع ذلك كانت تعود الذكريات أقوى ما تكون.

ولكنه كان يكبح الذكريات بالشددة الباردة التي نماها في نفسه، ويردها الى اغوار ذهنه حتى لا تعود لها أية معان تقريبا. لعله كان على وجه ما يستحق التحليل الذي أثرته به سكرتيرته، فقد تعمد عبر السنين ان يعود نفسه على هذا النسق، ولكن ذكرى صوتها البارد، البعيد، راح يتردد في ذهنه في تلك اللحظة على نمط غريب!

كان الضجيج الذي أثارته عودة جولي غير المرتقبة، والانفعال الناجم عن الزيارة المتوقعة لستيلا، لا يزالان قائمين - وان أخذوا في الهدوء قليلا - حين وصلت الى البيت في ذلك المساء.

واستقبلت مرغريت ديرموت ابنتها الكبرى عند الباب، وهي تطوق جولي بأحدى ذراعيها كانت لا تزال جذابة، بل ومحتفظة ببعض خبث جولي ولشعرها الانيق ما لشعر ليلي من تألق يمتزج فيه اللونان البني والبرتقالي، ولا تتخلله شعرة بيضاء واحدة، وحيث مرغريت ابنتها الكبرى ليلي قائلة:

"ما رأيك في هذه الفتاة اذ تعود كالتلميذة الهاربة

من المدرسة؟"

صاحت جولي محتجة:

"تلميذة هاربة؟ لقد بلغت السادسة عشرة!"

قالت أمها في سخرية وحب:

"يا لها من سن كبيرة!"

واذ ذاك اندفع التوأمان من جانب البيت وانطلقا الى اليهودي ٠٠ ما كان ثمة وصف غير هذا، يناسبها فما اعتادا ان يدخلوا أي مكان، انما كانا يندفعان، ومعا دائما، كأنهما شقان لاعصار غير متوقع. كان شعرهما خشناً واشبه بالجزر الاحمر. وكانت جولي شقراء ذات شعر جميل نحاسي اللون بينما للام والابنة الكبرى جدائل يختلط فيها اللون البني بالبرتقالي، بينما شعر كيري - وهي زائرة دائمة للبيت - يدخل في نطاق الاحمر الذي تشعبت منه كل هذه الالوان. ولهذا السبب اصبحت كيري كيريغان جزءا من آل بيت ديرموت.

وقف التوأمان أمام جولي، وتطلعا اليها بوجهين يكسوهما النمش، ولهما انفان افطسان. قال توم باغتباط عفوي:

"أذن، فأنت قد جئت؟ وأوما برأسه لتوأمة قائل:"

"هيا بنا، والا تأخرنا. فحيت تيس أختها العائدة باقتضاب، واختفت لاحقة بتوأمة ٠ ووضعت جولي يديها على ردفها في استياء غير جدي، ثم ابتسمت قائلة:

"ان الطفيلين لم يتغيرا البتة." فضحكت امها قائلة:

"ما أظنهما سيتغيران يوما. والتفتت الى ليلي - وهي تغلق الباب الأمامي - وسألتهما:

"كيف كان العمل اليوم؟"

فهزت الفتاة كتفيها قائلة:

"كالعهد به دائما الى حد كبير."

وتغيرت أساريرها فجأة، قائلة:

"أليس من الرائع ان ستيلا قادمة؟"

أقبل الأب وكان محاميا معروفا ومحترما، ومعه حقييته مليئة بالاوراق، فرفع حاجبيه اذ رأى جولي، وبدا مشدوها قليلا لنبا مقدم ستيلا، ووافق في شيء من الجفاء - على أن مجيء جولي، والوصول المترقب لستيلا في اليوم التالي - لن يمكنه من أن ينصرف لشيء في العمل:

أن بوسعي ان اعالجه؟
فابتسمت جولي قائلة:

بل متأكدة.

وفي تلك اللحظة انفع التوأمان للحجرة، فالتقيا نظرة نحو
اختهما، وهتفا بتحتيتهما الموجزة:
أهلا!

ثم انصرفا لأمر أخرى. كانت ستيليا تضحك دائما لطريقتها
الموجزة غير المبالية.

قالت تيس - احدي التوأمين - وهي تتحسس المعطف
الفرائي القصير الذي ألقته ستيليا على ظهر أحد المقاعد في
غير اكتراث: لا بأس به! وهمس توم التوأم الآخر، مبهورا
وقد الصق انفه بزجاجة الناظفة: هذه سيارة ممتازة. كان في
عمر تشغل السيارة فيه الأولوية بين افكاره، حتى قبل الفراء
الثمين. فأولته ستيليا الابتسامة المشهورة في طول البلاد
وعرضها، وقالت:

سأصطحبك في جولة، اذا كنت حسن السلوك.
فهتف في كبرياء:

أنني حسن السلوك دائما، ألسنت كذلك؟

والتفت لأمه في اقتضاب: احيانا! وتاملت ابنتها ستيليا،
وعيناها تتحليان من ذلك الجمال الخالص. لكم كان يحيرها
دائما انها استطاعت ان تنجب ابنة كهذه. واستدركت
نفسها، فقالت لقد تأخر ابوك في المكتب، عطله امر لم
يستطع تفاديه. لقد اتصل هاتفيا منذ دقائق. فابتسمت ستيليا
قائلة:

لا عليك، سيتيح لي هذا أن أصلح ماكيا جي من أجله.

وضحك الجميع لفكرة ان تتجمل ستيليا، لأنها كانت بديعة
بلا تجمل. وان هي الا دقائق حتى اصطحبتا جولي الى
الطابق الأعلى، وانطلق التوأمان الى مكانهما المفضل،
الحديقة، ووقفت ليلي وأمها عندا اسفل السلم تشاهدان جولي
وهي تثب الدرجات كأنها في سن تيس، وقد تساقطت السنون
أمام الانفعال الطروب، وستيليا تداعبها في حب طاغ. حتى
اذا اختفيا، التفتت الام وابنتها الكبرى كل للأخرى،
وابتسمتا. وقالت ليلي برفق:

ما أطيب أن تعود ستيليا الينا!

فردت الام قائلة:

انها جديرة بأن نفخر بها.

٢ - زيارة ستيليا

وصلت ستيليا الى البيت حوالي الساعة الثامنة من مساء
اليوم التالي، تقود سيارتها الثمينة، ذات اللون الأزرق
الياقوتي، التي لم تكن تقل عنها اناقة وأبهة!
وشعرت ليلي بغصة في حلقها عندما نظرت الى أختها التي
تصغرها عاما واحدا. ورمقت أمها فأحست من اسارير مرغريت
بأنها تحس بالاحساس نفسه. هذا ما كان يحدث دائما عندما
تريان ستيليا، سواء مثلت بشخصيتها أو على شاشة السينما.
كانت الفتاة أكمل ما تكون رونقا وبهاء.

وهمست مرغريت، وهي تحيط ابنتها الممثلة الرائعة الاناقة
بذراعيها: ستيليا يا عزيزتي* ومست شفتاها الخد الناعم، فاذا
نفحة من عطر غال تجعل انفها يختلج في تقدير. وما لبثت
ستيليا ان خلصت نفسها ورمقت جولي في عجب وحيرة،
وهتفت:

يا الهي! أمهذه جولي الصغيرة؟

هتفت جولي محتجة:

*صغيرة؟ أنني الآن في السابعة عشرة كاتبة اختزال مبتدئة
ومؤهلة.*

فقالت ليلي مازحة:

*قلت لها ان من الخير ألا تدع رويز يرى شيئا من عملها، اذا
كان هذا ظنها.*

كانت مضطرة لأن تخفف من لهجتها، اذ كان التئام شمل
الاسرة ذا أهمية للجميع. ورفعت ستيليا حاجبيها متسائلة،
فقالت: *تعملين مع ذلك الشيخ البغيض الصارم؟*

*قالت جولي: انه ليس بغيضا، ولا شيئا، وان كان على شيء
من الصرامة.*

وابتسمت في خبث قائلة لاختها ذات الشهرة: *لقد فكرنا
في انه يجوز ان نقدمك اليه فتلطفين طباعه قليلا.*

عادت الابتسامة المميزة تبدو على فم ستيليا الجميل،
وقالت:

*أهو من مبغضي النساء؟ انهم عادة صنف ظريف. اتظنين

* ولم تتغير، وهذا أروع ما فيها !

مسحت مرغريت، الأم دمة افلنت خلسة، ثم تحولت نحو مطبخها مستردة نشاطها، وقالت:

* أرى أن نتناول بعض الشاي، فهو مفيد لاعادة الناس الى دنيا الواقع. ووضعت الابريق على النار، والتفتت الى ليلي وهي تحضر الاقداح والاطباق وتضعها بعناية، وقالت: انك تبدين متعبه قليلا. هل الدوريت يزداد صرامة؟

فابتسمت ليلي قائلة:

* أعتقد ان ما بي نتيجة الانفعال.

* أهو متزمت في صرامته؟

* أظن هذا، بدرجة ضئيلة على أية حال.

* فلماذا لا تغيرين عملك اذن؟

* لا يضايقني العمل تحت امرته. ما أن تتعودي عليه حتى تجدي ألا غبار عليه.

وقطبت جبينها، وهزت رأسها ورمقت امها بنظرة حائرة واردفت:

* بل أنني أحيانا أشعر بأسف لأجله.

ووضعت امها طبقا هليئا بالبسكويت، ونظرت بدهشة، فأومات ليلي قائلة:

* أعرف أن هذا سخف. فهو من الثراء بحيث يحظى بكل ما ينبغي، ومع ذلك فأنني - أحيانا - لا أتمالك ان أشعر بأنه في

داخله غير سعيد. وفي اللحظة التالية، اذا هو كالعهد به دائما، قاتر، حاد، منطو. فأوقن انني كنت واهمة، وأن من

المحتمل انه يستطيع ما هو عليه.

* ربما. أو لعله تحت مظهره غير سعيدا حقا. حتى الاغنياء لهم مشكلاتهم.

وارسل الابريق صفيرا، فأنصرفتا الى الشاي. وعندما تركتا المطبخ، وجدت جون ديرموت، رب الاسرة، يدخل من الباب

الامامي. وفي اللحظة، ظهرت ستيليا على السلم، فهبطت مسرعة، وبسطت ذراعيها لأبيها. واحتواها كأنه دب كبير،

وضحك اذ احتجت بأنه يفسد استواء ثوبها المخملي، وقال مداعبا:

* المخمل لا يفقد استواءه في هذه الايام. تستطيع ليلي أن تحدثك عن الاقمشة التي ينتجونها اليوم في مصنع مريديت.

فرمت ستيليا أختها بنظرة مازحة، وقالت:
يا لمديرها الشهير! لا بد لي من أن أقابله.

قالت ليلي برجفة مصطنعة:

* لم تخسري شيئا بعدم لقائه يا عزيزتي. أن له اسلوبا رهيبا في النظر، فكأنه يكشف اعماقك!

وفي تلك اللحظة رن جرس البيت، فجرت تيس الى الباب، صائحة بأعلا صوتها، بمجرد ان فتحت، معلنة عن وصول

كيري. ودخلت كيري وسط هذا الاعلان الصاخب، والتقت عينها عبر القاعة بعيني ستيليا فأومضت بينهما لمحة نفور.

وأخفت ستيليا ما بها بسرعة، بخبرة تشهد مقدرتها على التمثيل. ولكن كيري لم تكن أقل منها مقدرة، وقالت بصوت

ناعم:

* أهلا يا ستيليا سمعت بأنك قادمة اليوم.

أضافت جولي بسعادة، وهي تهبط السلم:

* ستقضي اربعة عشر يوما كاملة.

وفكرت كيري في نفسها باكتئاب: اربعة عشر يوما، ما أطولها! وساورها شعور غريب مقبض. لم تكن تميل الى ستيليا

ولا كانت تطمئن اليها ولعل الممثلة كانت تحس بهذا، مما يفسر التنافس المتبادل بينهما!

تأملتها في انتقاد متوار، محاولة العثور على أية امارات لما كانت تخشاه، ولكنها لم تر شيئا. كانت ستيليا تبدو في

أكمل منظر، وكان عمرها لم يتجاوز الثامنة عشرة عندما اخبرت أسرتها انها افلحت في اجتياز اختبار للسينما،

وظفرت بدور في أحد الافلام. قسماتها المتناسقة، وشعرها الاسود اللامع وعينيها الخضراوين المائلتين قليلا، كل هذه

تعاونت ولا ريب، مع مقدرتها على التمثيل، لرفعها الى قمة السلم.

وبرغم ثرائها وشهرتها، فانها لم تنس أسرتها قط، ولهذا ازداد الجميع حبا لها، غير أن هاجسا أوحى لكيري وحدها بأن

لعودة ستيليا ديرموت للبيت سببا آخر، ولو انها تهورت وذكرت بأن الممثلة ما جاءت لتزور اسرتها الا لسبب، وليس لأنها

كانت تحفل بهم، لأنكروا هذا في شمم، ولا نقطعت صداقتها لليلي، وهي ما كانت لتريد ذلك. لهذا لزمتم الصمت، برغم

انها كانت مقتنعة تماما بأن ستيليا لم تكن تجد وقتا لأسرتها اللهم الا خدمة لمصالحها، فقد يكونون يوما ذوي نفع لها،

ولهذا لم تقطع صلتها بهم تماما، ثم ان هذا كان يخدم الدعاية لها، فقد كانت تحب ان تظل في عيون الرأي العام

حسنا البلدة التي لم تنس أسرتها برغم شهرتها، لولا

هذا لنفصت ستيلا ديرموت عن نعلها غبار كورفيستون،
البلدة الصغيرة في إقليم كنت التي نشأت فيها، ولنسيت انها
عاشت فيها، أو رأتها، يوما!

وما هي قد جاءت لأربعة عشر يوما، ولمسوف تسبب شرا ما،
لم تكن كيري تعرفه نوعه بعد، ولكنها كانت موقنة بأنه
سيحدث، يقينها من غروب الشمس كل مساء! وكانت ليلي
محور القسط الاكبر من قلقها. وما كانت كيري تعرف ولكن
حدسها أخبرها بأن سيتلا قد تكون أشبه بطفلة تمد يديها
بطمع الى لعب اختها، وانها تحظى بها دائما لأنها بارعة
الجمال، والكل يهيمون بها، وبعد فترة، تفقد عادة اهتمامها
بما تكون قد أخذته، وتهمله لصاحبته الحقيقية، لتأخذه ثانية
إذا شاءت، ولكن اللعبة تكون قد تلفت. كانت كيري موقنة
من هذا، ومن ان ستيلا ما كانت لتعاقب أو تؤنب، برغم ذلك،
لمجرد انها كانت ستيلا، ستيلا الجميلة!

★ ★ ★

بعد حوالي عشرين دقيقة، رن جرس الباب ثانية، وأسرعت
ليلي لتفتح الباب لبروس. كان شابا متين البنيان، خشن
الوجه، في السادسة والعشرين أكبر من ليلي بعام واحد، وما
كان ليوصف مهما تساهل التصور والخيال بأنه وسيم ولا كان
ذا رشاقة تميزه، ولكن ليلي كانت ترى دائما ان في جوهره
شيئا ينم عن اخلاص صادق، وعن أنه أهل للاعتماد عليه.
وكان لكيري رأيها الخاص ازاءه هو الآخر. كانت ترتاح الى
بروس كثيرا، ولكنها تخال أحيانا فيه الضعف، بجانب العند
الذي يبرز أكثر ما يبرز الحب، فلاذت كيري بالصمت مرة
أخرى.

قدمته ليلي الى ستيلا بزهو باسم. وعند ذلك أدركت كيري
ما كانت تخافه، لأن ستيلا نظرت الى الشاب ذي الشعر البني
والوجه الخشن، ثم ابتسمت في نعومة وصمت. وراحت كيري
تصلي باستماتة في قلبها:

"لا تجعله هو يا رب هدفا لها... ليس هو الآخر!"

اللعب... الدب، والدمية المحطمة، والآن الرجل الذي احبته
ليلي قد تأخذه ستيلا هو الآخر!

٣ - الأثر

تسلم رويز الدرويت خطابا خلق له أزمة وحطم حاجزا نفسيا
حاول جامدا بناءه لمدة عشر سنوات وعاوده الماضي بأكمله:
الحنين الى ذلك البيت الابيض الجميل المحاط بالأشجار
الباسقة والزهور المتكاثفة، والى الهواء البارد ينساب فوق
الجبال...!

وعاد يقرأ الخطاب، فإذا به ينبئه بما انبأه به من قبل،
كان ثريا، بعد أن ألت اليه ثروة آل ميريديت ولكن الخطاب
كان يمنحه المزيد بشرط واحد: كان في وسعه ان يرث ثروة
خرافية، سبق أن نبذها، بوسعه أن يعود الى البيت الابيض
الذي ظل يحلم به دائما، ولكن الشرط كان بعد قائما.

كان عليه أن يتزوج قبل أن يعود، ويجب ألا يتزوج من
مرشيديس لاسترو! فإذا حاول اعتراض الوصية، خسر الميراث
فورا، ليؤول الى جمعيات معينة بدلا منه. وكان الشرط يمهله
ثلاثة أشهر، يجب أن يتزوج خلالها وأن يحضر عروسه الى
كاراسترانو، أو يتنازل مرة أخرى عما نبذه في الماضي!

كان الشيخ ديبغو الدرويت على معرفة جيدة بحفيده، عندما
أدرك أن الشاب سوف يبذل ما في طاقته ليمتلك البيت
والضياع التي كان يحبها منذ كان طفلا!

عاد رويز يتأمل الخطاب ثانية، محاولا التفكير بروية
للتخلص من الشرط الواضح في الخطاب. إذ أنه لا بد من أن
يكون متزوجا، في خلال ثلاثة أشهر، وكان رويز يعلم المقصود
من هذا: ان يغدو وريثا لقصر كاراسترانو!

زم شفتيه النحيلتين. كان يطمع في الكاراسترانو، ولكنه
لم يؤت اية نية لأن يجبر على التخلي عن القرار الذي اتخذه
منذ زمن بعيد، بالأ يكون لأية امرأة وزن لديه مرة أخرى!

ضاحت عيناه وهو يقرأ الخطاب بتمعن، لعل هناك مخرجا.
لم يكن ثمة ذكر لمستقبل زواجه، ولا لنوع المرأة التي ينبغي
ان يتزوجها، اللهم الا انها لا ينبغي أن تكون مرشيديس
لاسترو، وما كانت لديه أية رغبة في أن يتزوج من مرشيديس
لاسترو بل ولا رغبة في الزواج اطلاقا. ما كان شيء أبعد

عن رأسه بالأمس من هذا . وكان من ناحية أخرى يريد قصر
كاراسترانوا!

وتذكر - وقد زم شفتيه الرفيعتين ثانياً - الرجل الذي وضع
هذا النص اللعين المقيت في الوصية . لقد كان ديبغو الدوريت
دائماً صارماً ، قوي الإرادة ، وما من شك في أنه كان يظن ان
بوسعه تنفيذ ارادته ، ولو بعد موته!

لا بد من طريقة تنفذ كل كلمة من ذلك النص الوارد في
الوصية ، فترد اليه البيت الذي أحبه كثيراً ، وتتيح له - في
الوقت ذاته - استرداد المناعة العاطفية التي كان يعتربها
كثيراً ، تدبير تجاري محض بين شخصين ، يمكن كلا منهما من
استعادة حريته وطريقه الخاص ، بمجرد تحقيق الغاية من
الزواج . فلم يكن الأذعان الفارغ لشروط الوصية هو الذي شغله
في تلك اللحظة . كان شديد الغيظ - لكنه غيظ بارد - لأن اليد
التي كانت تملك التحكم في حياته يوماً ، وحرمانه من كل ما
أعتاده - بل هدم أسس حياته ذاتها - تمتد لتحاول اعتراض
حياته مرة أخرى ، لمدة طويلة من العمر ، بل الى ما بعد
الوفاة!

لمعت في عينيه ابتسامة باردة . فلقد ارتكب ديبغو
الدوريت خطأ لمرّة واحدة في حياته إذ كان ينبغي ان يضع
ذلك النص في تفصيل أوفى . أما الآن فمن السهل التحايل
للتهرب منه ، غيرانه كان لزاماً ان يفكر في الفتاة التي تكون
مستعدة لإبرام عقد غير عاطفي كهذا ، فتاة تكون مثله ، لا
تحفل بالحب ، ولا مكان له في حياتها ، ويمكن الاعتماد عليها
في أبعاد المشاعر العاطفية عن الاتفاق طيلة المدة التي
يتعين عليهما قضاؤها في المكسيك ! ولكن أكانت هناك فتاة
كعده؟

وشدته الفكرة بحدة الى . . الفتاة التي في الغرفة
الملاصقة ! انها هادئة الاعصاب ، مسيطرة على نفسها ، حتى
انها أحياناً لا تكاد تبدو من البشر . ما أبدت قط لمحة من أي
شيء يشبه الضحك الفارغ الذي تبديه بعض الفتيات اللائي
يعملن في بقية أرجاء المكتب ، واللائي يضايقنه أحياناً
بثرثرتهن التي لا معنى لها - وان لم يكن قد اصغى اليها
قط! - أما هي ، سكرتيرته الخاصة ، فما كان يسمع اذا ما خرج
الى مكتبها سوى صمت ملتزم . وما من شك في أن الفتيات
كن يثرثرن عن اصدقائهن ، وعن الحب والحياة العامة . . ما
عدا ليلي يرموت ، فأنها كانت تبدو بعيدة تماماً عن

العاطفة السقيمة التي كانت تثير حنقه ، وكانت عينها
مشدودتين دائماً الى عملها ، وما من ريب في انها كانت من
جلاء الذهن بحيث ترى فوائد اتفاق عملي من النوع الذي
يبتغيه!

ومد يدا الى زر الجرس الموضوع على مكتبه . وبدون اقل
ارتياب في ذهن ليلي يوحي اليها باختلاف الغاية من دعوته
أياها الى مكتبه في هذه المرة عما اعتادته ، التقطت كراسه
الملاحظات ، والاقلام ، ودخلت اليه . . ثم جلست في مقعدها
المعهود ، وفتحت الكراسه ، مدركة انه سيملي عليها رسائله
كالعادة في مثل هذا الموعد من كل يوم ، ثم يتركها وشأنها
بقية اليوم ، ما لم يجد شيء عاجل .



لكنه قطب جبينه وعبث بالورقة التي بين يديه ، ثم شرع
يتكلم و ليلي تسجل ما كان يقول ، تلقائياً ، دون ان تتبين ما
هو ، وقد شرد فكرها هذه المرة غير مركز على عملها . . ثم
ترجمت لنفسها ما كتبته بالاختزال . . وراقبها ، رويزا الدوريت
بامعان ، ولكن علامة الدهشة الوحيدة التي استطاع تبينها ،
كانت ضيق خفيف في مقلتيها ! أما ليلي فقد كانت تسأل
نفسها عما اذا كانت قد اختبلت تماماً . . لكن هذا الوهم لم
يكن اسخف أو ادعى للضحك والسخرية مما كتبت وهي شاردة
الذهن . . وتماكنت نفسها ، وتطلعت اليه قائلة:

* أخشى أنني لم أحسن التقاط ما أمليته يا سيد الدوريت . .

واكتست أساريه شيء من المزاح وقال:

* بل اظنك التقطته . لقد سألت عما اذا كان بوسعك تدبير
عرض للزواج قائم على مجرد المصلحة؟ *

فعدت تنظر الى كراستها ، كان هذا ما كتبته حقاً ، ولم
تكن واهمة . وقبل ان تستجمع شتات ذهنها ، استرسل يقول:

* قد ينبغي ان ازيدك وضوحاً قبل أن تقولي شيئاً . لقد ترك لي
جدي أخيراً عقارات في المكسيك ، ولكني ملزم بتحقيق شروط
معينة قبل المطالبة بها ، والا آل كل شيء لجمعيات خيرية
معينة . *

سمعت صوتها - هادئاً ، رصينا - وهي تكرر كلمتي: شروط
معينة؟ وعجبت في نفسها كيف تكون بلا شعور بالارتباك بعد
عرض للزواج قائم على مجرد المصلحة ، مثل هذا ! بينما كان
هو يستطرد: لا بد لي من أن اتزوج ، وسيكون هذا تدبيراً

وقتيا طبعاً . وعاد يتأملها فشعرت باختلاجة فضول وجيزة تساوره: أكانت هي حقاً بلا مشاعر ولا اكتراث كما بدت أم أن وجهها اكتسى قناعاً بالغ الاتقان؟ ان أي شخص - ولو كان مجرداً من أحاسيس البشر - كان خليقاً بأن يبدي دهشة لاقتراحه العجيب، ولكنها لم تبد أي تأثر، عدا تضيق عينيها قليلاً، وكأنما كان يحدثها عن الطقس!

وجمعت ليلي شتات ما تبقى من وعيها المهتز، وأجابت بهدوء، غير كاشفة عن الاستحسان الطفيف الذي شعرت به، وهي تخاله قد توقع ان تتقبل اقتراحه بجدية: أنني أسفة، فأنا مخطوبة.

وكان هو الذي شعر في هذه المرة بصدمة حيث فوجيء بما لم يكن يتوقعه . وعاد يتأملها، وفضوله يزداد، وهو يتذكر صوتها في مطعم ريكي وقد كان أخف جموداً، واينع شباباً، وأكثر تشوقاً للحديث . وعجبت ثانية، وهو يسائل نفسه، ترى أكانت ترتدي قناعاً من البرود في المكتب؟ واستبعد هذا، باستنكار ذهني، فما كان مهتماً حقاً بشخصيتها . وقال: اذن فالامر مستحيل في هذه الحال . وبالنسبة لخطبتك، اتعززمين مواصلة العمل بعد الزواج

* بل سأتركه عندئذ بطبيعة الحال . ولكن لم يحدد بعد تاريخ للزواج، ولهذا لم اتخذ اية اجراءات، وكنت اعتزم ان انذرك قبل ذلك بوقت كاف لتتمكن من العثور على من تحل محلي .
فأوماً مفكراً، وقال:

* طبعاً . ولكني لا أدري تماماً ما سيحدث . لقد قررت قبول عرض لبيع المصنع . وسيكون لأصحابه الجدد الحرية في اتخاذ تدبيراتهم بصدد المستخدمين، وقد يريدون ان تمكثي أطول ما تستطيعين .

* أننا لا نفكر في ابرام الزواج قبل عامين .
عادت الابتسامة الهازئة الى وجهه ثانية، وقال:

* يبدو أنكما توءمنا بالخطبة الطويلة .

* أرى أن ذلك من الحكمة، مهما كان الاثنان متأكدين تماماً من مشاعرهما . فالزواج أكبر من ان يتم بتعجل . كما أننا ندخر كلانا بقدر ما نستطيع حتى نتمكن من الحصول على بيت مناسب .

فكرة عملية ومعقولة تماماً، وأصبح من الواضح بأنه كان على صواب بشأنها . فليس لديها الا القليل من العواطف . وسأل نفسه لحظة عن الرجل الذي كان مقدماً على

الزواج منها، أكان رزيناً وعملياً مثلها؟ ثم استبعدهما معا عن ذهنه، وتناول الخطاب، وشرع يملي عليها وكأن شيئاً غير عادي لم يدر بينهما .

أما ليلي فلم تستطع أبعاد الامر عن ذهنها، حيث شعرت بتغيير مفاجيء في أعماقها ونظرت لمديرتها بعينين جديدتين، متبينة للمرة الأولى الجاذبية السمراء التي داعبتها جولي بشأنها . كان اكثر من عرفتهم من الرجال جاذبية، بما أوتي من قوام وخفة حركة وطريقة لوضع رأسه تنطق بالشمم . كان شعره وعيناه ذاكني السواد، لكن العينين لم تكونا تشبهان في شيء العيون المخملية لأهل الجنوب، كما يصفها الروائيون ذو الشعرية . كانتا حادتين، عميقتي الأغوار، باردتين كتلح اسود تزيان قسماته الجذابة الحادة كأنما نحتتها يد فنان . واذ قدر لهذه البرودة أن تنحسر، فأما كانت تتحول الى شيء من الهزء يوحي بمرارة وراء المظهر .

ونظرت الى يديه حين التقط رسالة أخرى، ورأت انها رفيعتان، متناسقتان بشكل جميل، لهما طابع ارستقراطي، واصابع طويلة بديعة، ثم عادت تتأمل وجهه وهو يتحدث بالهاتف وساءلت نفسها، هل غشي العينين السوداوين شيء من اللطف يوماً ما، وهل دق ذلك الصوت الحاد ذات الرنة الموسيقية العميقة لامرأة مثلاً؟ في يوم ما أكانت امرأة هي التي جعلته هكذا؟ ومع ذلك لم يكن يبدو محتملاً أن أية امرأة اوتيت هذا القدر من المقدرة على تغييره، لو كان التقوس الجامد لفته في رجل آخر، لأخذ على أنه دليل مشاعر قوية، عميقة، طال كبتها . ولكن رويز ألدرويت لم يكن هكذا، ولو كان قد تعرض يوماً لحب عميق .

واستغربت اذ وجدت نفسها تتساءل عما كان يحتمل ان يحدث لو أنها في وضع يسمح بقبول خطبته الباردة . لعل الموقف كان يكون بشعاً، ثلاثة أشهر يتفادى كل منهما الآخر، ثم الفاء سريع لارتباطهما، عقد مصلحة، من البداية الى النهاية، ابتذال لكل معنى للزواج . وقالت لنفسها باكتئاب: ما أجدر الفتاة التي تقبل مثل هذا العقد، بالرتاء! ومع هذا، لم تستطع اقضاء فكرها عنه بقية فترة الصباح، وأن واصلت عملها بكفاءة، لأن المرأة اذا صدمت بما يدعوها للتفكير في رجل ما كزوج محتمل، لايعود يبدو لها كما عهدته، ولو كان الموقف بينهما بارداً، تجارياً، غير عاطفي، من البداية للنهاية .

كانت ليلى في بهو البيت تتأهب للذهاب الى عملها ، حين
اقبلت جولي من حجرة المائدة ، واخذت تراقبها بعين منتقدة ،
ثم قالت :

* لا أدري لماذا تصرين على ارتداء ثياب لا تروق لأحد . أنك
تبدين دائما ، شديدة التزم . *

قالت ليلى بشيء من الجفاء :

* لا أستطيع الذهاب للعمل بثياب متحلقة ، أتحاولين أن تقولي
أنني أبدو غير انيقة ، نابية الذوق ؟ *

فبادرت جولي :

* كلا ، طبعا . وتأملت اختها التي كانت ترتدي كالعهد بها
تنورة نظيفة ، وبلوزة لا تشوبها شائبة ، وسترة صيفية خفيفة
وأردفت :

* ولكنك تظهري دائما بمظهر سكرتيرة مثالية . *

* هذا ما أحاول أن أكونه يا صغيرتي ، والا ما ظلت طويلا في
عملي . كان مديري خليقا بأن يطردني . *

* لكم أود رؤية وجهه لو أنه فاجك في جولة مع التوامين ، فقد
يغير هذا من آرائه قليلا . *

لوت ليلى احدى خصلات شعر أختها ، في تحذير مصطنع ،
وقالت :

* لا تحاولي السعي لأن تكوني زوجة له . فلن تسنج لك فرصة .
بل أنني لا أعتقد أن جميلتنا ستبلا تستطيع هدم الجدار
الغولاذي المحيط به ، أما أنا فأود أن أتزوج بروس لا جبلا
جليديا يسير على قدمين . *

فقالت المراهقة الجريئة :

* ولكني لا أظنه الرجل اللائق بك . *

بادرت ليلى في عجب يفوق أي شيء آخر : لا تظنينه ؟
فهزت جولي رأسها وقالت مقطبة :

* كلا . بل أنني أحيانا أظنه يهابك ويخشاك قليلا . *

* بروس يهابني ويخشاني ؟ لا تكوني سخيقة يا جولي ! *

* ليس بالمعنى الحقيقي ، ولكنك تلوحين في بعض الاحيان ،
السكرتيرة القديرة ، أكثر مما ينبغي . *

* أنك عاطفية خيالية ، وأذا ظننت رويز الدوريت ذا قلب
يخفق ، فأنت لا تحسنين الحكم على الرجال حقا ! *

* أذن فأنت لا توافقيني على رأيي بصدد بروس ؟ *

عادت ليلى تبتسم ، وقالت :

* مهما يكن ، فاني اشرك اذ نبهتني . سأرتدي ثوبا يكشف

جزءاً من محاسني عندما أذهب للقاءه في المرة التالية . *

وأذ اتجهت الى الباب ، قالت جولي مودعة :

* ما زلت اري أن رويز الدوريت رائع . *

فردت ليلى وهي تخرج :

* أذن فلا تدعيه يسمعها منك ، إذا جئت للعمل . *

ومع ذلك ، فإن عبارة جولي اقلقت خاطرهما ، فظلت تفكر
فيها في طريقها الى العمل . لقد كانت ثمة غرابة بسيطة تحف
ببروس في الفترة الاخيرة . ترى . . الى أي شيء تشير ؟

أكان فيما قالت جولي ايعاز بشيء ما ؟ أكان ما تتخذه من
مسلك السكرتيرة المثالية قد أصبح يلازمها ، ويجعلها مسرفة
في رصانتها ، وفي سيطرتها على نفسها ، حتى بالنسبة
لبروس ؟ انراه كان يشعر حين يقبلها بأنها تفتقر الى شيء

ما ؟ لعلها كانت تبدو اذا قيست بستيلا ، مجردة من الشعور ،
بل ذات شخصية متعالية . ولكنه رأها تعمل في الحديقة ،
مرتدية بنطلونا قصيرا قديما ، وبلوزة والتراب يلطخ وجهها ،

أي وهي بعيدة كل البعد عن شخصية السكرتيرة المثالية التي
تعيبها عليها جولي . وفي صمت أقسمت ألا ترتدي ثيابا
متزمتة عندما تكون مع بروس . *

★ ★ ★

تأخرت فترة بعد موعد الانصراف للفداء ، فلما وصلت الى
مطعم ريكي كانت كيري قد سبقتها ، واستقرت في مقصورتها
مع جولي ، التي كانت تطوف بالمتاجر ، ووعدتهما أن تلتقي
بهما لتناول الغداء . ولاحظت كيري وهن تتداولن بشأن أصناف

الطعام أن ليلى كانت شاردة الذهن ، حائرة تعض شفيتها
احيانا دون أن تفتن . أكاد مجرد شعور عام بشيء ما لا يدعو
للارتياح أم أنها علمت بأن بروس كان يلتقي بستيلا سرا ؟

لعلها لا تعرف ، فقد كان محض مصادفة أن رأتهما كيري معا ،
دون أن يشعرا . كانت تقييم في الماضي في مزرعة وكان
الحنين يدفعها احيانا الى الذهاب اليها ، والسير على غير

هدى في الحقول ، وفي دروب الريف الهادئة . وفي أحد هذه
الدروب ، لمحت سيارة ستيلا واقفة ، وهي تجلس فيها مع
بروس . وكانا يجلسان متباعدين ولكن منظر ستيلا كان يوحي

بأنها لتوما تلقت قبلة . . . أو قبلات . وانسحبت كيري بهدوء ،
عائدة الى حيث كانت تنزل وقلبها مثقل بالفثيان ،

طاولة الخدمة نتجاذب الحديث مع ريكي . ولا بد أننا شعرنا بموجات لاسلكية حولنا، فتحولنا قليلا، دون أن نغفن، تاركين المجال خاليا له ولليلي وابتسمت بمكر إذ لاحظت حمرة الخجل تضرع وجه ليلى فجأة، واستطردت:
الظاهر أن سخان الشاي منحه جراءة، فسألها يدها في الحال، لذلك وعدت ريكي بأن تمنحها السخان كهدية للزواج.

★ ★ ★

لم يدر رويز الدوريت ما الذي دفعه للذهاب ثانية الى مطعم ريكي . لعل الطعام كان ممتازا حقا، كما كان المطعم قريبا . ولكنه لم يكن متعمدا . ووجد نفسه مرة أخرى يسترق السمع، وقد أشرق وجهه، في هذه المرة، بابتسامة لا أرادية، إذ كان في تقدم رجل أنكليزي لخطبة فتاة، بين أقذاح الشاي والسخان، ما يثير الضحك . كان الامر كما تصوره تماما، اختارت سكرتيرته الجادة العملية رجلا بعيدا عن العاطفة مثلها، فيما يبدو . ثم حاول ان يتناسى شاغلات المقصورة المجاورة، كما فعل من قبل، أو كان يتعزم ذلك على الأقل، لولا أنه كان مضطرا للاستماع، كما في المرة السابقة . . . وانبعثت ضحكة خفيفة، تبين رويز لدهشته أنها من سكرتيرته، التي أردفت بقولها:

*يا لبروس المسكين يابين أن يتركه ينسى هذا .
فقالت جانيس مبتسمة:

*لا يمكن لكل فتاة أن تقول أنها خطبت بين ادوات الشاي .
ووجهت فجأة وبدا في عينيها ظل من ذكرى قاسية وهي تقول:

*أحيانا تكون الخطبة غير الشاعرية أفضل من خطبة تحت ضوء القمر . . .

ولاذت الاخريات بالصمت . ولكنها استرسلت وكأنها تحدث نفسها:

*كان أدريان فنانا في هذه الامور حقا . . . ولكن هذا لم يردعه عن الهرب مع ارملة ثرية، في الليلة السابقة على زواجنا بالذات!

وإذ أخذت الى الصمت سألتها ليلى بصوت خافت:
أمازلت تفتقدينه؟

فتطلعت جانيس اليها، وحدقت في عينيها وقالت:

وصوت بروس يتردد في أذنيها خافتا أجش، كما سمعته في اللحظة التي برزت فيها من أحد المنعطفات فرأت السيارة، ولقد سمعته يتكلم ثانية، وهي تراجع عائدة، وسمعت ضحكة ستيلا الخافتة، المبحوحة، تشوبها رنة هادئة، ولم تنتظر كيري الى الوراء، ولكن الصمت المفاجيء الذي أعقب ذلك أشعرها بأنهما لم يعودا يجلسان متباعدين .

وراحت كيري تفكر في نفسها باكتئاب . . . كانت ستيلا جميلة حقا . ولكن جمال الافعى الذي يخدر الحواس .

وارتدت الى الحاضر، إذ انفجرت ستار المقصورة، وبرز رأس جميل أسود الشعر، وهتفت صاحبه جانيس مارتين:
قالت ريكي انكن هنا، هل تمانعن في أن أنضم اليكن؟ ولم تلمح صدا، فجلست مبتسمة . كانت في حوالي الخامسة والثلاثين، ذات ابتسامة متوانية، وقورة، وكانت من أكفأ العاملات بالشركة ويقال انها أصيبت في الليلة السابقة لزواجها، قبل أعوام، وقيل أن خطيبها مات في حادث سيارة، في تلك الليلة ولكنها لم تتكلم عن هذا لأحد قط .

قالت مبتسمة، حين عرفتها ليلى بأختها:

*أذن فأنت جولي . كنت تواقفة لأن ألقاك، فإن ليلى كانت تتحدث عنك باستمرار، حين كنت هنا قبل ثلاثة أشهر . وشهقت جولي في استغراب، فقالت جانيس:
ألا تصدقين؟

وابتسمت للأخرين متسائلة:

*هل حدث شيء ذو بال اثناء غيابي؟ فبادرت جولي: لقد خطبت ليلى .

أشرق وجه جانيس اغتباطا، وهتفت:

*تهاني! أنه بروس طبعاً، أذن فقد نطق أخيراً!

قالت كيري في جفاء، أنه طبعاً بروس، فما راق لعينيها أحد سواه . وأضافت جولي:

*وستهبهما ريكي ايرني كهدية زواج . . . فرفعت المرأة حاجبها متسائلة:

*من يكون ايرني .

وإذ ذاك ضحكت جولي قائلة:

*سخان الشاي .

وسارعت كيري قائلة:

*اختار بروس العزيز أبعاد الامكنة عن العاطفة الشاعرية كنا قد جئنا لتناول العشاء قبل الذهاب للمسرح . وكنا عند

أظنني سأظل افتقده دائما ٠٠٠ ولو أنهما قتلا في حادث سيارة، في الليلة التي غدر فيها بي بالذات.

وسرت قشعريرة في جسد جولي فأردفت جانيس مبتسمة: اراني اثير فزعك يا طفلتي المسكينة.

هزت جولي رأسها، وقد اكتسى وجهها الضاحك عادة بالوجوم ما لم تره أحدا من قبل. وقالت:

كلا. انما جال بخاطري أن من الفطيع ان تستمري في حب شخص، وأنت تعلمين انه ما من أمل لك في رؤيته.

فابتسمت جانيس، وقالت:

أنه أمر فطيع في البداية يا عزيزتي، ولكن الزمن يلثم الجروح. ولكن ٠٠ أما من واحدة لديها موضوع أكثر بهجة؟
أومأت ليلى برأسها، وقالت:

لدي انباء عن مصنع ميريديت، وقد تريان بيانا بعد ظهر اليوم، ولكن قد يحسن أن أخبركما الآن، أنه سيباع. فهتفت كيري يباع؟

كان واضحا أن النبأ أفلح في محو كل فكرة عن الموضوع السابق. وقالت ليلى:

يبدو أن الدوريت ورث ثروة في المكسيك، وهو يبيع مشروعه ليعود الى هناك.

لم تشأ أن تخبرهن بشيء عن شروط الوصية، لأن هذا الأمر يخصه وحده. وهتفت جولي:

يا للالهة! ٠٠٠ لا تقولي انه من علية الاسبانيين حقا.
فقال ليلى بجفاء:

*لم اسأله. معظم الثروات العريقة تقترن غالبا بلقب ٠٠ وأن كان اسمه الكامل كافيا في حد ذاته رويز ديفوباليا دي

الدوريت.*
وارسلت كيري صفيح دمهشة، وقالت:

أن له وقعا! كيف عرفت اسمه الكامل هذا؟

كنت أطلع أوراقا مختلفة خاصة به أحيانا، تتعلق باقامته في هذه البلاد. أنه ليس انكليزيا كما تعرفن، ولا يزال يحتفظ بجنسيته الاصلية.

هتفت جولي، دون أن تتمالك نفسها:

من الموءسف الا تبدي تصرفاته شيئا من هذا.
فقال أختها:

هذا أفضل، فلست اتصور أن أعمل مع رجل يطاردك في غرفة المكتب.

وضحكت جولي قائلة:

لا أدري. فأنا أظن أن هذا ممتع، ولا سيما مع رجل مثل رويز الدوريت.

قالت كيري:

رباه! أظن الفتاة مفتونة به حقا!

فقال ليلى بأستهانة:

*لو صح هذا، فأنها سرعان ما ستتغلب على الافتنان. ما أظن أنني أعرف نزواتك. أتذكرين بائع الحليب، وأنت في الرابعة

عشرة؟ كأنما الدنيا كانت قد أنتهت، عندما نقل من المنطقة، ولكن سرعة التئام الجرح كانت عجيبة.*

فقال كيري قائلة:

ما أحسب أن رويز الدوريت سيشعر بالسرور لمقارنته ببائع الحليب!

وفي تلك اللحظة أقبلت ريكي بالطعام، فهمست:

بالمناسبة ٠٠٠ اتعلمن أن مديركن يشغل المقصورة المجاورة؟

فصاحت جولي:

ماذا؟ وساد صمت مرتاع. وأخذت كل منهن ترمق الأخرى، وتحاول تذكر ما قلن.

هدأت ليلى نفسها بأن مسترقي السمع لا يتبينون بجلاء عادة ما يقال. ثم تذكرت المرة الأخرى، التي اعترزم فيها

المجيء للمطعم، وسألت ريكي بصوت منخفض:

هل جاء هنا يوم الثلاثاء الماضي؟

واومأت ريكي برأسها، وقالت:

أردت يومئذ أن أحذركن، ولكنني شغلت إذ ذاك.

تساءلت ليلى في يقين ورهبة عما إذا كان قد شغل في المرة السابقة المقصورة التي يشغلها اليوم:

أين كان يجلس؟

فقال ريكي معززة الهاجس:

نفس المكان الذي يشغله اليوم، فأمل ألا تكن قد قتلتن أي شيء غير مستحب عنه.

وخرجت تاركة فترة صمت يشوبها الفزع ٠٠ ونقلت جانيس نظرها من واحدة لأخرى وهمست:

أتصور من الصمت المرتاع انكن قتلتن شيئا بغيضا فأومأت ليلى برأسها، وهي تحاول في جزع تذكر ما قالته يومذاك! بينما غمغمت كيري، وهي ترمق ليلى بنظرة عطف ماكرة:

*انصراف تام الى الغداء منذ الآن. ارثي لك

اضطرا رك لمواجهة صاحب السيارة بعد ظهر اليوم*.

قالت ليلى تطمئننا بهمس خفيض:

لا أظنه يتنازل بأن يشير لهذا لو انه كان قد سمع شيئا من قبل، أنه تجاوز عنه كأمر لا يليق بكرامته أن يعلق عليه* وقد يفعل الشيء ذاته هذه المرة*.

وبرغم هذا، وجدت ليلى نفسها تتأمله بامعان، حين دخلت حجرة مكتبه بعد الظهر* ولكنها لم تتبين أي اختلاف البتة، فقد تلقى نظراتها بعدم الاكتراث البارد المعهود من عينيه السوداوين، فشعرت بالخرج ينحسر، بعد مخاوفها في البداية من مواجهته.

* * *

تبينت الأسرة بأسى أن زيارة ستيليا بلغت منتصفها، ولن يقضي اسبوع آخر حتى تكون قد رحلت، عائدة الى حياتها الحافلة بالنشاط الذي يبهرها* وكان الصحفيون قد حاصروا البيت القديم، ملتقطين لستيليا صورا وهي في قاعة الجلوس البالية، وأن كانت مريحة، وواقفة تعبت بارجوحة التوأمين، أو متكئة في أعراء على جزع شجرة تفاح عتيقة* لكنها صرفتهم بحزم لطيف، مصرة على رغبتها في أن يتركوا أسرتها في هدوئها، واعدة بأن تؤثرهم بقاء آخر قبل عودتها الى لندن* واعتادت بعد ذلك البقاء في الفراش حتى يقترب موعد الغداء، فتنهض متكاسلة، وقد تصطحب التوأمين في جولة في السيارة، بعد انصرافهما من المدرسة، احيانا* وبالتالي تقدم الصحيفة المحلية في الصباح التالي صورا للممثلة الشهيرة مع شقيقها وشقيقتها الصغيرين* أو صورا لها وهي تحيط جولي بذراعها في محبة، أو هي مع ليلى وبروس* كانت ضاحية كورفستون، وكل أسرة ديرموت تحب هذا

وفي أمسية اليوم الذي تبينت فيه ليلى أن تعليقاتها على روبرت الدوريت قد تناهت لسمعه، فتحت الباب الخلفي للبيت، وسط صرخات رعاء من الداخل، وتطلعت الى أمها وجولي، وهما تعدان الشاي في المطبخ، وقالت بابتسامة واهنة:

كأنني بالهنود الحمر يهاجمون البيت ولم تقم كلماتها، حتى وثب عليها توم وقد خط وجهه باحمر شفاه استولى عليه من مكان ما، ملوحا ببلطة من الورق المقوى، وتشبث بخاصرتها ليتمالك توازنه، ثم دار حولها، مطاردا تيسس وقد

خطت وجهها مثله، اذ اندفعت من الردهة، مؤرجحة حفنة من الخيط الاسود ربطت عند قمتها، وكأنها خصلة مدلاة من رأس أحد الهنود.

رمقت ليلى الخصلة بجفاء، وقالت لاختها الصغرى:
يا لك من قبيحة!

قابتسمت الصغيرة لا مبالية* اما جولي فقد ساورتها أفكار أخرى* كانت قد ابتاعت أخيرا اول أصبع لاحمر الشفاه أذن لها بشرائه، فأمسكت بأخيها وهي تصيح باستنكار:
احمر الشفاه هذا من عندي.

فأنكر توم متملصا، ثم اندفع، قائلا:

ليس هذا احمر شفاه، أنه طلاء الحرب لدى الهنود

ثم أندفع للحديقة وراء تيسس، مطلقا صرخة مروعة، وجولي وراءه تطارده من أجل اصبع الطلاء المستولى عليه.

وأذ ابتعد الضجيج، ظهرت ستيليا في مدخل المطبخ، متسائلة:

أهما بهذا الصخب دائما؟

لا بأس بهما اذا كانا يتربصان، أما اذا انطلقا من كمين، فان الضجيج لا يطاق.

وصعدت ليلى الى غرفتها لتعلق سترتها، فلما هبطت، كانت ستيليا في قاعة الجلوس* وسألتها:

ماذا كنت تفعلين؟ أمل الا تكوني قد شعرت بضجر.

فرمقتها ستيليا وفي عينيها وميض هازي*:

ضجر ليس بعد، ولكني ولا بد سأحس به، فيما أظن، اذا أطلت البقاء ألسنت تسامين حياة الريف؟*

وأبتسمت ليلى، وهي تهز رأسها، قائلة:

أحسب أن بقية آل ديرموت خلقوا لحياة الريف ويناسبنا أن نستدفيء بوهج مجدك*.

ورمقتها ستيليا بنظرة ساخرة، وغاصت في مقعدها، قائلة:

تري كيف تكون القناعة والرضا؟

سألها ليلى في هدوء:

ألسنت راضية؟

فأطلقت ستيليا ضحكة قصيرة، قاسية، وقالت:

راضية؟ لا يشعر المرء بالرضى الا وهو ميت.

فنظرت اليها ليلى مذهولة، ولكنها عادت ترميها بالنظرة الساحرة:

أيذهلك هذا؟

وهزت كتفيها، واسترسلت:

"أن لدي الكثير، أليس كذلك؟ وخليق بي أن أكون راضية، ولكن هناك دائما الكفاح لأجل المزيد، الحاجة دائما للبقاء. أنا نفسي ناضلت بهذه الشدة لأبلغ ما وصلت اليه".

وسألته ليلي في هدوء:

"لماذا لا تتخلين أذن؟"

فرمقتها ستيليا مأخوذة، ثم هزت كتفيها قائلة:

"أتخلى؟ هذا اسواء فقد اموت ضجرا".

"لن يحدث هذا اذا تزوجت وصار لك بيتك الخاص. أما كان هناك قط شخص وددت أن تتزوجي منه؟"

هزت ستيليا كتفيها ثانية، وقالت:

"أحيانا، الي أن كنت أضيق بهم".

وأطلقت ضحكة عجيبة، ملتوية، وقالت:

"أحسبني اذا عثرت أخيرا على شخص، فإنه سيكون من حق أنثى غيري سبقتني اليه".

نظرت ليلي الي شقيقتها الجميلة مذهولة، وقالت لنفسها

في حكمة أن النجاح ليس كل شيء، فيما يبدو، فان ستيليا

برغم كل شيء اوتيته، وبرغم مرحها لم تكن سعيدة بعد. كان

هناك شيء ينغص حياتها، كما كانت حال رويز الدوريت.

فبالرغم من كل ثرائه ومركزه، كان ثمة شك يلازمها في أنه

لم يكن سعيدا حقا. هو الآخر كان ينشد المزيد، ولكنه أخفى

حاله وراء قناع بالقناعة، وليس بالمرح كما فعلت ستيليا. ومن

الطبعي أنه لم يكن من السهل معرفة ما ينقص رويز

الدوريت، بل من الممكن أن يكون أمره مجرد خيال منها، وأن

يكون في أعماقه صلبا، مجردا من العواطف، كما هو في

ظاهره.

وبعد هذه الملاحظة العابرة، كادت ستيليا تفقد توازنها، إذ

اندفع الي الحجرة كلب أبيض ضخم، موفور الحيوية، وقطع

الحجرة في وثبة واحدة، وألقى مخلبيه الأماميين على

كتفيها. كان الكلب المعروف باسم سنوكس، قد أدرك أنها

موجودة، فجاء يحييها بطريقته المعتادة، فلم تعد بعد ذلك

ثمة فرصة لأي حديث جدي. وقد سرت ستيليا لذلك، فقد

عاودها الشعور العجيب بأن شيئا ما لا يسير على ما يرام!

توالت أيام الاسبوع، تتخللها الاحداث اليومية العادية

ممتزجة بمتعة وجود ستيليا وكانت جولي قد استقرت حتى

لأنها لم تبتعد قط عن البيت الي المدرسة الداخلية. وأهدت

فليكس قطة البيت الجميع مجموعة من القطيطات ذات اللونين
البنّي والابيض، وجرح أحد مخلبي الكلب سنوكس وكان لزاما
أخذه الي الطبيب البيطري. ومضى العمل كالعهد به، والحياة
في مسيرتها العادية، الي ان حانت الامسية السابقة علي يوم
عودة ستيليا الي لندن. حيث انقلب كل شيء رأسا علي عقب.

كان بروس قد حظى بيوم للراحة بدلا من يوم عطلة كان قد

قضاه في العمل منذ بضعة أشهر. وقرروا أن يذهبوا لحفلة

راقصة في ذلك المساء. وسمع رويز سكرتيرته تكلم كيري عن

هذا ويبدو أنه أصبح يسمع عفوا، في أبعاد الاوقات عن

المتوقع، ففاجأها بأن دعما للانصراف قبل مواعده بساعة،

ليتسع لها الوقت كي تتأهب. ولم تدر فيما بعد أكان جديراً

بها أن تشكره او أن تكرمه لأنه صرفها قبل الموعد.

كان البيت يبدو هادئا، ساكنا، حين وصلت. واوحى الهدوء

بان ستيليا كانت هي الأخرى خارج البيت، أو مستلقية، أو

مستغرقة في القراءة.

وفتحت باب قاعة الجلوس، فسمعت:

"لا نستطيع أن نفعل بها هذا. لن اسمح لك. انني أؤثر أن

أشقى بقية عمري على أن أوذي ليلي".

وقفت ليلي في المدخل لحظة، تقاوم ادراكها أن الصوت

الذي سمعته كان صوت ستيليا، ثم تبينت الرجل الذي ضم اليه

قوام ستيليا النحيل، الرشيق، واحنى رأسه ليصق خذه

ببشرتها الناعمة، في زمجرة خافتة، كانت أكثر ايضاحا من

أية كلمات.

أنه... بروس!

٤ - الحل الوحيد

وقفت ليلى لحظة والألم يعتصر قلبها، ثم انسحبت بحركة تلقائية، وبنفس الهدوء الذي اقبلت به، واسندت ظهرها الى الباب المغلق، وكأنها لا تقوى على الحركة. لقد سمعت عن تلك اللحظات التي يسكن فيها كل شيء جامداً، ولكنها لم تتصور أبداً أن تعاني واحدة منها، وأن تعرف الشعور بأن كل ما كانت تحلم به يتلاشى في لحظة وجيزة!

لم يكن بروس يحبها ٠٠٠ كان يحب ستيليا!

لم يكن للمشهد الذي فوجئت به معنى آخر، فقد كان كل منهما منصرفاً للآخر، حتى انهما لم يحسا بوجودهما. ووقفت عند الجانب الآخر للباب لحظة، وهي تضغط شفيتها بيد متشنجة، محاولة الحركة، ولكنها بدت كما لو كانت قد تجمدت في تلك البقعة، والبيت من حولها صامت ساكن. كان موعد عودتهما للبيت عادة فترة ضجة وحركة، ولكن كل شيء كان اليوم مختلفاً. لم يكن اليوم ككل تلك الايام التي انقضت من قبل.

لم تشعر بأي نذير هاجس، حين تركت العمل، ولكن جو التوتر والانتظار الذي ران على البيت كان خليقاً بأن يندرهما. فلم يكن الكلب سنوكس هناك ليخف لتحتها بوثباته الطويلة، أنه كان لسبب ما لا يحب ستيليا ومن الواضح انه اعتزل بنفسه في مكان ما في الحديقة. حتى فيلكس وقطيطاتها كانت دائمة في المطبخ، ولم تتحرك عند دخولها. ولعلها لو دخلت من الباب الامامي، بدلا من المدخل الخلفي ٠٠٠ لعلها لو لم تترك العمل مبكرة، لما كانت قد رأت ستيليا في احضان بروس ٠٠٠ ولسمعا صوت مفتاحها في الباب الامامي ٠٠٠ ومن المحتمل أنهما ما كانا يسمعانه، فهما لم يسمعا صوت باب قاعة الجلوس يفتح!

أخيراً، تمكنت من التحرك، فتحولت ببطء وعادت الى المطبخ، ومن ثم الى الحديقة، الى الطريق ثانية. وهناك توقفت واخذت تتلفت حولها مخدرة الحس. ماذا ينبغي ان تفعل الآن؟ ما كان لها أن تقف امام البيت كأحدى

شجيرات الورد التي كانت الاسرة تعني بها. كلا ٠٠٠ كان الوقوف خطأ ٠٠٠ هكذا أخبرها عقلها المذهول، المصدوم ٠٠٠ ما كان لها أن تقف هناك، فان الناس قد ينظرون اليها ٠٠٠ كان يجب أن تتحرك وأن تمشي ٠٠ فسارت بخطوات سريعة، وحركات تلقائية، دون أن تعرف وجهتها!

كيف تسنى لها أن تكون عمياء الى هذا الحد، وأن تكون مطمئنة باعتداد الى سعادتها، غير مدركة أن اثنين ممن تحبهم كانا شقيين الى هذه الدرجة؟ واستدركت حين ذلك الشعور الغريب بأن هناك شيئاً غير طبيعي؟ مسلك بروس المتوتر أحياناً، وفوق كل هذا ستيليا، اذا أهتدت للحب أخيراً لتجده أذ ذاك من حق غيرها، من حق شقيقتها بالذات. هل خطر لها شيئاً عندما قالت ستيليا حتى اذا وجدت الرجل الذي تؤمن به وتثق فيه، فستجده من حق امرأة سواها، سبقتها اليه؟

يالستيليا الحبيبة من مسكينة! أنها بالرغم من شقاؤها وتعاستها فكرت في الاخت التي قد تسيء اليها اذا أخذت منها سعادتها. وكان واضحاً أن بروس هو الآخر فكر في ذلك، وأبى أن يفصم الخطبة التي كان من المحتمل أن تدمر حياته هو الآخر لو أتيح لها أن تستمر. ولكن ما من سبيل الى استمرارها طبعاً، فما ينبغي السماح لهما بأن يدمرا حياتهما. مهما يكن الألم الذي سوف تقاسي منه ليلى فاية سعادة يمكن أن تتيسر لها من زواج تظل فيه على علم، كلما قبلها بروس بأنه إنما يحاول أن يتخيل أنها ستيليا، وتكون فيه موقنة، أنه كان بوسعها أن تتيح لهما أن يكونا سعيدين؟

وتنهدت، وقطبت جبينها وهي تسير بسرعة، دون ما غاية. وخيل اليها كأن شخصاً آخر كان يراقبها اينما تذهب، ليحرص على ألا تخطو أمام سيارة وما كانت من الجبن بحيث تفكر في ارتكاب شيء كهذا وعقلها مشغول تماماً بما كان ينبغي عليها أن تفعل أزاء المفاجأة!

ماذا كان عليها أن تفعل؟ أكان ينبغي أن تدخل الحجرة وهما معا؟ كان هذا كفيلاً بأن يفرض مناقشة الأمر. أما الآن فمن العسير اثاره الموضوع بأعصاب هادئة. ولكن أما كان عسيرا بالدرجة ذاتها، لو أنها حاولت فسخ الخطبة في الحال؟ كان من الممكن أن تظل ستيليا على رفضها الزواج من بروس وما كان ينبغي أن يحدث هذا بالتأكيد.

وتركز كل الحب الذي كانت تكنه لشقيقتها في حل

واحد في أيجاد طريقة للانسحاب . كان من الخير أن يسعد
أثنان ويشقى واحد، بدلا من العكس . ومهما يكن، فهي لن
تسعد الآن لو تزوجت من بروس .

واصلت السير بخطواتها الحادة، والتلقائية الآلية، ومدركة
أنه لا بد من التوصل لمخرج قبل أن تهدأ الصدمة ويسيطر
اليأس . ومن العجيب أن ذهنها أصبح صافيا، وأخذ يعمل
سريعا بجلاء ذكي غريب . وقالت لنفسها: لا بد من البت فورا
قبل أن تستسلم للدموع، ولكنها لم تستطع أن تهتدي الي أي
مخرج !

وكان لزاما أن تعود - أخيرا - إلى البيت، وأن تتظاهر بأن
كل شيء على ما يرام . كانت بقية الأسرة قد عادت في تلك
الأيام، ولكنها تجنبت الذهاب للحفلة الراقصة . وكان الصداق
عذرا كافيا . وانباتها بديتها بأن بروس قد سر بقرارها .

★ ★ ★

عادت ستيلا إلى لندن في الصباح، و ليلي لا تزال تبحث عن
طريقة لفسخ الخطبة دون أن تتيح للعاشقين سببا لأن يعتقدوا
أنها اكتشفت سرهما . ما كان بوسعها أن تفسخها دون ما
سبب على الإطلاق، ولا كان بوسعها التظاهر بالاهتمام برجل
آخر لأن الأسرة بأكملها كانت تعلم بأنه لم تبد يوما ميلا إلى
أي رجل آخر، بل أنها لم تكن على صلة وثيقة بأي شخص آخر
بدرجة تسمح لها التظاهر بأنها وقعت في هواه . لم يكن في
حياتها سوى رويز الدوريت في العمل وبروس في الامسيات .

وفجأة، أومضت الفكرة . . . تردد في أذنها صوت جولي
عندما داعبتها: لا أدري كيف تسنى أن تغلتي من الوقوع في
حبه . كان هنا الحل الشنيع . . . كان واضحا بحيث لا يدعو إلى
المزيد من التفكير . . . فلتزوج من رويز الدوريت !

كان ثمة نفور متمرّد، في اللحظة الأولى، من هذا القرار .
أنها لم تكن راغبة في الزواج من ذلك الرجل البارد المشاعر،
الذي لم يكن بالنسبة لها طيلة أعوام ثلاثة، أكثر من صوت
حاد قاطع . كانت تبغ في حياتها الدفء والحب، لا
الاستهزاء الأجوف لفترة ستكون دون شك محددة . . . ثم
تنتهي .

لم ترغب في التعرف عليه أكثر ولكن ما من ضرر من ذلك
حيث سيعيشان في بيت واحد . كان ثمة شيء منفر في

٤٠

تلك الشخصية الباردة، المنطوية، التي لم تكن تحتل في
العمل، فكيف تكون الحال في بلاد غريبة عليها، وهي وحيدة
متزوجة من رجل كانت تكاد تكرهه !

ارتجفت ولكنها مع ذلك لم تترحل عن قرارها . ولم تكن قد
قالت شيئا بعد لأسرتها، ولا لبروس، حيث أرادت أن تضعهم
أمام امر واقع، فكان لزاما أن تترث حتى تتحدث إلى رويز
الدوريت .

لم تستطع أن تمنع انهماك بعض الدموع، حين خلت لنفسها
في حجرتها ليلا . ولكن الرغبة في البكاء تلاشت في الصباح .
ولكن سرت لشدة سيطرتها على نفسها، وعززت القناع المجرد
من أية سمة شخصية، والذي كانت ترتديه دائما في العمل،
حتى إذا استدعاها رويز الدوريت طرقت بابه ودخلت ساكنة
النفس . ولم تجفل الا للحظة حين خطر لها أنه ربما كان قد
عثر على سواها، ولكنها هزت كتفها مستبعدة الفكرة، لو
حدث هذا فما عليها الا أن تبحث عن حل آخر .

ووجدت نفسها بطريقة غير ارادية تتأمله في ذلك الصباح
بعينين مهتمتين بشخصه، فعاودها الذهول إذ اكتشفت أنه
كان جد جذاب، بل أنه خليق بأن يكون مغناطيسي الجاذبية،
لولا بروده وعدم اكرانه . ورمقتها عيناه السوداوان عبر
مكتبه وفيهما تساؤل، فجمعت اطراف شجاعتها، وسألته:

"أمن الممكن أن أتحدث معك لبضع لحظات، إذا لم تكن جد
مشغول، يا سيد الدوريت؟"
فأجاب:

"طبعاً . وأوماً برأسه نحو مقعدها المعتاد وأردف: أجلسي !"
خطر لها وهي تجلس، أنه ليس ثمة سوى طريقة واحدة
لأداء مهمتها، وهي أن تكون هادئة، غير مرتبكة، كأن الامر
لا يتعدى مشروع المصلحة كما سماه . . . وكما كان في الواقع،
وأن تناول أوثق رباط بين رجل وامرأة !

ترددت، وعضت على شفتيها بالرغم من تمالكها نفسها،
وقالت:

"مشروع المصلحة الذي ذكرته من قبل، ألا يزال مطروحا؟
لأنني . . . لأنني . . . لو . . ."
فأكمل عنها قائلاً:

"لأنك لو غيرت رأيك؟"
وتفرست العينان السوداوان في وجهها متفحصتين، وأن
ظلتا لا تكشفان عن شيء، وأردف:

٤١

* وخطبتك؟

وتقبلت ليلى تفرسه بجلد، وقالت:
فسخت.

* حديثا ٠٠٠ مساء أمس مثلا؟

قالت مؤكدة:
نعم.

وعادت تشعر بتفرس عينه السوداوين اللتين لا تشيان بشيء، وقال:

* هكذا وهل بدلت رأيك بصدد اقتراحي؟

عادت تقول:

* نعم. وهي تقاوم رغبة رعناء في أن تضحك كطفلة، لأن كلمة اقتراحي بدت غريبة. كانت بطريقة ما تقرن هذه الكلمة دائما بالشقراوات، والماس، والفراء، وعلاقات الحب المحرم، وما من شيء من هذا يصلح للموقف الراهن. بل أن علاقات الحب بالذات محرمة أو غير محرمة، فتساءلت:
أحسب أن الناس لن يعلموا أنه مجرد مشروع مصلحة؟!*

صحيح أن فكرة اية علاقة غرامية بينها وبين رويز الدوريت تبدو لها سخيفة تماما، ولكن كان لابد من جعل بروس وسيتلا يعتقدان عكس الحقيقة تماما. ولو تطايرت مجرد اشاعات عن الوضع الحقيقي لكان ذلك كفيلا بجعل الفكرة كلها عقيمة تماما وغير مجدية!

أجاب رويز بهدوء:

* على أية حال فليس لدي الرغبة في نشره على الملاء. وفي الوقت الراهن، لا أعلم بشروط الوصية سوى المحامين وانت وأنا طبعاً.

فتساءلت وهي تسيطر على صوتها بحرص ليبدو هادئا ٠٠٠ تجاريا:

* ما المطلوب تماما؟

* لابد من قضاء وقت قصير في قصر الكاراسترانو بعد الزواج، لنضفي عليه مظهر الزواج الطبيعي. وبعد أن تكون شروط الوصية نفذت، يمكن فيما بعد تدبير الغاء للزواج في هدوء. فلا سبيل هناك لأي نزاع قضائي بهذا الصدد. ومن الجائز لأي زواج أن يفشل!

* هذا يبدو مقبولا تماما.

واهتز القناع المنيع على أساريه قليلا، وارتفع احد حاجبيه السوداوين في عجب ساخر وقال:

* الا تريد معرفة بنود الاتفاق اولا؟

فأجفلت ليلى مرددة:

بنود؟

* لا أتوقع طبعاً أن تمضي في هذا السبيل دون مقابل ٠٠٠ أنه، برغم كل شيء، اتفاق تجاري.

قالت في ببطء:

* ما فكرت في هذا، في الواقع.

ثم خطرت لها فكرة متهورة ومتواقحة، فهتفت:

* اذا، اذا تضمن الاتفاق أي ثمن، فأني أؤثر أن يكون في شكل آخر.

وعاد القناع يخفي ما في نفسه، وتلاشى العجب الساخر، وسألها:

* مثل؟!*

* مثل أن تتظاهر بأنك تحبني؟

وران صمت مذهل، وفي انحساره البطيء تمننت لو استطاعت أن تضحى بأي شيء لتسحب هذه الكلمات التي لا تغتفر ولم تجسر على النظر الى وجهه، بل ركزت عينها على يديها اللتين التحمتا في حجرها، وهي ترتجف وتكشمش ازاء نفحة من الازدراء الجليدي في أية لحظة. ثم وجه اليها سؤالاً كان آخر ما توقعت سماعه:

* لماذا انفصمت خطبتك؟

وجعلتها المفاجأة تنظر الى وجهه بسرعة، ولكن ملامحه ظلت جامدة لا تشير لها بأي رد فعل لما طلبته ٠٠٠ وتساءلت بدورها بعد لحظة:

* هل لهذا أهمية ما؟

* كلا ٠٠٠ ما لم يكن قبولك اقتراحي مجرد محاولة لاثارة غيرة خطيبك السابق!

* * *

* اثاره غيرة بروس؟

محاولة لتفويض سعادته مع سيتلا، وهي التي تحبها معا حبا جما؟ كانت الفكرة بغیضة ومهينة، فبدأ الشرر ينطلق من عينها، وكان أي أمرٍ أكثر معرفة بها من هذا الرجل خليفاً بأن يأخذ هذا على أنه انذار. ولكنه أستأنف حديثه:

* اذا تورطت في هذا الاتفاق، فاني اتوقع أن تمضي فيه

حتى نهايته، لا أن تفسخيه في آخر لحظة!

قالت وهي تكبح غضبها:

* انه مقدم على الزواج من أختي *

ثم انفجرت غاضبة بعد أن أدركت ما يخطر له وقالت:

* انك لا تفهم شيئاً على الاطلاق. انني أحب أختي حبا جما، ولكي أحملها على الاعتقاد بأنني لم أعد أحب بروس، لابد لي

من أن أخبرها بأنني سأتزوج بشخص آخر، *

وأطلقت ضحكة قصيرة خشنة، وأردفت:

* لا تقلق... سأمضي حتى النهاية *

اضطجع رويز في مقعده بتؤدة وهو يتأملها، وظلت اساريره لا تظهر شيئاً كالعهد بها، ولكن فضولا نصف متوار بدا في

عينيه... أنها لم تكن المخلوق العديم الانفعالات العاطفية كما تصورهما يوماً. كانت عينها الداكنة الزرقة تبرقان بدموع

مكبوحة... ولكنها عضت شفثيها بقسوة تقريبا، وعادت تتكلم بالصوت الذي اعتاد سماعه منها:

* أعذر عما بدر مني. ولكنك تفهم الآن على الاقل كيف تقوم الامور. انني مازلت أحب خطيبي، ولم أفصم الخطبة بعد...

ولكن هذا سيتيح لي عذرا لذلك *

* امتاكدة كل التاكيد من ضرورة هذا؟ *

أطرقت ليلي وقالت بهدوء:

* كل التاكيد... لقد تصادف أن... أن سمعت شيئاً، ولست أنوي أن أدعهما يفسدان حياتهما بالتشبث بأفكار سخيقة عن

واجبهما نحوي. وهذه هي الطريقة الوحيدة التي أستطيع اقناعهما بها، ولهذا فلن أكون الطرف الذي يراجع *

قال:

* أنك تبدين تضحية رائعة في ظروف كهذه، *

فرمقته بدهشة:

* أصبح هذا؟ لم أكن قادرة على التصرف بطريقة أخرى *

فقال لنفسه... لعلها ما كانت قادرة فعلا، وبدأ يتمثل صورته جديدة، تماما لسكرتيرته الكفاء، المجردة من المشاعر

الشخصية، كما كان يخال. ثم عاد لعينيه وميض الاهتمام المتهمك، وقال بصراحة متعمدة:

* أنني لأعجب إذ تعتمدين علي لاداء دور كهذا، على ضوء الرأي الذي أفصحت عنه يوماً في مطعم ريكي *

شعرت ليلي بالدم يتصاعد الى وجهها، وقالت:

* أذن فقد سمعت! *

قال بجفاء:

* سمعت كثيراً، كان ما قلت شجبا كاملاً. أهذا ما تعتقدن حقا؟ *

فبادرت منكرة:

* كلا بالطبع *

وراحت تحاول تذكر ما قالت في وقت الغداء، ولكنها لم تستطع أن تتذكر شيئاً معيناً، سوى أنها وافقت على كل ما

قيل إذ ذاك، ولم تر مبرراً لأن تغير اعتقادها الآن. وقررت أنه ما كان يجب ان تبدي الاقتراح الذي ابدته منذ دقائق.

فالى جانب جراءة ما طلب، ما كانت تتصور لحظة أنه يستطيع اداء هذا الطلب. ولكنه فاجأها قائلاً:

* أظن، برغم الآراء الموحية بالنقيض، فبوسعي أن استجيب لطلبك، ولكن ما موقفك انت؟ *

فاجأها بسؤاله، فاذا بالدماء تتصاعد الى وجهها ثانية، وفكرت لأول مرة في موقفها هي كطرف في الصفقة.

لم تكن حين أبدت اقتراحها قد فكرت في الامر من ناحيتها الشخصية، كيف كان بوسعها أن تتظاهر بحب شخص مثل

رويز الدوريت؟ وكبحت مشاعرها وقالت بهدوء:

* أظن بوسعي هذا. أن الناس عادة لا يعرضون مشاعرهم علانية لذلك فلا أظن الامر سيحتاج لكثير من الجهد *

* في هذه الحال، نعتبر ان الاتفاق مستقر *

كان هذا كل ما ابداه بالنسبة لرجائها الغريب، وكانت تتوقع رفضاً متعالياً. وبعد أن تأكد من أنها لم تكن محاولة

لاثارة غيرة بروس، قال في نبرة مبالة:

* من الممكن أن نتزوج في نهاية الشهر، اذا ناسبك هذا *

وأضاف وكان الأمر لا يتضمن شيئاً شخصياً:

* لا يبدو هناك أي نفع من الانتظار. والاجراءات تسير حالياً لبيع المصنع. ما أحسبك تعرفين شيئاً من اللغة الاسبانية،

لهذا فقد يحسن أن تتلقي بعض الدروس، فستجدين هذا مفيداً إذ أنك ستقضين بضعة أشهر، على الاقل، في

كاراسترانو. وسأتكفل بكل النفقات طبعاً، كما سأدبر تحويل مبلغ محترم اليك *

وشرعت تقول:

* ولكنني قلت أنني... *

ولكنه قطع عليها الحديث بأشارة من يده الرشيقة، غير مألوفة بين الانكليز، مما ذكرها بدمه اللاتيني الذي

كانت تنسأه أحيانا بالرغم من سمرته . وقال بحزم:

* لا مجال للجدل ، فقد قلت أنه مشروع مصلحة .*

فهزت كتفيها قائلة في غير أكثرات:

* أنني أترك هذا لك .*

ووعد بتدبير دراستها اللغة ، فقالت:

* أنني أتكلم الاسبانية ولأول مرة منذ عملت معه ، شعرت

بارتياح اذ رأت قسماته تكشف عن شيء للحظة ، ولكنه تمالك

نفسه في الحال وهتف:

* تتكلمين الاسبانية ؟*

ثم سألها بالاسبانية:

* ما الذي جعلك تدرسينها ؟*

وترددت ليلي اذ أدركت أنه يتوقع ، وقد خاطبها بهذه

اللغة ، أن ترد بها ، فقد يحتمل أنه اراد اختبارها والتأكد من

مدى اجادتها اياها . وأجابت بحذر ، وقد فوجئت بأن رآته

يبتسم بطريقة غيرت ملامحه:

* كنت أعترم ذات مرة ان أذهب ، في العطلة الى اميركا

الجنوبية أو المكسيك .*

* أن لهجتك جيدة الى حد كبير .*

أجابت وهي مازالت مذهولة بالتغيير الذي يمكن لابتسامته

أن تفعله:

* شكرا لك .*

كانت تلك أول مرة تراه فيها يبتسم دون استهزاء أو

تهكم . وسألها:

* ألم تذهبي الى هناك أبدا ؟*

فهزت رأسها قائلة:

* كنت أعترم الذهاب في العام الماضي ، ولكن

وأسعفها قائلا ، وهو يعود الى اللغة الانكليزية:

* ولكنك ارتبطت بالخطبة بدلا من ذلك ؟ اعترف بأنني أكن

للمكسيك اعتبارا كبيرا . وسيكون من الطريف أن أريك

الاماكن التي عرفتها معرفة جيدة .*

* * *

وفجأة تلاشى كل طابع غير شخصي ، لم يكن ممكنا للصفقة

أن تحدث مثل هذا التبدل ولكن المسألة لم تعد تبدو بشعة

بمجملها كما كانت قبل فترة وجيزة ، فأخذت تنأمله

بفضول لا بد أنه تجلى على اساريرها . وجابها بنظرة متسائلة

قائلا:

* هل من شيء يحيرك ؟*

أسرعت تنكر قائلة:

* كلا ، في الواقع . . . ثم اردفت: أنما خيل الي أنك تبدو مختلفا

قليلا . لم يبد الامر باردا ، وبشعا .*

* بشع ؟ أظنه كذلك بوجه ما ، ولكن ليس ثمة ما يبهر ألا نكون

صديقين ، ثم حكم الضرورة اذا راعينا الدور الذي علينا أن

نؤديه .*

وخالط عبارته الأخيرة نوع من الفكاهة الساخرة أرسل الدم

الى وجنتيها ثانية . فقالت بارتباك:

* نعم . . . نعم ، طبعاً . فعقب في تल्प حملها على أن ترمقه

مأخوذة: اعترف بأنني أجرك غير ما توقعت تماما .*

فقالت بعد لحظة ، وهي في حيرة من حقيقة هذا الرجل

الكامنة تحت مظهره:

* أحسب أننا جميعا لسنا كما تبدي مظهرنا . كانت قد بدأت

تشعر بأن رأيها عنه غير صحيح كل الصحة .*

قال موافقا:

* هذا حقيقي ، اري أنه كان يخلق بك أن تحدثيني قليلا عن

أسرتك ، فسيبدو وغريبا ألا أعرف شيئا .*

وانثار بهذا مشكلة أخرى . فلا بد من أن يلتقي بأسرتها ، وما

كانت تدري ما يكون عليه شعور كل من الطرفين ازاء الآخر .

لقد ظل ثلاث سنوات يبدو منطويا ، وأذا بها خلال دقائق

معدودة ترى وجهين من شخصيته الحقيقية غير المعروفة .

التلطف العابر عندما أطرى لهجتها في الحديث بلغة وطنه

الاصلي ، والسخرية الهازئة التي بدأت تكتشف ان لها قدرة

على أن تخرق رباطة الجأش التي كانت تحرص على ألا تمسها

اية ارتباكات أثناء العمل .*

ثم انتهت الى نظرتة المترقبة ، وكأنها تنبهها الى أنه رجل

جم المشاغل ، وأنه يجب عليه العناية بمثل هذه التفاصيل

الشخصية ، فأسرعت بوصف موجز لأسرتها . حتى اذا فرغت

عقب قائلا: وهل ستبلا هي التي كانت سبب فسخ خطبتك ؟ لم

يبد بادرة دهشة أو اهتمام بأن ستبلا نورديت الشهيرة كانت

أختها !

وأومات في تأكيد صامت ، غير مطمئنة الى الكلام اذ شعرت

بألم خطبتها المفسوخة ، فاضطرت الى مواراته عنه ، لا

سيما وقد خامرها شك غير مريح، أوحى اليها بأنه سيقابل كلامها باهتمام خال من المشاعر.
بعد هذا الحديث العجيب، ألح على أن يتناولوا الغذاء معا، ليألف الذين في الإدارة ما كان مقدرا أن يحدث، وادركت ليلي المفاجأة التي كان سيصاب الجميع بها.
على أنه كان لزاما أن يقع ما هو أسوء، ان تفضي بالنبا الى بروس وتحمله على أن يصدقه. بل أنه كان ثمة ما هو أسوأ، عندما تضطر للبدء في اداء الدور الذي أصرت بنفسها عليه، كان هذا خليقا بأن يكون اقصى الامور جميعا، أن تكون باقية على حب بروس، ومضطرة للتظاهر بحب رجل ما كانت تشعر معه بالارتياح!

* * *

لم تقل شيئا حين عادت الى البيت، وإنما انتظرت حتى جاء بروس ليصطحبها لمساهمة فيلم كانا قد اتفقا من قبل على مشاهدته. كان يبدو متعبا ومهموما نوعا ما، وقد سرها أن تكون أخيرا قادرة على أن تمنحه أملا جديدا.
ولم يكونا قد ابتعدا كثيرا عن البيت وبروس منصرف لقيادة السيارة حين خرقت الصمت المتوتر قليلا بينهما:
"أسمح بايقاف السيارة؟ لدي حديث اريد أن أفضي لك به."
رمقها بروس بنظرة سريعة، ثم عرج بالسيارة الى شارع جانبي غير مطروق، وأوقف المحرك. واستدار اليها منتظرا، فقالت بايجاز:
"اريد أن تحلني من خطبتنا."
وشعرت به يجفل الى جوارها، وهتف:
"أحلك؟"

فهزت كتفها بحركة سريعة، رجت أن تساعدنا في شبه العتمة السائدة على التظاهر.
"نعم. كنت اظنها خطبة موفقة، ولكنني ارى الآن ان ما من امل في نجاح الزواج بيننا."
صمت بروس فترة طويلة، ثم التفت ليرمقها مباشرة، وسألها:

"ما الذي دعاك الى هذا القرار المفاجيء؟"
"يخجلني أن أعترف، ولكنني لم أحبك، حتى في بداية خطبتي اليك. كان هناك ٠٠٠ شخص آخر."
وصمتت ثم أردفت:

"هذا كل ما هنالك لا أستطيع المضي."
سألها بروس باقتضاب:

"من هو؟ أجابت باقتضاب:
"رويز الدوريت."
كانت نظرتة المذهولة أشبه باهانة للرجل الآخر، وقال:

"رويز الدوريت؟ أنت جادة؟"
أجابت وقد عضت شفتيها مرة أخرى، وتبدى عليها انها توشك على البكاء:

"كل الجدا!"
وكانت موشكة على البكاء فعلا ولكن لسبب آخر... واسترسلت:

"لم أشأ أن أوذي مشاعرك، ولكني هويته ثلاثة أعوام، دون أن يظن أحد، حتى رويز نفسه!"
وتعمدت أن تنطق بأسمه بألفة، وهي تسائل نفسها عما اذا كانت تستطيع ان تفعل ذلك امامه؟ ثم خلعت عن اصبعها الخاتم، بماسته البراقة الصغيرة، وكان من عاداتها ان ترتديه في المساء، بعد انصرافها من العمل، وناولته أياه، وأصبعها تشعر كأنها عارية تماما. فأخذ بروس بغير وعي تقريبا، وسألها:

"أرجو ألا يكون لهذا علاقة ب٠٠٠ ستيليا؟"
وتعمدت ان تجتذب قدرا كافيا من الحيرة والعجب الى صوتها:

"ستيليا؟ أي شأن لستيليا بهذا؟"
"الواقع، ظننت ٠٠٠ أعني ليس لهذا علاقة بستيليا وبي؟"
رددت وكأنها لا تفقه ما يشير اليه:

"ستيليا وأنت؟"
فتردد في غير ارتياح، ثم اطلق ما صدره:

"أنا وستيليا ٠٠٠ اكتشفنا اننا متحابان، ولكنها أبت أن أخبرك."
رددت وكأنها مصعوقة تماما:

"ستيليا وأنت؟"
ثم اغتصبت ضحكة وقالت:

"هذا رائع!" الآن لا أشعر بالخجل من فسخ خطبتنا هكذا."
ثم اكسبت صوتها جديدة من جديد، وأردفت:

"ماذا تعني، بأنها لم تشأ أن تخبرني؟"
فأجاب:

٤٩

*أبت أن تحطم خطبتك، قالت أن من الخير إن تظل الامور كما كانت قبل مجيئها *

صاحت وهي تعض شفتيها في اسف واضح:
*وتركتها تعود الى لندن والامور بينكما هكذا، أنني مستحية من نفسي اذ لم أفطن من قبل، لا بد أنك تعيس، وكل هذا بسببي.
قال:

*لم يعد هذا ذا بال!

ضمها بصدق فاق كل ما اعتاده، فكان هذا هو الذي هدم الوهم الذي شيدته، فقد تعلقته به دون ارادة منها، فلما أبعدها بعد لحظة، كادت تبكي في خزي وأشمئزاز من نفسها.

قال بهدوء:

*كانت كل هذه أكاذيب... وكيف تسنى لرويز الدوريت ان يدخل في الامر؟

عضت شفتيها وقالت:

*رأيت أن هذا يبسر موقفك وستيلا... لذا، وافقت حقا على الزواج به.

*ولكنك لا تحبينه.

*كلا، ولكن لا قيمة لهذا.

*لا قيمة لهذا لا يمكن أن ترتبني بزواج هكذا! أن ستيلا لن...

فقطعت حديثه بحزم:

*يجب ألا تعلم ستيلا بشيء من هذا.

وبدا لها ألا سبيل لاقتناعه الا بان تخبره بالحقيقة، فأفضت بها بعجلة واردفت:

*هكذا ترى أنه مشروع مصلحة لن يستمر.

وأستطاعت أخيرا ان تقنعه بأنه لا بد للأمر أن يمضي كما دبرت. فما كان بوسعها الآن أن تتزوج منه. ولو علمت ستيلا بالحقيقة، فمن الأرجح أنها ستأبى أن تتزوج منه. وكان الحل الوحيد أن يجعل أختها تعتقد بأن زواجها برويز زواج طبيعي... يجب الا تعلم بعودتي للبيت مبكرة واكتشافي ما بينكما... لقد تقبلت الواقع. ثم انن لن أخذل رويز الدوريت الآن. أنها عملية تجارية، لن تضيرني، ولن تغير شيئا ولكنها ستجعل ستيلا سعيدة، ولن تلوم نفسها، ويجب ألا تخبرها بأنها عملية مصلحة عدني بذلك!

عندما استقرت السيارة امام البيت، التفت بروس اليها بسرعة وسألها:

*أتودين أن أدخل واعلن النبأ عنك؟

فهزت ليلي رأسها وقالت:

*لا... أفضل أن أعلنه بنفسي.

وقبل أن يجادلها، حيثه وأسرعت بالدخول. وحياتها سنوكس بوثبته المعهودة، فاستطاعت أن تهدئه بجهد كبير لتستجمع ارادتها. كان عليها أن تتظاهر بسعادة غامرة. وأن تبدأ من الآن.

سرها حين دخلت حجرة الجلوس، أنه لم يكن سوى أمها وجولي، اذ ذهب التوأمان الى الفراش.

تطلعت مرعريت بابتسامة، وقالت:

*حسبنا كما ذاهبين الى السينما. هل عدلتما؟

قالت:

*نعم.

ثم تريثت، كان لا بد من مصارحة جريئة، كالتي استجمعت أعصابها لتجربها مع رويز ثم مع بروس، غير أنه كان لا بد من أن يكون تظاهرها موفقا، في هذه المرة، فقالت بهدوء مصطنع:

*لم أعد خطيبة لبروس.

وبسطت يسراها لتريا اصبعها عارية. وبدا القلق على وجه الأم فابتسمت ليلي قائلة:

*قررنا أن ما بيننا كان غلطة...

وأسترسلت ضحكة مقتضبة، وأردفت:

*لا تنزعجي، أن الدنيا لم تنته!

قالت الأم:

*ولكنك قلت...

فقطعت حديثها بهدوء:

*يخجلني أن اعترف بأنني قلت أشياء كثيرة لم تكن صحيحة. أنني لا أحب بروس، ولا أحبته يوما.

وساد الصمت لحظة، ثم قالت مرعريت بنفس هادئة:

*يحسن أن نخبرينا بما حدث.

فقال ليلي:

*ليس هناك الكثير ليقال في الواقع.

حاولت ليلي أن تنسق وقائعها وتطلقها متتابعة، فأسوأ ما في الخداع أن يضطر المرء الى تذكر ما قاله من

قبل بخذا فيره . ومضت تقول:

"حاولت فترة أن احمل نفسي على تقبل بروس، ثم حدث اليوم شيء، فأدركت انه لا بد من أن استجمع الشجاعة لأخبره بأنني لا أستطيع أن أتزوج منه، وأنني أريد الزواج من شخص آخر."

وتوقفت لحظة، ثم أردفت وهي تشعر بالجسور تحترق خلفها، فلا يبقى سبيلا للتراجع:

"هو . . . رويز الدوريت ."

صاحت جولي:

"رويز الدوريت؟"

وردت مارغريت الاسم بلهجة اكثر هدوءا، ولكن نظرة ذهول ذهول قفزت الى عينيها . ولعلها تذكرت وصف ابنتها لصاحب شركة ميريديت، فسألت نفسها كيف تود فتاة الزواج من ذلك الرجل البارد، المنطوي بالرغم من اعتباره جذابا فوق المستوى العادي . وأردفت الأم: هذا شيء لم يكن مرتقبا . . . فرمقتها ليلي باعتذار، وقالت:

"تمنيت أن أشير من قبل، ولكن ذلك كان مستحيلا ."

وسألتها جولي وهي لا تتمالك نفسها:

"هل ستزوجينه حقا؟"

فأومات ليلي بالاجابة، وقالت:

"سنعلن خطبتنا عما قريب جدا، ولا نعتزم أن يطول أمدها ."

وسنعدد القران في نهاية الشهر ."

وكان عليها بعد ذلك، أن تروي بعناية وحذر القصة التي أعدتها للأسرة: أنها كانت من اللحظة الاولى لالتحاقها بالعمل تقريبا، قد أحببت رويز ولكنها لم تر جدوى من الامل في أن ينتهي ذلك الحب الى شيء، كان من الغريب ان تتبين سهولة اداء دورها، وادائه باتقان . . . وشعرت بالضيق اذ مكنت بروس الشعور بالأمر، ولكن الخطبة خليقة بالنجاح اذا لم تكتشف ستيلا الحقيقية .

كان غريبا بل رهيبا ان تتبين انها سترتبط في القريب برجل غريب تقريبا بالنسبة لها، من الناحية الشخصية برباط من أوثق الروابط بين أي رجل واية امرأة، وأن كان ذلك في الظاهر فحسب . . . فما كانت لتتصور ان تطمئن الى حرص أي رجل على التجرد من الطابع الشخصي للارتباط، ولكن مجرد التفكير في ألا يحرص رويز الدوريت أمر يدعو للضحك .

قالت جولي في فضول:

"ولكنك لم تبدي اتفه اشارة من قبل عن شعورك حتى أنك يوم تغدينا عند ريكى كدت تهاجمينه ."

"كنت مضطرة . كان اتفه شيء كفيلا بأن يجتذب اهتمامه . وأنت تعرفين كيف تنتشر التقولات في مؤسسة كبيرة . أفترضني أن شخصا سمعني أقرك على ما قلت . وسرعان ما كانت الشائعة تنتشر بأنني أحبه ."

ابتسمت مرغريت لابنتها الكبرى، وهي تهز رأسها، ومازالت الدهشة الحائرة واضحة على محياها . وعادت تكرر:

"الامر لم يكن مرتقبا يا عزيزتي ولكن اذا كان هذا ما تريدين حقا، فيسرنى ما حدث ."

والتفتت الى ليلي وابتسامتها تكتسب بعض الخبث، وقالت:

"ومتى سنرى هذا الرويز الدوريت المثير؟"

فأجابت الفتاة:

"عما قريب، كما أمل ."

هتفت جولي في جزع مفاجيء:

"رباه! كيف سيكون صاحب العمل زوجا لاختي؟ ألا تشعرين بأن الموظفة تكون وقحة حين تناديه باسمه الاول؟"

فوافقتها ليلي:

"أحيانا؟"

وما كانت لتعتزم ان تبين انها لم تناديه باسمه مجردا . بل كانت موقنة من ان جولي مصيبة في ما قالت . ولكن مجمل الموقف وتصنعها للحب كان موقفا سيئا .

وحانت في وقت لاحق مهمة اطلاق الوالد جون ديرموت على النبأ . وساءلت ليلي نفسها:

"تري كيف سيتلقاه؟"

★ ★ ★

تقارب حاجباه الكثيفان حين انبأته زوجته مرغريت، وتساءل في حدة:

"ماذا؟"

وتضرج وجه ليلي وعضت شفتيها . ولم تكن لهجته مشجعة، ولو قوبل رويز بنفور متوار، لكان الموقف محرجا . ولكنها لم تكن بحاجة لأن تقلق، حدثتها عينا ابوها الذي قال:

"انه رجل طيب ما كنت لتختاري أحسن منه ."

قالت زوجته مستنكرة:

* كان ينبغي أن تبدي شيئا من الدهشة...
فسألها:

* لماذا؟ أنه من النوع الذي ينبغي أن تتزوجه. أما بروس
فكان يحب الاتكال على سواه؟
* أذن فهكذا كان بروس في رأيك؟

ما أعجب ما يتبينه المرء عن المشاعر الحقيقية للناس
عندما يحدث أمر كهذا! كيف سيتلقى الاب أخبار خطبة بروس
وستيلا المقبلة؟ أثرت ليلي أن تخبر الأسرة بنفسها.

كان يجب ان تعاد القصة مرارا وتكرارا، وأحست ليلي
بالخجل من أنها أصبحت تجيد الكذب. بل أنها أصبحت تضيف
للقصة بعض الزخرفة وتذكرت ما أعترمه رويز الدوريت من بيع
المصنع والعودة الى المكسيك، وأن هذا جعله يوفن من أنه لن
يراهما ثانية، وأذ لم يكن على علم بخطبتها لعدم ارتدائها
الخاتم اثناء العمل فقد أخذها على غرة، وسألها فجأة ان
تتزوجه. بل كان من السهل ان تقنع كل امرئ بأن تفريطها
في بروس بدأ يسبب لها تأنيب الضمير بدرجة مؤلمة.

ولكنها استغرقت في البكاء، إذ أوت الى فراشها، حتى
بللت وسادتها، ثم تماثلت نفسها، وكبحت دموعها، واستلقت
على ظهرها محمقة في السقف. لقد أدت المهمة، وأصبح كل
امرئ يعرف أنها ستتزوج من رويز الدوريت بدلا من بروس.

وفي طريقها الى المعمل في الصباح التالي شعرت ليلي
بمزيج من الغثيان، لأنها مضطرة للتظاهر بحب رويز عندما
يكون معها. وراحت تتمثل حاجبيه السوداوين يرتفعان في

عجب بارد، إذا ما نادته باسمه مجردا، فما بالك بالاضطرار
لبعض النظرات الناعمة وكلمات الاعزاز. وتمنت من أعماق
قلبيها لو أنها لم تقترح قط التظاهر بالحب، ولكنها أصبحت
ملزمة بالمضي في ذلك، لأنه السبيل الوحيد لنجاح الخدعة.

وشعرت بلحظة ارتباك، حين سمعت الجرس يدعوها اليه،
بعد وصولهما الى المكتب. ولكن ما كان ثمة ما يدعو
لانزعاج، إذ كان كالعهد به دائما، حتى أنه لم يذكر شيئا عن
خطبتهما!

غير أن كيري اتخذت وضعا مختلفا تماما. فقبيل انتهاء
عمل اليوم أقتحمت مكتب ليلي، وأثارت الموضوع مباشرة،
بصراحتها المعهودة:

* هل علمت ان هناك شائعات بأنك ستتزوجين من

رويز الدوريت؟ لقد بلغتني منذ لحظات فقط، والا لكنت
أوقفتها... لكم أود أن أخنق الغيبة التي أطلقتها! الله وحده
يعلم ما سوف يقول اذا ما ترامت الى أذنيه!

تطلعت اليها ليلي، وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة
ببطء متعمدة، وقالت:
* أنا التي أطلقتها.

فحملت فيها كيري بغباء... وأردفت ليلي:
* أنها ليست شائعة أنني سأتزوجه!
* انك مجنونة!

* كلا، بل أنني أحبه حقا.
صاحت كيري في أستهبان، وأصرت على أن تعرف
الحقيقة، فروت لها ليلي القصة التي أصبحت تجيد روايتها، و
إذا كانت القصة مقنعة لكل امرئ فانها لم تكن ذات أثر
يذكر على كيري، التي قالت في أستهبان:

* هذا أسخف كذب مكشوف سمعته يوما! الآن الي بالحقيقة!
أنني عرفتك أمدا طويلا، ونظرتي لأمورك مختلفة تماما عن
نظرة أهلك.

أخيرا، هزت ليلي كتفها وقالت في أعياء:

* الحق، ما من أحد منا يهوى الآخر. أنه اتفاق مصلحة منذ
البداية للنهاية. فهو مضطر للزواج والعودة للمكسيك ليرث
ضياح الأسرة...

وأرسلت كيري صفيرا خفيفا، وهزت رأسها قائلة:

* هذا أقرب للمعقول. ولكن ماذا يدعوك بحق السماء لا تفارق
مصلحة؟ وبروس؟

قالت ليلي معززة ما كان في خاطر صديقتها:

* بروس يريد الزواج من ستيلا. وشعرت بالارتياح في حديثها
الى كيري، وهي لا تدرك ان صديقتها كانت تتحرق شوقا الى
أن يخنق شخص ما ستيلا، وهي تصفى في صمت واجم الى
ليلي وقد راحت تروي كيف أكتشفت الامر، وكلماتها المقترضة
تكشف عن مدى ألمها... واختتمت ليلي حديثها قائلة:

* هكذا رأيت أن شيئا كهذا كفيل بأن يساعدهما. فان ستيلا
قد تلوم نفسها وتأبى الزواج من بروس، اذا لم تصدق أنني
أحب سواه.

ودار بخلد كيري: ما كان محتملا لستيلا أن تلوم نفسها على
شيء ما، وودت كيري في تلك اللحظة ان تفجر كل شكوكها
في ستيلا، ولكنها كبحت جماح سخطها، مدركة أن ليلي

لن تصدقها، وبأن تعترف عن صداقتها، أو تستبقيها متوترة.
لذلك عادت تلزم الصمت... ثم ازداد أشفاقها وجزعها فجأة،
أذ خاومتها فكرة، فرمقت صديقتها بنظرة مترددة وقالت:
"هذا ال... الاتفاق التجاري... ألا يلزمكما بانجاب وريث
للاراضي؟"

شعرت ليلي بالدماء تتدافع لوجهها بشدة، وأسرعت تقول:
"كلا طبعا وأن لم تتمالك ان تشعر بأن الوريث هو بالذات ما
قصد به شرط الوصية، ولكن اذا كان رويز يؤثر ان يتغافل عن
هذا الجزء غير المكتوب من الشرط، فليس لها أن تثيره ولا
كانت راغبة فيه. فما كانت تتصور شيئا من أن تسلم نفسها
لرويز الدوريت البعيد عن المشاعر الآدمية. ولو كان هذا
صريحا في الشرط، لما قبلت مهما تكن الظروف!

وتساءلت ليلي في شيء من القلق:
"أتظنين أن أحدا غيرك سيشعر بالنسب الحقيقي للخطبة؟"
فهزت كيري رأسها وهتفت بحرارة:
"يا الله!... كلا أنا نفسي لم أكن متأكدة."
وقالت:

"قد تعتقد الاخريات أنك كنت تحبينه طيلة الوقت، ولكن
كيف ستغلبين على أنه مجرد اتفاق تجاري؟ لو أستمر صاحب
السيادة على سلوكه المتباعد المعتاد، فان امك أول من
سيرتاب."

وأقرت ليلي وقالت، وهي تحاول معرفة تأثير كلامها على
صديقتها:

"لقد سألته عما إذا كان يمانع في أن يتظاهر بالحب...
ولم تخيب كيري توقعها، ففغرت فمها لحظة، واختلجت
اهدابها، ثم هزت رأسها وهتفت:

"ماذا؟ لا داعي لأن تكرري ما قلت، فقد سمعته ولكن لم
أصدقه."

وأبتسمت ثم سألتها بصراحة، وفضول مفتبط، في تلك
اللحظة:

"كم دام الصمت الجليدي، وكيف انفجر صاحب السيادة عندما
تغلب على الصدمة المشدوهة؟"

قالت ليلي بهدوء:

"لقد وافق..."

وعادت كيري تحملق فيها، وتهز رأسها وتقول:

"ماذا؟ لا أصدق!"

هزت ليلي كتفيها وقالت:

"أنتظري... وسترين."

فأبتسمت كيري فجأة، وقالت:

"لا أستطيع الانتظار."

ثم ضحكت، وتحولت عن الخوف من مكر ستيليا الى الفكرة
الجديدة المثيرة، فكرة تظاهر رويز الدوريت بالحب
لسكرتيرته، وقالت:

"أتمنى لو أختلس النظر خلال ثقب الباب، عندما يحتويك
الرجل في عناق حار."

وأبتعت كلماتها بابتسامة تستثير بها صديقتها مداعبة.
ولدهشتها، تضحج وجه ليلي، ولو كانت الظروف غير هذه،
لرمتها كيري بنظرة متفحصة، ومتألمة.

وأسرعت ليلي قائلة:

"لا أكاد أظن أن هذا محتمل... ثم أننا لن نضطر لهذا ونحن
وحدنا!"

فهزت كيري رأسها قائلة:

"مازلت لا أتصوره يتظاهر بالحب لأي امرئ، وأن كان الجدير
به ألا يكون جبل الجليد الذي يمشي على قدمين، كما هو حقا
أذا راعينا انه نصف أسباني."

وتطلعت الى صاحبته، وأبتسمت في مداعبة خبيثة،
وأسترسلت:

"لا أقول هذا لأنني أظن أن هناك ما يدعو للاكتراث بهذا
الصدد، وإنما لأنني لا أستطيع أن أتصوره يتحول الى هذا
الطراز، وأن لم يكن بوسع المرء أن يتكهن بما قد تفعله به
بلاد الاصيله؟"

رمقتها ليلي بجفاء، وأمتنعت عن التعليق على الفكرة
السخيفة، فكرة أن ينتهك رويز اتفاقا عذريا، افلاطونيا. بل

كانت لا تزال مرتابة في أنه سيكون قادرا على أن ينفذ بنجاح
الخدعة البسيطة التي لم يكن منها بد أمام الملا. وأختلست

كيري نظرة جانبية، وهي تعجب... كيفي سينتهي هذا
الارتباط المتورط الرهيب؟ وودت لو تنصح ليلي بالألا تتعجل

الامور وأن ترجيء هذ الزواج غير العاطفي أطول ما تستطيع،
فقد كانت موقنة بأن ستيليا ستدخل تغييرا جديدا على الموقف

في القريب. كانت موقنة بأن ستيليا لم تحب بروس، وإنما
كانت تدفع الملل فحسب بانتزاعه من أختها. ولعلها

٥ - المدير . . . الخبيب

تنامت بلدة كورفيستون في سرعة فائقة . وحرصت بلديتها على توزيع الابنية القديمة والحديثة في تناسق . وتحيط بها طبعا الضواحي السكنية بمنازلها الصغيرة، بينما ظلت على الجانب الآخر للنهر الضواحي القديمة، محتفظة بطابعها الريفي الهادي . . . وعلى قمة أحد المرتفعات، كانت دار أسرة ديرموت تحمل أسما مستغربا جينغلغلوب . كانت دارا ذات طابع يوحي بالود، بنيت من الطوب الذي أضفى عليه الجو طبقة رمادية . . .

كانت مرغريت في المطبخ تغسل الاطباق بمساعدة ابنتيها، اذ كان يوم السبت، وليس من عمل يشغلها، كما راح التوأمان يساعدان، وأن كان الشطر الاكبر من مساهمتيها صخبا أكثر منه عملا، مما أنتهى بطردهما الى الحديقة . والتفتت الام الى ابنتيها مبتسمة فخورة بهما، وقالت منتقية كلماتها:

* يبدو أن احدانا تلم بهذه الاسزة أخيرا . *

وما كانت الفتاتان في بهاء ستيل حقا، ولكنهما كانتا جذابتين . . . جولي بشعرها النحاسي الطويل، ينساب معقوصا على شكل ذيل الحصان، وليلي بشعرها البرونزي المجدول في ذلك الصباح في صغيرتين التفت كل منهما مع الاخرى في مؤخرة عنقها .

قالت جولي موافقة أمها:

* أنني أرى هذا، لا سيما اذ فاجأتنا ليلي باعتزامها الزواج من رويز الدوريت، وبروس يوشك أن يدبر أمره مع ستيل . *

فقالت مرغريت ضاحكة:

* أن الامور لا تسير في رقابة حقا . *

كان نيا بروس وستيل يحير الاسرة منذ تسعة أيام ولكنهما لم يبدططيا بعد أن يعلننا خطبتهما . فقد ذهب بروس الى لندن ليقابل ستيل، فوجد مسكنها مقلقا، وذهب الى شركة الافلام، فتلقى جوابا غير مشجع . . . كان من الواضح أن أحدا لم يدر بشيء عن الخطبة المتوقعة بين نجمتهم الاولى

في الحقيقة كانت تعتزم أن تتخلص من بروس وتصده بمشهد عاطفي، قبل رحيلها الى لندن، وكان الامر بالنسبة لستيل مجرد لعبة، ولكن ليلي ولا ريب قلبت الامور بوصولها الى البيت دون أن يفطن أحدهما، وما كانت ستيل في رأي كيري لتستسيغ أن تجد بروس يلاحقها، ولم تعد تربطه الى ليلي أية خطبة، اذ كان هذا كفيلا بأن تضطرها الى إيضاح وتفسير لبروس، فقد كان آخر رجل تود ان تتزوج به، وقد أصبح لزاما عليها بعد تحرره من خطبة ليلي أن تتخلص منه . فعندما تقرر ستيل الجميلة المشهورة أن تتزوج، فما من شك في أنها ستنتقي رجلا موفور المال، لتحظى بكل الرفاهية والترف اللذين تشتهيتهما، دون أن تضطر للعمل باستمرار . اذ كانت ستيل برغم حبها الشهرة، خاملة .

لم تكن كيري تملك سوى أن ترجو أن تحدث ستيل نفسها تطورات في الموقف، قبل أن تمضي ليلي بعيدا مع رويز الدوريت، فلو رغب بروس في أن يعود الى ليلي، فلن يشدها رويز الدوريت بالتأكيد الى ذلك الاتفاق التجاري غير المعقول .

وهذا الرجل غير المعروف الذي يوحي مظهره بأنه غير ذي أهمية، فظنوه من أولئك الذين يلاحقون نجوم السينما، فرفضوا أن يعطوه عنوانها. كل ما تفضلوا به عليه أن اللقطات الأخيرة في الفيلم الذي تمثله كانت تلتقط في موقع أحداثه، ولكنهم لم يخبروه أين كان ذلك الموقع. وعاد بروس متوتر الأعصاب محببًا إلى المدينة، وحاول أن يتبين ما إذا كان آل ديرموت يعلمون أين يستطيع الاتصال بستيلا. وأضطر طبعًا أن يحدثهم بما جرى. ولم يجد لديهم عنوانًا، فاضطر في النهاية إلى أن يكتب لها بعنوان مسكنها، أملًا أن تصلها رسالته.

كبحت كيري تعليقًا حادًا، حين سمعت أن ستيلا سافرت لموقع أحداث الفيلم دون أن تسمع تحلل بروس من خطبته لأختها. ورات في داخلها أن الأقدار كانت في صف ستيلا. كانت تأمل أن ترفض ستيلا الشاب صراحة، فيثوب إلى رشده. و اتفاق المصلحة يزداد اقترابًا من موعده.

وقالت جولي معلقة على ذلك:

"أن أمر بروس وستيلا مستغرب. ما خطر لي قط أنها تختار شابًا مثل بروس"

وأبتسمت وهي ترنو إلى ليلي بخبث، مردفة:

"أما رويز الدوريت، فأوقن الآن بأنه خبير بمبادلة الفتيات الغرام."

وشعرت ليلي بدفع يثير الشك يتصاعد لوجهها، نذيرًا بالخلج، وأن لم تكن تتصور حدوث شيء كهذا، ولكن ضحكة جولي أكدت ذلك وهي تقول:

"هذا هو الدليل! وأراهن بأنه لا يقل حرارة، ولعل لانتمائه للاسبان يدا في هذا."

وعاد التوأمان إلى المطبخ، وأن هي إلا لحظة، حتى تصاعدت صيحاتهما من الحديقة ثانية، منبئة بأنهما يمثلان حرب الهنود الحمر. وكان جدار من الحجر الذي كسسته الطحالب، يفصل الحديقة عن بستان الفاكهة ويحول دون رؤيتهما، ولكن صرخاتهما وضجيجهما كانا يعلنان أن الحرب الهندية أو رقصة الحرب مستمرة.

★ ★ ★

تناولت جولي كتابًا وخرجت إلى الحديقة، بعد تنظيف الأدوات، بينما ارتدت ليلي سروالًا قديمًا بلون

الكاكي، وبلوزة بيضاء بدون أكمام وأخذت تقطع الحشائش. وأتجهت مرغريت بالسيارة إلى الجزء الحديث من كورفيستون، فأودعت السيارة في موقف السيارات، ريثما تشتري لوازمها. وأتمت مهمتها، ولكنها حين عادت للسيارة وجدتها لا تعمل فوقفت حائرة. فسألها حارس الموقف:

"أهناك مشكلة ما يا سيدة ديرموت؟"

والتفت فجأة عند سماع اسمها. رجل كان على بضع ياردات. وبينما أجابت مرغريت الحارس:

"لست أدري ماذا أصاب هذه السيارة المتعبة!"

ورفع الحارس غطاء المحرك، وتأمل ما تحته، وعبث بأصابعه فترة، ثم أستوى واقفًا وهز رأسه قائلاً:

"ما من شيء واضح فيها. يبدو أنه لا بد من إرسالها إلى الكاراج."

وأنبعث صوت عميق، ينطوي على اختلاف بسيط عن الأصوات المحيطة بهما:

"هل أستطيع تقديم أي عون؟"

فالتفتت مرغريت لتري أن الرجل الاسمر الطويل الذي كان يقف بجوار سيارته على بضع ياردات قد أقبل عليهما. كان له طابع مميز، ولاحظت عيناها على الفور ثيابه الانيقة، وقد ارتداها في عفوية الشخص الذي ألف هذه الثياب، وعزز ظنها أن الحارس أجابه باحترام بالغ:

"بعض الخلل في السيارة يا سيدي."

لا بد أنه كان رجلاً ذا مكانة.

قال الرجل وقد أشرقت في وجهه الابتسامة النادرة:

"أذن فقد يكون بوسعي أن أقبل السيدة ديرموت إلى البيت،"

وأردف يخاطبها:

"أنني رويز الدوريت،"

وشعرت مرغريت بهزة دهشة تعترتها، ثم باهتمام طريف يغشاها. أذن فهذا الشخص هو الصهر الذي كانت ليلي تعتزم أن تقدمه إليها! ودبر، بروح الشخص الذي اعتاد إصدار الأوامر، وهو موقن من أطاعتها أمر نقل سيارتها إلى الكاراج، فشكرته وهي ترمقه بنظرة أنثوية شاملة، يخالطها شوق الأم لمعرفة نوع الرجل الذي اختارته ابنتها!

ولاحظت بحاستها الأنثوية على الفور جاذبيته السمراء، ودقة القسماط والعينين السوداوين، والشعر الأسود اللامع يتخلله وميض أزرق تحت الشمس، والاسنان البيضاء

القوية، والفم الدال على الحزم، والذقن الناطقة بعناد يكاد يبلغ درجة القسوة. وكانت بشرته شاحبة، لا عن مرض ولكن... كأنما كانت بحاجة الى لمسة من الشمس أشد مما ألفت خلال السنوات العشر الاخيرة. كانت عينها الام أكثر خبرة من عيني الابنة، فلاحظت أمورا كثيرة ما كانت ليلي مدركة لها... فالفم الحازم كان حازما عن قصد، كأنما صاغته سنوات من السيطرة العميقة على النفس، ومع ذلك فقد بقي ظل واهن من توجس يكاد يبلغ مبلغ التجهم الصياني، وبقي التقوس الغريب لشفته العليا، الذي خيل ليلي يوما على أنه شاهد على مشاعر قوية، وأستبعدته في الحال مستنكرة مجرد التفكير بهذا ولكن أمها رأت فيها أمورا أخرى... فها ذا رجل معتد وحيد، أصيب بجرح نفسي بالغ في وقت ما من الماضي، فانطوى على نفسه متظاهرا بأنه فوق ان يصاب ثانية بجرح من نزوات الدنيا وقسواتها. وتجلى للأمم أن الكبت البارد الذي كسا قسماته وصوته ظاهرة غير طبيعية، فلم يساورها قلق مما قد يكون له من تأثير على ليلي. وعلى أي حال فان شكله كان يتغير تماما اذا ما أبتسم، ولعل هذه هي الناحية التي عرفتها ليلي فيه.

قال رويز أذ انسابت السيارة الفخمة السوداء بهما:
*أمل ألا تكون خطيبتنا قد وقعت موقع مزة مفاجئة!
فهزت مرغریت رأسها، وقالت ضاحكة:
*مزة؟ الواقع لا أدري كيف أستطاعت أبنتي التكتم الى هذا الحد!

ومرة أخرى لمحت ومضة الابتسامة الدافئة التي كانت تغير شكله، وهو يقول:

*أمل ألا تحمليها في نفسك ضدي.
فابتسمت وهي تهز رأسها ثانية، وقالت مطمئنة:
سأصفيك عنك...

وعجبت من نفسها أن ليلي اوجت اليها بأنه كان جامدا... كان رجلا فاتنا، بالرغم من الفم الحازم الذي كان يوحي بقسوة، لكنها أدركت بغريزتها أنها لا يمكن أن تكون قسوة ظالمة. كان رجلا قادرا على أن يمزج الحزم باللطف. وأذ ذاك تبددت آخر هواجسها نحو الاختيار المفاجيء الغريب الذي صدر عن ليلي فبالرغم من قصر عمر المعرفة، أدركت مرغریت أن رويز الدوريت كان أهلا للثقة، وأنه كفيل بأن يسعد ليلي.

* * *

قطع على ليلي أنهماكهما في العمل في الحديقة، وعلى جولي انصرافها للقراءة، قدوم التوأمين وقد خططا وجهيهما بأحمر شفاه جولي، وزينا رأسيهما بالريش، وأخذا يصرخان بجنون، وهتفت جولي:

*يا الهي! عاد الهنديان الى الحرب ثانية!
فقال تيس في صرامة:

المرأة الشاحبة الوجه أسيرتنا.

وهتفت جولي بأن تبادل بالانسحاب. وأبتسمت الصغيرة ابتسامة متملقة، وقالت لجولي:

ألن تقبلي؟

فأومأت جولي بأستسلام. والتفتت تيس الى ليلي قائلة:

وأنت الأخرى؟ أنك لا تصلحين أسيرة، فأنت تجيدين تسلق الشجر.

وتأملها توم بعناية، ثم قال لجولي:

أنك تصلحين لأن تكوني اميرة هندية، أسرتها قبيلة أخرى.

وأومأ الى ليلي: وأنت الزعيم الشهير، الذي يحاول انقاذها.

وكان لزاما أن يخطط التوأمين أختيهما بأحمر الشفاه. وتحمست جولي، وأخذت تعبت بشعر أختها الكبرى وهتفت تيس، مغتبطة:

*الآن تبدو هندية حقا!

وأقبلت تزين جبينها بنطاق من الريش. وأخذ توم يرسم خطوطا على وجهها، غير أبه باحتجاجها. وأنصاعت ليلي وهي تشعر بأنها ما كان ينبغي أن تفعل ذلك. وأتكأت جولي على شجرة تفاح قديمة تنأملها صامتة، بينما غاب توم لحظات، وعاد يحمل صندوقا كبيرا من الورق المقوى، مصطحبا كيري التي بهتت لأول مرة، ثم انطلقت ضاحكة لزميلتها:

*ليتك ترين شكلك!

جلس التوأمين القرقصاء حول الصندوق يتشاوران، بينما راحت جولي وكيري تتبادلان نظرات مغتبطة، تتعجلان الاحداث، وليلي ترمق الصغيرين بحذر... ثم رأت توم يقبل بقطعة من الطباشير الازرق، فيرسم خطا عريضا بعرض جبينها، وآخر على طول أنفها، وهي صامتة مستسلمة... ثم أحاط السروال الكاكي الذي كانت ترتديه بحزام جلدي، تدلت منه مديّة، وأعطاهها بلطف من الورق المقوى ووقف وتيس يتأملان نتيجة ما فعلا... وهتفت كيري وعيناها ترقصان:

* النتيجة النهائية تفوق ما يصدق العقل... هذا منظر جدير بالتسجيل. والتفت الى جولي، وقالت:
* هل أحضر آلة التصوير؟
صاحت ليلى معترضة:
لا..*

ولكن الصغيرين أخذوا يلحان، فانصاعت مرة أخرى، ودخلت كيري الدار لتحضر آلة التصوير بينما أستسلمت جولي وهي مستمتعة بما جرى للصغيرين اللذين أخذوا يوثقونها الى الشجرة بطريقة كان بوسعها أن تتحرر منها متى شاءت. وأبتسمت ليلى وقالت للتوأمين، وهي ترفع البلطة الورقية فوق رأس جولي:

* أتودان أن أقف مهددة، عند التقاط الصورة؟
فصاحت جولي:

* المفترض أنك جئت لانقاذي..*

وتأملت تيس المنظر ثم قالت لأختها الكبرى:

* أرى من الأفضل أن تتسلفي الشجرة..*

وتحت الحاج الصغيرين، أضطرت لتسلق شجرة التفاح بمهارة اكتسبتها في ماضي السنين. وبسطت جسمها على أحد الفروع غير العالية، متشبثة بالشجرة باحدى يديها، ممسكة بالبلطة الورقية باليد الاخرى.

* * *

في تلك الاثناء، كانت كيري قد دخلت البيت، وعندها سمعت سيارة تقف في الخارج. وتناولت آلة التصوير، ثم خرجت معتقدة أن مرغريت ديرموت قد عادت... وأتسعت حدقتها ذعرا، حين رأت الشخص الذي كان يصحبها!
هتفت مرغريت مبتسمة:

* مرحبا يا كيري! أظنك على معرفة بالسيد الدوريت..*
وعص حلق كيري انفعالا، وكان روييز قد رآها في العمل طبعاً، ولكنه لم يولها انتباهه، أما الآن فقد أدرك أنها كانت مع ليلى في مقصورة المطعم، يوم أوسعته هذه انتقادا...
تساءلت مرغريت:

* أين الفتاتان؟*

وأضطرت كيري وهي مترددة الى أن تقول انهما في الحديقة، وأن هي اللاحظة، حتى أنبعثت صيحة حرب

منكرة، فضحكت مرغريت قائلة، وهي ترمق آلة التصوير:

* أتلتقطان صوراً للهنديين؟*

فأقرت كيري ذلك متلعثمة، وهي تساءل نفسها... كيف تستطيع أن تنبه ليلى وقالت أخيراً:

* أرى من الافضل أن أخبر ليلى بأنك رجعت...*

وفي هذه اللحظة أنبعثت صرخة من الحديقة، وبدت أنها صرخة ليلى، فقالت مرغريت ضاحكة:

* أذن فقد أستدرجا ليلى الى إحدى ألعابها الهندية؟*

فقالت كيري تنبها، وهي ترمق روييز بنظرة جانبية:

* أجل. وقد أكسبها هيئة الهنود... يحسن أن أخبرها... أعني...*

ونظرت مرة أخرى نحو خطيب ليلى.

وهزت مرغريت رأسها، وقالت ضاحكة:

* أعتقد أن السيد الدوريت لن يمانع..*

وأبتسمت للرجل، وفي عينيها وميض مكر، وقالت:

* أنه منظر جدير بالمشاهدة حقاً... إذا كان شبيها بما فعله بها التوأمين في آخر مرة..*

فقالت كيري في ارتباك:

* أنه أسوأ.. ولكن مرغريت قالت:

* هذا أفضل، وتناولت آلة التصوير من كيري وهي تقول:

* وأنى أوافق على أن نلتقط لها صورة..*

وعندها خرج الثلاثة من البيت، كانت ليلى فوق الشجرة.. وهكذا وصلوا الى الحديقة في لحظة مثالية، ليري روييز الدوريت اعجب منظر أذهله في حياته... فالى شجرة تفاح عتيقة، كانت ثمة فتاة حسناء موثقة بطريقة بدائية، والرياح تعبت بشعرها، وعلى وجهها تظاهر بالخوف تخالطه الرغبة لا تقاوم في الضحك.. ومن خلف شجرتين صغيرتين برز وجهان صغيران مخططان بالألوان، يعلوهما ريش، ولكن المشهد الرابع هو الذي سبب الشعور بالمفاجأة المذهلة الواضحة على وجهه... فعلى أحد فروع الشجرة كانت سكرتيرته الكفاء -

التي أعتادت السيطرة على نفسها - وقد تدلى شعرها البرونزي اللامع واصطبغ وجهها بالخطوط الحمراء والزرقاء..

والتفتت ليلى اذ سمعت ازيز آلة التصوير، فاذا الذعر يقفز فجأة الى عينيها وودت لو أنها تستطيع أن تفوص في جوف الشجرة... وأطلت غير مصدقة فالتقت بعيني روييز الدوريت السوداوين اللتين تجلت فيهما الدهشة الطاغية مع

انبساط لا سبيل لأنكاره .

وأذ اقترب من الشجرة تحركت ليلى بغية الهرب بطريقة ما، ولو بالتسلق لارتفاع أكبر، والاختباء بين أوراق الأشجار، ولكن حيرتها وأرتباكها أفقدها توازنها . . . وحاولت أن تستعيد بالتشبث باليد التي كانت تمسك بالبلطة الورقية . . . وأذ بها تهوى فيتلقاها بين ذراعيه، وظلت لثانية واحدة بينهما وقد جمد حراكها من الصدمة . . . ثم أنتزعت نفسها متخلصة، وهي تغمغم بكلمات غير واضحة، وجرت بكل ما أوتيت من قوة، فلم تتوقف الا حين لاذت بحجرتها . وهناك، رأت لأول مرة كيف كان شكلها تماما !

كان البنطال والبلوزة قديمين، وعليهما آثار من التربة خلفتها عنايتها بالحديقة، وبضع بقع من طلاء اخضر منذ ساهمت في طلاء الكاراج . . . وعلى كل شفة ثلاثة خطوط عريضة من طلاء الشفاه الاحمر، وشريطان أزرقان عبر الجبهة وخط بفرع اي هندي حقيقي، بالاضافة الى عصابة خضراء تلف الشعر البرونزي، وفوقها ريشة مائلة . وكانت المدية تتأرجح عند خاصرتها . . . وأنتبهت اذ ذاك فقط الى أنها كانت مازالت قابضة على البلطة الورقية التي طليت باللونين الاحمر الفاقع والاسود . كانت صورة غنية بالألوان غير التي اعتاد رويز أن يواجهها !

* * *

ما لبثت ان ألقت بالبلطة، وجلست على السرير، وتملكها ضحك كضحك الاطفال . وهكذا وجدتها كيري حين دخلت الحجر، فحملت فيها في البداية، منزعجة، ثم عاودتها الابتسامة اذ أبصرتها وقالت:

"الحق أن منظرك عجيب !"

فأقلت ليلى وهي تكاد تبكي:

"ماذا ترينني فاعلة يا كيري؟ لا أستطيع أن أنزل وأواجهه !"

قالت كيري:

"يبدو أنك مضطرة لذلك . . . أنني أسفة اذ لم أنذرك، ولكن أمك سمعت صيحات الحرب، فأدركت ما كان يجري، وظننت أن خطيبك العزيز سيعجب بالمنظر ."

فشرعت ليلى في الضحك ثانية، وهي تقول:

"ما رأيت على وجه أحد ما كان على وجهه من دهشة،

ولكنه ضحك !"

ونفضت فخلعت حزام توم ومديته، ونزعت العصابة والريش، وقالت وهي تغيب في الحمام:

"يحسن أن أشرع في إزالة اصباغ الحرب"

وعادت بعد برهة، كانت بشرتها ناصعة لامعة، وخصلات شعرها متهدلة على كتفيها . . . فلما خلعت ثوبها، رأت صديقتها أنها كانت أكثر فتنة من أن ترتبط بزواج مصلحة، ولكن رويز الدوريت كما تبادر لذهنها كان أبعد ما يكون عن العذرية المتزمتة .

وراقبت كيري ليلى وهي تتناول تنورة سوداء وبلوزة بيضاء، ثم قالت مبتسمة:

"ألا ينبغي أن ترتدي شيئا أكثر أنوثة؟ أنك لست في المكتب الآن . . . والمفترض أنه الحبيب المفضل ."

فترددت ليلى لحظة، ثم أعادت القطعتين وتناولت ثوبا أكثر أنوثة، ذا لون اخضر ضاربا للاصفرار الليموني، كان خير ما يبرز لون شعرها . وراقبتها كيري في تقدير، ملاحظة التصاق الثوب بقوام صديقتها الممشوق، بينما كانت ليلى تفكر في أن هذا كله كان عناية ضائعة بالنسبة لرويز، فما كان ليلاحظ أي اختلاف فيما ترتدي . كان بروس هو الجدير بأن تتأنق له، وليس الرجل البارد العواطف الذي ينتظر بالطابق الأسفل !

وألقت على كتفيها وشاحا، وتحولت تعنى بشعرها البرونزي البهي المتموج على ظهرها، ولكن كيري تناولت الفرشاة منها، قائلة:

"دعي هذا لي، فذلك أسرع ."

وبعد فترة وجيزة، كان شعرها تاجا براقا معقوصا حول رأسها، وأكتسى وجهها بزينة خفيفة ذات لون طبيعي، وتهيأت ليلى للنزول، وهي موجسة تماما . . . كيف سيقدّر لها أقناع أسرتها بأنها كانت تحب رجلا لا قيمة شخصية له لديها؟ والاسوأ أنه رجل مغلّق بارد من الناحية العاطفية، اعتاد أن يبعث فيها اضطرابا، كتلميذ يخشى أن يبدر عنه ما يعتبر قحة !

كان التلطف الوجيز الذي ابداه في أول صباح لخطبتها قد تلاشى، وعاد لطبيعته العادية الى حد كبير، مما جعلها تسائل نفسها عما كانت ستصادف في ذلك الصباح .

* * *

غمغمت كيري، وهما تغادران الحجرة:

* اعاننا الله... أن تيس على الأقل بعيدة عن طريقنا...
وتصاعدت صيحات التوأمين من الحديقة، فقد كانت لتيس
عادة النطق بما يتبادر الى ذهنها.

وأحدث ثوبها خفيفا وهي تهبط الدرجات... وشعرت أنه
كان يجدر بها ارتداء هذا الثوب لبروس... وأحست بحنين
يفوق ما كان يخالجها في أي يوم قبل اكتشافها حبه لستيلا.

كان الألم في أعماقها قاسيا، حادا وساءت نفسها:
* هل ستكون مثل جانيس مارتن، تتحسر بقية عمرها على رجل
ما كان من الممكن أن تحظى به...

لقد قالت جانيس مارتن، أن الزمن يلثم الجرح ولكن الوجد
الصامت يظل كامنا حتى لحظة إثارة الكوامن... وكانت تلك هي
اللحظة التي لا ينبغي لها أن تتذكرها... كان عليها أن تجبر
نفسها على النسيان، بقدر ما تستطيع، وأن تركز اهتمامها
على ما ينبغي ان تفعله... كان هذا صعبا والموقف على ما هو
عليه، دون حنين الى الرجل الذي أحبته، لا الرجل الذي
تظاهرت بحبه، لأن عليها أن تكون ابرع اداء من أية ممثلة...
بل أن دورها أصعب إذ أنها تمثل في الحياة وليس على
المسرح.

أجتازت البهو وكيري الى جوارها، ودخلت قاعة الجلوس
الكبيرة وكانت دائما مريحة، نظيفة، يسودها جو البيت
الحقيقي، بما للبيت من معنى الطمأنينة والسكن.

وكان أبوها قد عاد في تلك الاثناء، وأنضم الى الأسرة...
ولاح أن رويز كان يتحدث اليه بقدر من عدم التكلف... ولكنه
نهض واقفا إذ دخلت الفتاتان وعيناه السوداوان
تتأملانهما... كانت الرابطة الوثيقة بينهما واضحة له، ثم

صادفت نظرتة عيني كيري، فرأى بأنها مثل ليلي لم تكن
شديدة الاطمئنان الى مقدرته على الماضي في التمثيلية...
كانت موزعة بين قلقها على ليلي، وأستغرابها فكرة أن يقوم
بدور كهذا... وتذكر كلمات سمعها في مقصوره بمطعم ريكي.

أما ليلي، فكادت لا تجسر على النظر اليه، ولكنها لاحظت
لأول وهلة بمجرد دخولها إذ رأته يتحدث مع أبيها، أنه كان ذا
طباع لطيفة، اذا ما شاء أن يبيديها، وكان جذابا بدرجة غير
عادية... وبذلت مجهودا لترسم ابتسامة على شفثيها،
ولدهشتها اذا به يحييها بابتسامة كانت كمفاجأة اذهلتها،
ولكنها مفاجأة سارة ولو أنها اضطربت لها قليلا... ما

كانت تتصور قط أن تحدث ابتسامة كل هذا التغير... كانت
ثمة مناسبات في العمل شهدته فيها يبتسم، ولكن الابتسامة
في هذه المرة كانت تنطوي على شيء مختلف بدرجة كبيرة،
حتى أنها جعلت أنفاسها تتهدج بطريقة غريبة، وأوحت اليها
بأنه يستطيع أن يكون خطراً على راحة بال أية امرأة بفتنته
السمراء، ومفناطيسيته عندما يبتسم.

وقال وهي تجاهد لتفريق من هزة ابتسامته غير المرتقبة:

* مساء الخير يا عزيزتي...*

وبدا وكأنه كان يستخدم كلمة الاعزاز منذ سنوات
طويلة... قد يكون أستعملها لأنه لم يكن يعرف أسمها الاول،
فقد كانت متأكدة من أنه لم يفكر فيها قط الا ك... أنسة
ديرموت... ثم ليزيد من دهشتها جذبها اليه واحاط كتفيها
بذراع مسيطرة نوعا ما وكان ذلك كان تصرفا طبيعيا بالنسبة
اليه.

وأردف بلهجة جعلت الاسرة تضج بالضحك:

* لعلك تعرفيني بالآنسة التي قابلتها فوق الشجرة منذ
قليل...*

فقالت وهي تحاول أن تألف ملمس ذراعه حول كتفيها:

* أرجو أن تنساها...*

وضحكت مرغريت قائلة، وهي تهز رأسها:

* كلا... لقد التقطنا لها صورة جميلة، وسأعطي خطيبك نسخة
منها...*

وأجاب رويز:

* شكرا لك... أستطيع أن أبرزها لها اذا حاولت الاسراف في
الوقار معي!*

وأبتسم لها، بالطريقة ذاتها، فضحكت ليلي باضطراب،
وتخلصت من ذراعه بالجلوس على الاركة.

ضحكت أمها قائلة:

* أستطعنا أن نقنعه بأنه لا يتزوج هندية حمراء، ولكن هذا
تطلب جهدا...*

وأثار قولها الضحك من جديد، فسرت ليلي لذلك، لأنه كان
كفيلا بتبرير الارتباك والحيرة اللذين تجليا على أساريرها...
وقد جلس رويز الى جوارها، واحاط كتفيها مرة أخرى بذراعه
بنفس الحركة الطبيعية، المسيطرة، وما كانت بقادرة على أن
تتقبل الشعور بذراعه وهي متمالكة الجاش... وزادها
اضطرابا غريبا وجوده قريبا منها.

راحت مرعريت ترمقها مبتسمة ٠٠ وأذا كانت قد لاحظت بعض التحفظ في مسلك ابنتها، فكان من السهل تفسيره بأنها ما كانت ابدا ممن يكشفن عواطفهن أما الملام ٠٠ وأذهلت ليلي ازاء التبسط الذي أنساق به رويز لدوره ٠ وتبادلت مع كيري نظرة تظهر انها غير مصدقة، بينما قالت نظرة كيري صراحة: ما كنت أظنه ينطوي على شيء كهذا ٠٠٠ واعترضت نظرة رويز نظراتها، ولعل هذا ما دفع بابتسامه مفاجئة الى فمه الحازم ٠ وسرها وادهشها سهولة اندماجه مع أسرتها، فلم يبد أن أحدا منهم كان يفكر في مركزه أو ثروته، لهذا خلا الجو من أي توتر ٠٠٠ بينما تجلى عليه شيء من الجاذبية جعل نظراتها تتعلق به مبهورة رغما عنها ٠

★ ★ ★

تحول الحديث بعد فترة الى موضوع وطنه القديم، فسألته مرعريت بابتسامه:

حدثنا عن بيتك في المكسيك، أظنه كما قالت ليلي يسمى كاراسترانو
فأوما برأسه قائلاً:

هذا صحيح ٠ أنني لم أره منذ عشر سنوات ٠
وشردت نظرات عينيه السوداوين بعيدا، وأختلجت شفثاه بابتسامه شبه حزينة، وكأنما نسي كل الموجودين، وهو ينظر الى ماضٍ دفته ٠ فقالت ليلي بان دفاع لم تتمالكه:
ما أحسبك نسيت ابدا!

التفت اليها وقد رقت نظراته بدرجة لم تكذ تصدقها، فلم تدر أكان هذا جزءاً من التمثيل، أم أنها كانت رقة صادقة لأنه كان يفكر في شيء مهم له ٠٠٠ وقال برقة:
*كلا، لم أنس قط ٠٠٠ وبدا في عينيه السوداوين للحظة عابرة ألم مرير، جعلها تود ان تمد اليه يدها ٠٠٠ وأردف:
ما أظنني سأنسى أبدا ٠ وما كانت ثمة حاجة به لأن ينسى، وقد آل قصر كاراسترانو اليه ٠

وما لبث أن ابتسم فأدركت في هذه المرة أن ابتسامته تظاهر لأنها كانت الابتسامه الدافئة التي كانت تثير فيها اضطرابا، وقال:

سنعود الى هناك معا، وهكذا أفضل بكثير من ذهابي وحيدا
وقطع الصمت صوت صفيير سليط: عندما تفرغ من أبداء

حك لها، نود أن نسمع مزيدا عن المكسيك ٠ فصاحت مرعريت وقد عرفت صوت ابنتها الصغرى دون أن تلتفت اليها تيسر! كانت الصغيرة تجلس على حافة النافذة، مدلية ساقيها داخل الغرفة، وحول رأسها أحد اربطة عنق ابياها، تلتصق به ريشة، كان منظر تيسر أو تيريزا ديرموت مضحكا، وأن لم يبلغ مبلغ اختها الكبرى قبل قليل ٠ وابتسم رويز وهو يقول لها:

ماذا تودين أن تعرفي ٠؟

كانت ليلي جدية بأن تنذره بأن اختها لا تقنع بالقليل ٠ ورمقته تيسر باهتمام صريح، ثم انزلت عن النافذة، وأقتربت تتأمله عن قرب ٠ وأرتجفت ليلي أشفاقا مما قد يصدر عن اختها التي لا سبيل لكبح جماحها ٠٠٠ وأخيرا قالت تيريزا الصغيرة:

هل ينحدر أجدادك من سلالة الفاتحين؟

أجل، كان منشيء فرعنا من الاسرة دون اكزافيير ويقال انني أشبهه نوعا ما ٠

هتفت تيسر عجبا، وعادت تتأمله باهتمام وتساؤل، وقالت:

ما شكل قصركم؟

قال:

كاراسترانو؟

وابتسم بطريقة أنبأت ليلي بأن أفكاره ارتدت الى هناك، وقال:

انه كبير مترامي الأطراف، عتيق جدا، تحف به الزهور من كل جانب ٠ وفي الفناء الداخلي نافورة يبدو كأنها تغرد، غني بالزهور، لا سيما الورود لأن أمي كانت تحبها أكثر من الزهور ٠٠٠ كانت انكليزية، ولكني لم أعرفها قط، لأنها ماتت عند مولدي ٠٠٠ وأغتيل والذي بعدها ببضع سنوات ٠

وشعرت ليلي بجزع، اذ سكت خشية أن تسأله تيسر عما دعاه لترك موطنه والاقامة في انكلترا ٠ ولكن الصغيرة قالت:
وكانها تسدي اليه صنيعا: *أتود أن تحضر حفلة عيد ميلادي؟*

همت ليلي بأن تعتذر نيابة عنه، ولكن رويز أدهشها اذ ابتسم لتيسر وقبل دعوتها بجدية رصينة قائلاً:

شكرا يا آنسة ديرموت ٠٠٠ يشرفني أن أحضر، فلعلك تخبريني إذا حان موعده ٠

وأطرب تيسر أن يدعوها الآنسة ديرموت، وبادرت باخباره بأنها وضعت فعلا في قمة معارفها من الكبار ٠ وفي اللحظة ذاتها، التفت عينا ليلي بعيني خطيبها فابتسما ٠٠٠

وبسبب النظرة الوجيزة، والابتسامة، أدركت ان الأمر لم يكن ادعاء، إذ شعرت بخجل لا تفسير له، غضت بصرها وبدلت موضوع الحديث.

وبعد تناول الشاي خرجت ليلي مع رويز الى البهو، وهو ما بدا أن الجميع توقعوه، كرجبة منها في الفرار من الحرج، ورجبة منهم هم في أن يخلوا لهما الجو، لتودع ليلي خطيبها، وبادرت ليلي بأثارة موضوع عيد ميلاد تيس، فقال بصراحة:

"أترين الا أحضر؟"

وأجابته:

"كلا ٠٠٠ كلا، طبعاً. أنما عنيت أنها لا تكاد تكون مناسبة مما يروق لك."

"لعلك لا تعرفين ما يروق لي ٠٠٠ الا ترين هذا؟"

وظنت للحظة أنه ليس راعياً في الحضور، فقالت:

"بلى ٠٠٠ لهذا اتيح لك الفرصة، أن شئت الرفض. وبوسعي أن ادعي أصابك بانقلونزا طارئة. أن حفلات تيس عادة تنتهي بصخب."

فنظر اليها وأساريره تنم عما في نفسه، وسألها:

"أكان خطيبك السابق يحضر حفلاتها؟"

فلما أومأت بالايجاب، قال بحزم قاطع:

"أذن فلست أرى ما يدعوني لرفض دعوة أختك."

وقالت في نفسها:

"أذن فلا يلومن الا نفسه، إذا تورط في دعايات تيس. على أنها، وهي تفكر في إحدى اللعب المحببة الى أختها، رأت ان تبذل جهداً أخيراً لتحذيره."

"من العاب تيس المفضلة لعبة العقوبات فهي توجه أسئلة، بحيث تفرض عقوبات على أحد منا. وفي عيدها يطلق لها العنان أكثر من المعتاد، وإذا أمكن فائناً ننفذ كل ما تقضي به. وسيكون مرتقباً منك أن تحذو حذونا."

أبتسم وسألها:

"ما الذي تخافينه بوجه خاص؟"

فقالت:

"لا أدري ٠٠٠ ولكن لا يستغرب من تيس أي شيء! وتحوّلت نظرته اليها فجأة الى نظرة نافذة، متفحصة، وقال:

"أذن سنحاول الاندع أسئلتها توقعنا. وهناك امر آخر ٠٠٠ تمثيلنا هذا ٠٠٠ عليك أن تكون أفضل أداء، والا كشفت

انه تظاهر وادعاء!"

تضرج وجه ليلي وقالت:

"أنني أسفة ٠٠٠ من العسير ٠٠٠"

ومنعها صوته المتميز بشيء من السخرية، من أن تكمل، إذ قال:

"هذا صحيح، ولكنه كان اقتراحك، وليس لك ان تتراجع في هذه المرحلة."

فنظرت اليه ورفعت رأسها في كبرياء، وقالت:

"ما كنت أفكر في التراجع يا سيد الأدوريت. أنني لا أبدأ عادة الا ما أوقن أنني سأكمله."

قال في رفق:

"أنني متأكد من هذا."

ثم عاد يرمقها بتطفل ساخر بدا يضايقها، وأردف:

"أسمي على فكرة رويز ٠٠٠ مثل لويس فيما عدا تغير الحرفين الاول والأخير في كل منهما. وسيدو مستغرباً أن تواصلني مخاطبتي بتكلف، لا سيما أمام اسرتك. وأومات برأسها، وهي تشعر بشيء من الحرج إذ تضطر لأن تناديه باسمه."

وفجأة قال وقد عاودته اللهجة الهازئة، وكأنه شعر بما ساورها:

"أنني أسمح لك تماماً ان تناديني به، ثم هناك أمر آخر."

ودس يده في جيبه، وأخرج علبة سوداء صغيرة، وحدست بغريزتها ما جعلها تعقد يديها خلف ظهرها في حركة طفولية لم تستطع مقاومتها. كان تقديم الخاتم رمزا للحب وعهدا للمستقبل، ولكن هذا الخاتم بالذات كان وجهاً آخر من وجوه التظاهر. كان الدليل الظاهري لصفحة فارغة لم يعرف حقيقتها الا كيري طبعاً، وبروس.

أرتفع الحاجبان الاسودان في أستغراب هازيء واضح، وأمسك باحدى يديه الرفيعتين رسغها الايسر، وقال:

"يؤسفني أنه شر محتوم. أنني أدرك هواجسك، ولكن لا داعي لاعتباره رمزا لا رتباط باق."

فرفعت رأسها بتحد وهي تتساءل عما عساه كان يساور افراد الاسرة لو رأوا هذا المشهد. رويز يقف ممسكاً بمعصمها باحدى يديه لا يفلته، بينما يمك بيده الاخرى علبة وقد أرتفع عطاؤها عن خاتم ذي حجر من الياقوت العميق الزرقاء. وقالت أخيراً:

"ما كنت أفكر على هذا النحو ٠٠٠ أنما بدا لي أنه ٠٠٠ تبذير

لا داعي له *

* ولكنني أظنك توافقين على أنه إجراء طبيعي... فستتوقع
أسرتك أن ترتدي خاتما *

وأقرت رأيه وهي تقف بلا حراك بينما أحاط أصبعها
بالخاتم، بعكس ما توقعت من أن يعطيها العلبة ويطلب منها
أن ترتدي الخاتم. كان هذا أكثر تمشياً مع اتفاقية المصلحة
التي أبرمتها معه، ولكن هذا لم يخطر له، وإذا كان قد خطر
فانه أثر أن يتجاهله، لتكون الخطبة أقرب الى ما هو متعارف
عليه، وأدهشها أن الخاتم ناسب أصبعها تماما، وكأنه صنع
خصيصا لها!

قال وفي عينيه نظرة غامضة المعنى، وجدت أن من العسير
أن تصمد لها:

* أتمنى أن يكون فالأ حسنا... *

ولم يذكر لأي شيء هذا الغال، ولكنه زادها ذهولا إذ أنحنى
ومس بشفتيه النحيلتين يدها، قائلا بفكاهة ساخرة:
* وهذا أيضا متعارف عليه عند تقديم خاتم الخطبة.*
بينما تحاشت ليلي النظر الى وجهه!

* * *

تمتت أخيرا:

* أنه خاتم جميل جدا!

قال وفي صوته رنة التهكم ثانية:

* لعله كان ينبغي أن أقول أنني اخترته ليناسب لون عينيك.*
فعبقت على الرغم منها:

* ما تصورت أنك تعرف لونهما!

رفعت يده ذقنها فجأة للحظة أمسكت فيها أنفاسها، إذ
خامرتها فكرة رعناء بأنه يوشك ان يقبلها. ولكنه اكتفى بأن
ابتسم في شيء من الاستهجان - أراه حدس ما جال بخاطرها -
وتركها قائلاً:

* لا بد أنني اعرف الآن ان لونهما لون الختم تماما. أنني على
الأقل لم أفكر في أنك قد تفضلين اللباس.*

ما كانت تظنه يعرف شيء عما تفضله، ولا عن لون
عينيهما... كان أعجب رجل حقاً. وقالت متلعثمة:

* أنني... أفضل الياقوت.*

قال وهو يوجه بصره الى باب قاعة الجلوس المغلق خلفهما:

٧٤

* حسن. أترين من المناسب الآن أن أنصرف؟ أترينهم أنهم
أفسحوا لنا وقتاً كافياً؟*

وشعرت ليلي بالدم يتدافع الى وجهها ثانية، وسخطت في
نفسها إذ خطر لها أن أي أمرى خليق بأن يظنها تلميذة
طائشة... ما الذي أصاب هدوء اعصابها واتزانها اللذين
اعتادت الاحتفاظ بهما مهما تكن الازمات؟

قالت في تردد:

* أظن... أظن ذلك.*

وأجفلت على الرغم منها، إذ مد يدا قوية الى شعرها،
فعبثت بتناسفه، قائلاً في اقتضاب:

* هذه إضافة ضرورية! لا سيما لفتاة المفترض أنها كانت
تودع الرجل الذي تحبه!*

ومرة أخرى شعرت بوجهها يتضرج، ولم تجد كلمة واحدة
تقولها، وهي بعد تشعر بلمسة شفتيه الجامدتين ليدها.
وأخيراً، رفعت رأسها في كبرياء غير متعمدة، وقالت:

* طبعاً، إذا كنت تعتبر أن التأثير غير واقعي بدرجة
كافية...*

لم تكن ثمة حاجة الى التهكم في صوته إذ قال:

* أنني أعتقد أنه واقعي بدرجة كافية.*

وتلاشت تحت تهكم صوته ونظراته الكبرياء التي خالطت
صوتها. بينما أردف هو:

* أذن، أرى الوقت قد حان لأقول... أديوس.*

وذهلّت للمفاجأة مرة أخرى، إذ استعمل الكلمة الاسبانية
للوداع، ومع ذلك فقد لاحت مناسبة تماماً، في تلك اللحظة!

ردت ليلي بالكلمة ذاتها، وهي تعجب مما جعله يستعملها،
فما عهدته ينثر الكلمات الاسبانية في حديثه. أترى فكرة
العودة الى كاراسترانو تحطم حاجزاً ما؟ وإذا صح هذا، فماذا
كان خلف الحاجز؟ وقال:

* أليس لديك شيء آخر تضيفينه؟*

فقالت والحياء يغلبها:

* أديوس... يا رويز.*

وقفت بعد أنصرافه مستغرقة في التفكير، لا تدري حقيقة
رأيها به. كانت الشخصية الباردة المتباعدة في المكتب
مالوفة لديها، حتى الطريقة الساخرة، الهازئة... أكان هكذا
في كل معاملاته مع النساء، إذا تجاوزن التكلف المحض؟ ولكن
الشخصية الثالثة لروييز الدوريت هي مبعث

٧٥

الدهشة الكبرى لديها، شخصية مجهولة منها تماما...
شخصية الرجل الذي ابتسم لها في دفء متكاسل، والذي جعلتها لمستته تظن بقوة الى جاذبية شخصية شديدة، ما كانت تعلم أنه أوتيتها!

★ ★ ★

كانت عيناها توحيان باستغراب في التفكير، حين عادت الى قاعة الجلوس لتقابل بنظرة مبتسمة من أمها، وهي تبادلها قائلة:

"أعرف أنك ستوجهين سؤالاً لامناس منه، وسأوفر عليك العناء... أنني أميل اليه... كثيراً جداً..."
فتحولت ليلي الى أبيها تسأله:
"وأنت؟"

قال جون ديرموت، وهو يهز رأسه، مقطباً نوعاً ما:
"رجل بديع، لا أتمنى سوى أن أتأكد من أن الامور ستنتهي خير انتهاءً بالنسبة لستيلا وبروس..."
فسألته وهي تحرص على الا يبدي صوتها الفضول العادي:
"ولم لا؟"

قالت مرغريت:
"أنا لم نصارك من قبل، ولكننا كنا غير مطمئنين قليلاً حينما خطبت الى بروس..."
فعدت ليلي تتساءل:

"من حيث؟"
فقال أبوها:
"لقد قلتها مرة من قبل، حين فسخت الخطبة... أنه ضعيف، يريد الاتكال على الناس..."
فقالت:

"لم ألاحظ هذا أبداً..."
قالت أمها:
"أنه شيء متوار، تحديسه أكثر مما تعرفينه عن يقين. لهذا دهشنا حين قيل أن ستيلا وقعت في هواه..."
فقالت جولي:

"لعله دبر هذا اصطناعاً..."
فبادرت ليلي بان دفاع غير أرادي، وهي تتذكر ما رآته حين فتحت باب قاعة الجلوس بهدوء:
"كلا... أعني أن هذا شيء سمعت ستيلا تقوله..."

وأذ نظروا اليها في تساؤل، لم تشأ أن تذكر لهم السبب الحقيقي في تأكيدها، وقالت:
"لم أشك في البداية، ولكن الامر تجلى لي فيما بعد..."
علقت جولي قائلة:

"هذا غريب حقاً، عندما يفكر المرء فيه... ما تصورت قط أن ستيلا قد تود الزواج من شخص مثل بروس، ولكن، قد يكون هذا رد فعل لما تلقاه من الرجال الذين تمثل معهم..."
وأضطرت ليلي لأصطناع ابتسامة واهنة، وهي لا تدري ما يدعوما لتقبل هذه الملاحظات عن بروس وهي ساكنة النفس. ومالبت أن قالت:

"أعتقد أنه عادي... والامر كما قلت رد فعل من ناحية ستيلا، ولكنني أثق بأن كل شيء سينتهي الى خير نهاية..."
وفكرت كيري مكتئبة:

"سينتهي الى خير نهاية لستيلا، فهكذا حظها دائماً..."
يبدو أن فكرة صغيرة، غريبة، خطرت لها في تلك اللحظة... كان من المؤسف أزاء الاداء الذي مثل به رويز الدوريت دوره في ذلك اليوم الا ينتهي الزواج الى زواج حقيقي. إذا كان الرجل الذي رآوه في ذلك اليوم هو رويز الدوريت الحقيقي، وليس مجرد ممثل، فقد داخلها شعور بأنه كفيلاً بأن يفوق بروس بكثير في أسعاد ليلي.

ابتسمت مرغريت فجأة في تخابث، وقالت:
"أليس صاحبك رويز فارساً أسبانيا عظيماً حقاً؟"
فتضرج وجه ليلي وقالت:
"نعم، أراه كذلك. الواقع أنني ما لاحظت هذا من قبل. لقد اعتاد... أن يكون بارداً متباعداً، منطويماً، حتى أنك لتنسين أنه نصف أسباني..."
فأبتسمت جولي قائلة:

"أراهن أنه يدعك الآن تنسين هذا..."
ما كان من سبيل لتفادي حمرة الخجل، وهي تتذكر الدفء الذي كان في عينيه اليسوداوين، والذي كان أبعد الأمور عن التوقع. وتساءلت كيري وهي ترمقها:
"أصحيح هذا؟"

والتفت نظراتهما، فابتسمت ليلي ابتسامة ضئيلة، وقالت:
"لن أتكلم!"
ولكي توقف تدفق الاسئلة، أرتهم اخيراً خاتم الخطبة. وكانت حتى تلك اللحظة تبقي يدها متوارية لسبب لم

تدر كنهه، وهي خجلى مترددة . وصاحت جولي في أعجاب
ردده الأخرى، وهم يتأملون الحجر الياقوتي المربع،
والحجرين الماسيين الدقيقين اللذين أحاطا به .

★ ★ ★

عندما أستلقت ليلي في فراشها في ذلك المساء وجدت
فكرها يستعيد كل دقيقة من تلك الامسية . الفارس العظيم
كما وصفته أمها، كيف سيكون في كاراسترانو؟ كان يبدو
بالتأكيد انه يتمتع بالشهامة والمجاملة التي فطرت عليها
العائلات الاسبانية العريقة، ولكنه لم يؤت الخصلة الأخرى
التي أشتهر بها عنصره . . . ثم تذكرت اللحة الخاطفة التي
مرت بها في البهو، حين خالت انه يوشك أن يقبلها . . . أكان
ذلك مجرد توهم، أم أنها كانت نزوة لم يشأ أن يستسلم
لها؟ .

ثم بدأت تتذكر الفكرة التي ساورتها قبيل انصرافه . أكان
التفكير في العودة الى كاراسترانو يحطم حاجزا أخفى نفسه
وراءه خلال السنوات العشر التي قضاها في انكلترا؟ وأذا كان
الامر كذلك، فكيف كانت حقيقته أكان الرجل البارد المشاعر
المتباعد، الذي عرفته في العمل؟ أم الغريب الساخر؟ أو كان
هناك رويز الدوريت ثالث، لم تحدث وجوده قط قبل اليوم، ولا
عرفت عنه سوى أنه كان قادرا على أن يبتسم وفي عينيه ذلك
الدفع التمكاسل؟

وعندها، فطنت الى أنها ظيلة الوقت الذي قضاه معها، لم
تفكر في بروس، وكان هذا أغرب الامور جميعا !

٦ - التوأمان

لم يرد أثناء العمل يوم الاثنين التالي أي ذكر للتمثيل الذي
أدياه بعد ظهر يوم السبت، فيما عدا تساؤل منهكم اذا كان
كل شيء في البيت على ما يرام، فاستطاعت ليلي أن تجيب
في رصانة كاملة بأن كل شيء بخير وعندها انغلق رويز على
نفسه، وأستأنف املاء خطباته . وفي وقت لاحق من ذلك
اليوم، أخبرها بأنه كان معتما السفر الى كاراسترانو في
يوم الاربعاء، وأنه كان يتوقع أن يغيب حوالي أسبوعين .
وتلقت ليلي هذا النبا على الفور على أنه طريقته لتفادي حفلة
تيس، وهذا ما لم تلمه عليه، لأن أي أمرىء لم يالف هذا
النوع من الامور، كان خليقا بأن يراه ثقيلًا على أعصابه .
ولكنه بادر بتبديد هذه الفكرة، إذ أردف قائلاً أنه عائد في
وقت مناسب لحضوره الحفلة !

جاء بروس بعد ظهر ذلك اليوم ببعض تقارير لرويز، كما
حدث حين التقت به لأول مرة . وحشدت ليلي صلابتها لتسيطر
على نفسها، ولكن السحر كان قد غاب للمرة الأولى . وقالت
في نفسها لعل هذا طبيعي، فأن السحر قد تهشم على أيه حال
يوم عادت الى البيت فوجدته وستيلا بين ذراعيه ! وما خطر
لها أن ألم ذكرى تلك الامسية لم يكن بالغ الحدة، أو أنها
تذكرت قول جانيس ان الزمن يلثم الجروح، اذا ما اتاحت له
فرصة مما خفف عليها .

وسألته:

الم تتلق بعد نبأ من ستيلا؟

وأستغربت في نفسها أنها أستطاعت إطلاق السؤال دون

ألفه تهديج في صوتها ! فأجاب في شبه اكتئاب:

كلا . . . يبداً وأن خطابي لم يصلها بعد .

فقالت تطمئننه:

لا تقلق، فهي ستلقاه، وعندها ستتصل بك على الفور .

وهزت رأسها، وأردفت:

*انني أسفة لأنني لم أفاتحك في . . . في اليوم ذاته، ما كان

ينبغي أن أرجيء ذلك الى أن ظننت أنني أوتيت عذرا

معقولا لفسخ الخطبة!

وكاد بروس يقطب جبينه ولكن لسبب غير الذي خطر لها في البداية وقال:

"أنا لست مرتاحا لما تفعلين، ألا بد لك من الزواج منه حقا؟"
فهزت كتفيها قائلة:

"أحسبنا تحدثنا في هذا من قبل، فلسوف يسهل ذلك لستيلا الامور، ولن يضيرني."

وأضافت محاولة أن تمزح:

"أنا في أية حال سأقضي بضعة أشهر للراحة في المكسيك دون مقابل."

قال في شيء من التجهم:

"أمل ألا يضيرك ذلك، ألا تدركين..."
فقاطعته بهدوء:

"أنك تعرف رويز ألدوريت ليس لدي أتفه شك في أنه سيلتزم بالاتفاق، ومهما يكن ما يخالفك حين ترانا معا، فثق أنه مجرد تمثيل، وهو لم يتغير في الواقع لا يزال تحت مظهره بارد العواطف كالعهد به دائما."

وسألت نفسها:

"تري ألم يتغير حقا؟ كان هذا شيئا لا تستطيع الجزم به..."
ووافقها بروس على مضمض قائلا:

"ربما ولكني مازلت لا أرتاح لذلك..." سواء ارتاح أو لم يرتح، فلم يعد هناك ما يملك أن يفعله، لقد اختارت المخرج ورفضت أن تعدل عنه، وقالت معقبة:

"على أية حال، فأنني حين قبلت الاتفاق وعدت بألا أرجع عنه في اللحظة الأخيرة، أنه أوتى فترة معينة لتنفيذ شروط الوصية، ولو تخليت عنه فسيكون عليه أن يبدأ من جديد..."

"سيكون الوقت متسعا ليعثر على سواك..."
ربما، ولكن ما من ضرورة لذلك، بجانب هذا، كيف تتقبل ستيلا الامر في رأيك إذا أنا فسخت الخطبة الى رويز؟

"لا بد من أن تفسخ بعد مدة، لا بد من فصح الزواج على الاقل..."
فهزت كتفيها قائلة:

"سيكون هذا بعد شهر على الأقل، وكثير من الزيجات تنفصم بعد ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر، ولا تنس أن لدي عذرا مشروعا تماما، فان رويز في وسط لاتيني، ومع أنه قضى في انكلترا عشر سنوات، فسيكون من المفهوم أن تتجدد اذا ما عاد للمكسيك كل الآراء والأفكار القديمة مما يسبب

عدم التكافؤ، أن للمكسيك تراثا أسبانيا قويا، ولديهم آراء عن تبعية النساء للرجال، وأنا شديدة الاعتداد بالاستقلال،

أنني أكره خداع الاسرة طبعاً، ولكن... وتوقفت عن الكلام، وهزت كتفيها ثانية، فتمتم بروس:

"ما أزال غير مستريح لذلك، وعلى أية حال، فلست أفهم كيف اقتنعت أسرتك بهذه السهولة، أنا شخصيا لم أقتنع..."

"أنك تبينت الحقيقة عفوا، ما كنت أعتزم ذلك، أما بالنسبة الى الاسرة... فأرجو الا أجرح غرورك بنفسك اذا قلت أن في المحيط سمكا آخر، وهم يظنونني عثرت على واحدة..."

وتضرج وجهه في أرتباك، بينما أستطردت هي:

"ما كنت أقصد هنا، وأنا كنت أمزح... ما قصدت أن تحمل قولتي على هذا المحمل..."

فتمتم وهو يغالب الارتباك:

"مازلت غير مستريح..."

"ولا أنا... ولكني ماضية في الاتفاق، لو كان في الامر فتاة أخرى، لاكتفيت بفسخ الخطبة، ولكن لأنها ستيلا، فاني اعترم ان أبذل كل ما يمكن لأجعل الامور تسير نحو نهاية صحيحة، فلندع الامور على هذا النحو..."

أقرب يوم عيد ميلاد تيس وروييز مازال غائبا، وأضطرت ليلي الى أن تجعل الجميع يظنونه رحل ليتفقد ممتلكاته، خشية أن تكون ثمة ضرورة لبعض التعديلات قبل أن يذهب معا الى كاراسترانو، وما كان في الواقع قد قال شيئا من هذا القبيل، حتى أنه لم يخبرها بسبب ذهابه الى هناك، ولكن هذا الايضاح بدا مناسباً اذا ما صادف ان سألها شخص ما.

وحان يوم الحفلة، وما من نبأ من روييز عن عودته، بل انه لم يرجع الى انكلترا في الليلة السابقة، وكانت ليلي تهز كتفيها في غير مبالاة اذا ما سئلت وتقول:

"أنني أتوقع وصوله في آخر لحظة..."

ولم يعلق أحد على أنها لم تتلق منه خطابات، لأنها جعلت أهلها يعتقدون أنها تسلمت منه رسائل في المكتب، والواقع أن الرسائل وصلت منه للمكتب، ولكنها كانت مقتصرة على العمل، ومع ذلك، فأنها حرصت على اختيار ثيابها وزينتها كما يفترض في فتاة ترتقب خطيبها، بالرغم من أنها لم تكن متأكدة من قدمه، كان ثوبها في هذه المرة أزرق يضاهي لون حجر الخاتم الذي اهداها اياه، مما ابرز تألق زرقه عينيها.

وعندما نزلت الى البهو ابتسمت جولي، ثم ضمت شفيتها في صفيح اعجاب وتمتمت:
"لا عجب في أنه قرر أنه لا يستطيع العودة الى المكسيك بدونك."

فاومأت لي لي مهددة في مزاح بأنها ستقتلها، مما جعل جولي تضحك.

كانت تتوقع وجود بروس الى جوارها، حين بدأت التدابير للحفلة قبل مدة في حين أن رويز الدوريت هو الذي سيقوم بدور الخطيب الولهان الآن، وباد ان الكلمتان الاخيرتان اثارتا تمللا وعجبا ٠٠٠ أما العجب فلأنها الى وقت قصير ما كانت تتصور أنه أوتى اقل فكرة عن أداء دور كهذا ٠٠٠ أما التملل فلأنه كان عليها هي الاخرى ان تقوم بدور الخطيبة الولهانة.

وكان خليقا بتيس وقد أقامت حفلة للاطفال بعد الظهر أن تكون متعبة، مهياة للنوم، ولكن أمورا كهذه كانت مستبعدة التوقع من الأنسة تيريزا ديرموت. بل أنها في الواقع كانت أكثر أشراقا مما أستيقظت في الصباح، وفي أوج النشاط، وأن لاحت وتوأمها في تلك اللحظة غير طبيعيين ٠٠٠ كانا في نظافة تامة، وشعر منسق ولكن الى متى كان مرتقبا لهذه الحال ان تدوم. كان الكل يسمونها حفلة تيس ولكنها في الواقع كانت حفلتها معا، ومع أن توم كان يبدي ضجرا الحفلات، زاعما أنها تليق بالفتيات، وتاركا أخته توجه الدعوات، فكان بالطبع يود حضور الحفلة.

عندما دخلت لي لي غرفة الجلوس، كان الصغيران يركعان على الارىكة، وانفهما ملتصقا بزجاج النافذة، بينما كانت مرغريت ترتب الحجرة. وفجأة أطلق توم صيحة انفعل واعجاب:

"يا لها من سيارة ممتازة!"

فأضافت تيس:

"أنها تقف هنا."

وما كان التوأمان قد رأيا سيارة رويز في زيارته السالفة اذ كانا في الحديقة عند وصوله وعند رحيله. وكانت سيارة جديدة بالاعجاب ٠٠٠ فخمة، غالية، دون ما تبهرج وفخفة، كما كانت ثيابه. كانت تلك الاشياء هي التي تذكر لي لي بين أن وآخر بأنه واسع الثراء.

قالت مرغريت لابنتها:

"يحسن ان تذهبي لاستقباله يا عزيزتي ٠٠٠ كانت تتعيج

لها فرصة لتحية الرجل الذي كان مفترضا أنها تحبه، بعيدا عن عيون الباقيين، وأحمر وجه لي لي اذ ادركت ما تعنيه امها. وزادها ارتباكا ان لمحت جولي تبتسم، وكان من الافضل، أنها لم تنتبه الى النظرة التي قفزت فجأة الي عيني صفري بنات ديرموت. وأذ خرجت لي لي الي البهو وأغلقت الباب خلفها، تسلفت تيس من أحد أبواب الحديقة الخلفية فاخفت فجأة ٠٠٠ وعادت تدخل الدار من باب المطبخ، وترحف في حرص خلال الردهة المؤدية الى البهو ٠٠٠

شعرت لي لي اذ فتحت الباب للرجل الطويل، الاسمر الذي ترحل من السيارة الفخمة بشيء من الدهشة، اذ بدا متغيرا. فان الاسبوعين اللذين قضاهما في كاراسترانو زادا من سمرة بشرته، وهتفت في ارتباك:

"أذن فقد عدت في الوقت المناسب؟"

فقال:

"لقد قلت أنني سأعود في الوقت المناسب ٠٠٠"

وكأنما كان قوله اذ ذاك فصلا. ثم أردف بابتسامة اضطربت لها:

"أنك تبدين جميلة جدا هذا المساء ٠٠٠"

فشهقت لي لي وشعرت بالدفء يتصاعد الي جبينها، وهي تسائل نفسها عما دعاه لهذا القول ٠٠٠ لم تشعر لي لي بأختها تراقبها في حين أن رويز لمح الوجه الصغير يسترق النظر. أحاط رويز كتفي لي لي بذراعه، وكأنه يهم بالتوجه الى قاعة الجلوس، وأذا بصوت رفيع، تثقله خيبة الرجاء: ألن تقبلها؟ هكذا كان بروس يفعل دائما!

ودت لي لي لو تصفع أختها، برغم حبها لها، ولكن صوتها نبهها على الاقل الى التصرف الذي أذهلها من رويز ٠٠٠ وراقبته وهي مبهورة بسهولة سيطرته على الموقف، قائلا هذا لا يجوز على مشهد منك. ولاح أن تيس رأت هذا الجواب معقولا، فقالت:

"أذن فسأنصرف ٠٠٠"

أستدارت لي لي لتتأكد من أبتعاد الصغيرة عن مرمى البصر والسمع، ثم التفتت الى رويز وقالت:

"أرجو ألا تلقى بالا الى تيس. أنها مفطورة على الجهر برأيها في أي وقت، وبما أنها تعرف أننا مخطوبان، فانها ٠٠٠"

وأمسكت حائرة، فأكمل عبارتها والتهكم في عينيه:

"تتوقع أن ترى مظهرا لذلك؟"

هزت ليلي رأسها، وهي تعجب من أمر تيس، فما كان من عاداتها أن تنسل لتستسرق النظر الى الناس، ومن ثم فلا بد أن في رأسها شيئا يتخمر، وما كانت تحب أن تفكر في كنهه. فكل شيء يحتمل حدوثه من تيس، لا سيما في عيد ميلادها، إذ تطلق لها الحرية أكثر مما تطلق في أي وقت آخر. ما أن دخلا الحجرة، حتى توجهت عيون الجميع اليهما كانت تيس قد عادت الى الحجرة، حين خاب رجاؤها في مشاهدة موقف غرامي!

أبتسمت مرغريت إذ دخل رويز، قائلة:

"أذن فقد قررت أن تخوض المجازفة. أننا نقول دائما، أن من يخرج من حفلات تيس سالما، يكون قد تدرّب على أن يخرج سالما من أي شيء، حتى القنابل الذرية." فضحك رويز قائلاً:

"أذن فهذه مقدره ثمينة ينبغي للمرء اكتسابها."

وحيته جولي في رزاة أكثر مما كانت في العادة، ولكن روحها المتوثبة ما كانت لتسمح لها بأن تبقى طويلا مرتبكة أو مبهورة بأن أختها خطيبة صاحب ميريديت. فما لبثت بعد فترة أن أصبحت أكثر من أختها نفسها تبسطا معه. وظل توم ملصقا انفه بزجاج النافذة، يتأمل بأعجاب صامت السيارة العملاقة اللامعة. مكتفيا بالتفاته وجيزة الى رويز عند دخوله. أما تيس فكانت على النقيض، ولسبب كان يقلقها وتمنت ليلي صادقة أن تكتمه في نفسها، راحت تحمق في أختها ورويز باهتمام ملح، وتوقع، ورجت ليلي وهي التي تعرفها حق المعرفة ألا يكون أمر مستهجن يدور في رأسها!

وبعد برهة قدم رويز حزمة أجتذبت أنظار التوأمين. حيث ضمت زوجين من الاحذية الحقيقية للهنود الحمر، كان قد أمر بصنعها لهما اثناء رحلته! فتطلعت اليه ليلي خلسة وفي عينيها دهشة وتساؤل. أنه لم يحرص على العودة في الموعد المناسب فحسب، لكي لا يخيب رجاء ولد وبنت صغيرين، بل أنه تجشم عناء تدبير صنع الحذائين خصيصا لهما. متذكرا ولا ريب أغارتهما الهندية. هل تذكر كذلك هندية أخرى كانت معهما؟ تلك التي كانت على فرع من شجرة التفاح وهوت لتتلقفها ذراعاه؟

التفت فجأة، فرأى نظراتها. ودلت اساريره على أنه تذكرها. إذ شاعت في وجهه ابتسامة مداعبة، لا تشبه في شيء الابتسامة المتهمكة التي رمقها بها في البهو، وقال:

"لعله كان جديرا بي أن أمر بصنع شيء لمدام جيرونيمو! وهتفت راجية، وهي تعجب كيف عرف الاسم الذي ابتكرته لها كيري في ذلك المشهد:

"لا أرجوك، دعها تمت خزيا وخجلا."

فصاح وهو بعد محتفظ بالابتسامة الخالية من التهكم:

"لماذا؟ بل أوقن أنها جديرة بالتسجيل للاجيال المقبلة."

"كان الافضل أن تغوص في الشجرة وتغيب عن الابصار إذ ذاك."

قال بصوت خافت لم يسمعه سواها:

"يسرني أنها لم تفعل!"

كان الآخرون منصرفين الى الصغيرين وقد ارتديا الحذائين، وراحا يطوفان بالحجرة واردف قائلاً:

"أنني اعجبت بما رأيت إذ ذاك."

قالت بصوت هامس:

"بهذه البشاعة المخضبة بالالوان؟"

قال برقة:

"الفتاة التي تحت الخضاب هي المهمة. أتعرفين ما كنت أظنه قبل ذلك؟"

فهزت رأسها، شبه مسحورة بينما أستطرد قائلاً:

"كنت أظن سكرتيرتي من الكمال بدرجة لا تجعلها من البشر، كفاءة فوق ما ينبغي، خلو من الشوائب والنقائص. ثم قابلته فتاة مختلفة كل الاختلاف، فتاة مستعدة لأن تفسخ خطبتها لتسعد أختها، وتأبى وأن شقيت أن يشعر أحد أنها تبادت في التضحية لكي لا يشوب شيء هناة أختها، بل أنها لتمارس ألعاب الاطفال مع أخيها وأختها الصغيرين."

وقفت ليلي لحظة مسحورة ونظراتها لا تفقه ما كان يدور حولها. ثم دوى رنين جرس الباب، فتحولت الى البهو في ارتياح، قائلة وهي تقعد أمها عن الذهاب للباب:

"لا بد أن هذه كيري."

ووقفت في البهو ثانية، وكأنها تفيق من أغفائة السحر ثم فتحت الباب، فاذا كيري تحيها بابتسامة عريضة، وهي تقول:

"أذن فصاحب السيادة هنا؟ كيف تسير الامور؟"

قالت في تردد، وهي تتذكر عباراته الغريبة الأخيرة:

"أنني لا أستطيع أن أفهمه تماما."

فعلقت كيري في اقتضاب:

"أهناك تقصير من ناحيته؟ كان يجب أن نتوقع هذا..."

وأن كان قد أدى تمثيلاً جيداً في المرة السابقة .
فهزت ليلي رأسها بابتسامة حائرة ، وقالت :

* كلا . . . لا شيء من هذا إطلاقاً . الواقع أنه أحسن أداء منه في المرة الماضية !
* أذن ، فما المشكلة ؟ *

* لا أدري . . . لعل خيالي هو الذي يصور لي هذا .
ما كان بوسعها أن تقر حتى أمام كيري بأنها كانت تزدد شعوراً به كرجل فاتن .

* هل قالت تيس شيئاً منكراً ؟ *

عندما دخلتا الغرفة وجدت كيري نظراتها تتجه الى الرجل ، محاولة اكتشاف أي اختلاف طرأ عليه ، كان جذاباً دائماً ، ولكنه بدا في هذه المرة - مفعماً بالحيوية ، تشعر النساء بجاذبيته المتوارية ، بدلا من عدم المبالاة والبرود اللذين كانا يسببان الانكماش عنه . كانت حيويته السمراء خطورة جلية ، كما وصفتها لنفسها . لعل هذا كان الاختلاف الذي استشعرته ليلي ولم تستطع أن تفهمه . ولعلها كانت بعد لا تزال على حب بروس ، ولكن رويز أدوريت أصبح من ذلك الصنف من الرجال الذي يجتذب من المرأة نظرة ثانية ، ثم يظل في أفكارها بعد ذلك .

* * *

صح ما حذرت ليلي منه رويز . فان تيس ما لبثت ان قررت أنها تريد لعبة العقوبات . كان عقلها قد شغل بالهدية لفترة ، ثم ارتد الى فكرة تمتلكها في وقت مبكر وتوقع واليوم عيد ميلادها ان يباح لها توقيع ما تشاء من عقوبات ، اذا أوقعت بهم . وحذرتهما أمها قائلة :

* في نطاق المعقول وبهذا بدأت اللعبة .

قالت تيس لرويز :

* سنبدأ بك ، فما أحسبك لعبتها من قبل ، لهذا فسأخبرك بما يجري . سأوجه اليك بعض الاسئلة ، فاذا لم تستطع الاجابة عن أحدها ، أو باغتنك وأنت تغش ، فسأوقع عليك عقوبة .

هز رأسه وقال مبتسماً :

* ولكن لا تكوني شديدة القسوة علي .

فقالت متفضلة :

* سنبدأ بسؤال سهل كم عمرك ؟ *

أجاب :

* أربعة وثلاثون عاماً .

* أين ولدت ؟ *

* في كاراسترانو .

قالت ليلي لنفسها ، لا ضير الى الآن . . . وأذا تيس تقول :

* هل خطبت من قبل ؟ *

كان كل امرئ يعرف أن ليلي خطبت من قبل ، فلم تر تيس ما يدعو لأن يتحرج اذا كان هو الآخر قد خطب مرة . وجمد رويز لحظة ، وتردد ، ولكنه في النهاية قال متباطئاً :

* نعم . . . خطبت مرة من قبل .

رسمته ليلي ولكن أساريره لم تفصح عن شيء . أذن ، فقد كان في ماضيه شيء جعل ذلك الحاجز الصلب حوله . سألته تيس بغتة :

* كم عمر ليلي ؟ *

وبدا عليه الجهل فوراً . وشرعت ليلي تشير له بأصبعها في تلهف ، إذ كانت تعرف عقوبة تيس . ولكن الصغيرة أعتزت ، وعادت تلتفت الى رويز مؤنية وقالت :

* أذن فأنت لا تعرف عمر خطيبتك ؟ * أذن فأعلم أنه خمس وعشرون عاماً .

وهزت رأسها بما أوحى الى ليلي بما عزز شكوكها . وقالت تيس تدعم رأيها :

* سأدخر العقاب الى ما بعد . الآن دور ليلي .

وأنتهت ليلي الى اجاباتها بحرص مدركة أنها اذا أستطاعت أن تتجاوز الحد الزمني لأسئلة تيس ، فستكون في مأمن . كان الخطر الحقيقي في الافتقار لمعلومات تجيب بها ، كما حدث لرويز بالنسبة لعمرها ، وأخذت تيس تطلق أسئلتها بسرعة ، لتربك اختها :

* كم قضيت في العمل بالمصنع ؟ *

وأجابت ليلي :

* ثلاث سنوات .

* أين كنت تعملين قبل ذلك ؟ *

ولما أجابت ليلي ، عادت الصغيرة تسألها :

* وقبل ذلك ؟ *

* كنت في المدرسة .

كانت تيس تعرف كل هذا ، ولكنها كانت تستدرج ليلي بمكر الى شعور زائف بالأمان . ثم سألتها :

* هل قبلك يوماً أي شخص عدا بروس ؟ *

قالت ليلى بصدق تام:

"كلا، ما كان أحد ليلقي هذا السؤال سوى تيس وما كان ينبغي في الواقع ان ينطق به لسانها الشيطاني".
ولكن جوابها كان أسوأ، فقد كان غير صادق، في رأي بقية الموجودين، إذ لابد أن رويز قد قبلها بوصفه خطيبها...
وبادرت تعدل اجابتها:
"أقصد... نعم".

ورمقتها تيس متشفية وهي تدرك أنها الفائزة، وقالت:
"ليس المهم ما قصدت، إنما الأهمية لما قلت".
وتماسكت ليلى أنتظارا لما يعقب ذلك... وأخيرا قالت
تيس بجدية:

"أظنك تعرفين أنني أولف كتابا".

وكانت الاسرة قد صادفت دليلا كافيا، ممثلا في أوراق متناثرة في كل مكان تحمل خطها العشوائي، الذي لم يجعل الامر مفاجأة تذكر، وأستأنفت ابنة السنوات العشر المذهلة:
"ولكني أعاني صعوبة أزاء مشاهد الحب... وكأنما ران على قلب ليلى ثقل من الرصاص هوى به في شدة. أنها ما كانت بحاجة للذكاء لتعرف ما سيتلو ذلك، وأكملت تيس حديثها، وهي تنظر لأختها وروييز في أمل:
"خطر لي أنكما قد لا تمانعان في عرض هذه المشاهد".

جلست ليلى جامدة، وعقلها يعمل، محاولا التفكير في مخرج. كان بوسعها أن ترفض، وقد أدركت لماذا تسلت تيس الى البهو، عند وصول رويز... أخيرا قالت بحزم:
"لن أفعل شيئا كهذا، اختاري أي عقاب آخر" فأجابت تيس في عناد:

"ولماذا؟ ان للعبة قواعد".

لم تقو ليلى على النظر الى رويز في تلك اللحظة، ولو كان في ذلك حياتها وواتاها الرد، فقالت متظاهرة بالمرح:
"لن يعطيك هذا فكرة صحيحة، فان وجود جمع...
فأتمت لها تيس عبارتها وكأنها خبيرة:
"أتعنين انه يقيد حريتكما؟" صحيح... ما رأيك؟ أي أمرىء جدير بأن يظنك لم تقبله من قبل".
قال رويز:

"أنها خجلي".

ورمقته ليلى بجانب عينيها، فألفته يبدو مأخوذا في أنبساط... كان هو الذي اتهمها بأنها التي تجد أن التظاهر صعب الاداء، وما هوذا يكرر الاتهام في صمت، وسرها ان ستيلا وبروس لم يكونا حاضرين، والا لتساءلا في نفسيهما ستيلا على الاقل من حقيقة موقفهما، لا سيما وأنها قالت أن أحدا غير بروس لم يقبلها. وأرتاحت حيث سمعت أمها تعنف تيس بشدة.

ومع أن الأمسية أستمرت بعد ذلك بشكل مرض فان ليلى كانت تشعر بظل من القلق يكتنف أمها. فأدركت أن أمها كانت تسائل نفسها عما إذا كان ثمة داع لرفض أبنيتها تقبيل الرجل الجالس الى جوارها. وتمنت ليلى أن لو تركته يقبلها، ولكن هذا بدا مستحيلا إذ ذلك... ولقد علق رويز على ذلك فيما بعد كما توقعت وأن لم يبد أية حركة لمساعدتها في الخروج من المأزق في ذلك الوقت.

كانا يقفان في البهو حيث، تركهما الآخرون للحظات الوداع كالعادة. وفجأة، رأت ليلى حاجبيه الاسودين يرتفعان في اهتمام ساخر أصبح مألوفا وقال:

"أنني أسأل مرة أخرى من منا يجد هذا التظاهر صعبا؟"

أحمر وجه ليلى وقالت محتجة:

"تقبيل أي شخص على مرأى من الناس صعب بطبيعته، فما بالك إذا كان شخصا..."

وتوقفت محرجة، فتولى اكمال العبارة عنها:

"لم يسبق لك تقبيله؟"

خرجت مرغريرت ومعها كيري بعد خمس دقائق، فوجدتا ليلى تقف جامدة في البهو. وقالت الام ضاحكة:

"أفيقي يا حبيبتي... أنك تبدين مذهولة!"

وأجفلت ليلى ثم تدافع الدم الى وجهها، والتفتت الى أمها. وظهرت جولي وكأنما اجتذبتها ضحك أمها وقالت ليلى:

"ما سمعت خروجكن!"

فابتسمت مرغريرت وقالت مداعبة:

"لا تنزعجي، فقد أتينا للتو، حين سمعنا سيارته تنطلق".

غمغمت ليلى بشيء غير واضح، وأسرعت تغادر المكان.

ظلت ليلى مستلقية على فراشها معظم الليل، تحاول أن تستبين كنه ما حدث. طيلة عمرها لم تشعر بكيانها

مهتزا بهذه الدرجة وكان اعجب ما في الامر ان رويز الدوريت هو الذي فعل بها هذا .

ولم يكن قلبها مرتاحا في الواقع الى أن تكون باقية على حب بروس، وتنبهر مسحورة برجل آخر، ولم يكن لديها أتفه فكرة عما كان يقوله لها، عندما افلتها في النهاية من ذراعيه . كانت هناك صورة باهتة له وهو ينظر اليها ، بنظرات غريبة باحثة، ثم يغمغم بكلمات لم تذكرها، ويستدير فينصرف . ولم يعد الى ذهنها شيء من التماسك وأدراك الواقع، الا حين خرجت الأخريات الى البهو، وأن ظلت أعصابها تشدو وتغرد، حتى الآن، وبعد انقضاء ساعات .

وعندما تبينت أن عليها أن تواجه رويز وذكرى هذه الامسية بينهما ، بدا لها الامر مروعا . ولكنها لم تكن بحاجة للقلق، إذ بدا حين رآته كأن شيئا لم يحدث . فقد استدعاها الى مكتبه، وأملى عليها خطابات كما اعتاد أن يفعل طيلة ثلاث سنوات، غير أنها لم تدر أنه، بعد أنصرافها مسرورة بأنها استطاعت الحفاظ على رصانتها ووزانتها المعهودين، جلس لحظات طويلة يحدق في الباب الذي خرجت منه، وقد ارتفع حاجباه الاسودان في تقطيب خفيف .

وكان من الطبيعي أن تلتقي بكيري، في وقت لاحق من ذلك اليوم . ومع أن صديقتها تأملتها بنظرة غريبة، فأنها أعرضت عن ذكر شيء عن التعبير الذي حمله وجه ليلى في المساء السابق، وأن كانت لا بد قد أدركت كما أدرك الآخرون معناه . أما بالنسبة الى بروس، فقد سرها وأن أستنكرت ذلك في نفسها، أن ألم فقدها أخذ يخبو بسرعة . وكان الاستنكار لأنها ما كانت تعتقد أنها تقبل على الحب بهذه البساطة والسرور . . . كانت تظن في البداية انها ستعيش على حنين الى شيء لاسبيل لأن تحظى به، كما فعلت جانيس، غير أن القدر فيما يبدو قرر غير ذلك، وما كانت تملك سوى أن تحمد له ذلك ولو أنها شعرت بشيء من الاشمئزاز من نفسها، لأنها كانت موقنة من قبل بأن الحياة بدون بروس خواء .

وشرعت تسائل نفسها، عما جعل الامر يحدث هكذا فجأة، بيد أنها ويا للغرابة! لم توغل في هذا التفكير طويلا، إذ تراءى لها ان فيه شيئا من الخطورة، وأنها ما كانت راغبة في مواجهة هذا الخطر أيا يكون في الوقت الراهن !

٧ - ردة الفعل

لا حاجة الى شرح مدى غضب ستيليا ، حين وصل اليها خطاب بروس في النهاية . ضاقت العينان الجميلتان، وعلت الشفتين الرقيقتين قسوة للحظة . وبدت شرسة، ضارية، مختلفة كل الاختلاف عن الحسنة الفاتنة التي عرفتها الدنيا . . . وبدت مقاربة لما كان بعض الناس مثل كيري يرونه المخلوق الحقيقي الذي يتوارى تحت كل اللطف والسحر والحسن البدني المفرط .

وتمتمت في حلق:

"اللجنة على الاغبياء!"

كان بروس آخر رجل تود أن ترتبط به . وكان بوسعها أن تتخلص منه بسهولة، ولكن هذا كان سيكتشف حقيقتها، وهي الحريصة لغرورها على الاحتفاظ باللطف الظاهري الذي كان الكل يعرفونه عنها . لم يكن لديها شعور مميز نحو أسرته تماما كما أستشفت كيري من قبل ولكن أعجابهم الشديد بها كان متعة لها وضرورة، ولكن ما الذي دعا ليلى لأن تختار هذه اللحظة المعينة بالذات لتفسخ خطبتها؟ كانت هذه أبعد اللحظات عن أن تناسب أختها . فكان على ستيليا الآن أن تهتدي الى مخرج لا يضر ولا يبدد شيئا من الاعجاب الطاعني الذي كان ضرورة ماسة لغرورها .

لم يعد ثمة مجال لرفض الزواج ببروس، بحجة أنها لا تستطيع أيداء مشاعر أختها، وهي الحجة التي صدته بها من قبل، لأن ليلى لم تكن تحب بروس، أو تراها كانت تحبه، وساورها ريب ما . . . أم الخبيثة كيري أخبرتها بشيء؟ ذلك أن ستيليا لم تكن تجهل ن كيري كانت تكرهها؟ وهكذا أخذت كلما امعنت التفكير تزداد اقتناعا بأن هذا كان تفسيرا ما حدث وأن من الغباء ان تضحي بذاتها، ولكن اذا كان الامر كذلك، فمن أين دخل ذلك الرجل المدعو رويز الدوريت؟ كان من المفترض ان ليلى عانت من حب لا يلقى استجابة أو جزاء، طيلة عملها لحسابه، ولكن الامعان في التفكير كان يبين لستيليا أن الارجح ان ليلى أكتشفت بطريقة ما أمرها

مع بروس، وكانت تقوم بتضحية ذاتية لتهون الأمر على أختها، وأن الأرجح أن الدوريت هو الذي كان يخفي حبا ميؤوساً منه فلما سمع بفسخ خطبة ليلي، أسرع باقتناصها ٠٠٠ وبغض النظر عن هذا، كان يبدو أن ليلي قد أحسنت الى نفسها، إذ كان الشائع ان الرجل كان واسع الثراء.

وأستقر رأى ستيليا على أن الشيء الوحيد الذي ينبغي أن تفعله، هو أن تزور أسترثا، وأن تحاول أستخلاص ما حدث فعلا، وأن تصلح إذا أستطاعت ما بين بروس وأختها وأن تباعد في سياق ذلك بينها وبين الدوريت، ولم تنقص ساعات، حتى كانت سيارتها الزرقاء تقف أمام البيت العتيق الذي ترعرعت فيه.

* * *

كانت مرغريت هي التي فتحت الباب، فبدت مشدوهة إذ رأت أبنيتها الشهيرة، ولكن وجهها أشرق بابتسامة مفتبطة بمجرد المفاجأة، وقالت:

"هذه مفاجأة بديعة يا حبيبتي!"

تخلصت ستيليا من عناق أمها، ودخلت معها حجرة الجلوس الصغيرة، مصطنعة تظاهرا جميلا بالقلق والانزعاج ٠٠٠ فسألته مرغريت:

"هل هناك ما يسوؤك؟"

فالتفتت اليها ستيليا بحركة تمثيلية وقالت:

"موضوع بروس طبعاً ٠"

فابتسمت مارغريت قائلة:

"أهذا ما يزعجك؟"

ثم ضحكت بارتياح، قائلة:

"لا تشغلي بالك بهذا البتة ٠ أن ليلي سعيدة كل السعادة مع خطيبها رويز الدوريت ٠"

"ليتني أستطيع أن أتأكد من هذا! لست أحب لها أن تتزوج من شخص فظيع من أبناء اميركا الجنوبية لا تطيق أن تراه، وذلك بسببي ٠٠٠"

عادت مرغريت تضحك، وقالت: ما كنت لتقولين هذا لو رأيته وأني على يقين بأن يجعل قلبك الذي حنكته التجارب يخفق، ولو كان مستغرقاً في حب بروس!

وكانت كيري جديرة بأن تطمئنئها الى أن الشخص

الوحيد الذي كان قلب ستيليا مستغرقاً في حبه هو ٠٠ ستيليا ديرموت نفسها!

قالت ستيليا في أرتياح ظاهري، وهي تتحرق غيظاً في داخلها:

"أذن فكل شيء على ما يرام؟"

وبدا كان خطتها الاصلية على وشك الاخفاق ٠٠٠ خطة ابلاغ بروس أن ليلي مازالت تحبه، وما ارتبطت بذلك الرجل الدوريت الا لتيسر لهما أمرهما ٠ كان هذا جديراً بأن يجعلها تقوم بتمثيل دور جميل للتضحية بأن ترفض السعادة على حساب أختها فتدبر بروس الى ليلي.

لكن مرغريت طمأنئتها بقولها:

"كل شيء على ما يرام طبعاً ٠ ثم التفتت إذ سمعت صوتاً عند الباب الأمامي، وأردفت:

"يحتمل أن ليلي عادت من عملها ٠ لك أن تكلمها بنفسك لتطمئنني تماماً ٠"

وسمعتا الباب يغلق، ثم أنبعثت في البهو خطوات سريعة، وأقبلت ليلي الى الحجرة مبتسمة، وهي تقول:

"خطر لي أنني عرفت هذه السيارة الرائعة ٠"

فقالت أمها دون مقدمات:

"ستيليا جزعة من جراء موضوع بروس، وقلت لها أن تكلمك كي تطمئنئها تماماً ونهاياً ٠ أن المسكينة تقلق نفسها عليك بسبب مشكلة لا وجود لها!"

رمقت ليلي أختها وعلى شفيتها ابتسامة واهنة، بينما ابتسمت ستيليا ابتسامة خفيفة ٠ وبدت كأنها تعيش فترة ألم ذهني ملتاغ، وأن معرفة أنها ربما جنت على مستقبل أختها كانت تثقل قلبها بأكثر مما تحتمل ٠ وقالت:

"هذا صحيح أنني صراحة لا أصدق أنك كنت تتظاهرين بحب بروس، وأنت طيلة الوقت تهيمين بشخص غيره!"

ضحكت مرغريت وقالت:

"كنت تصدقينها، لو أنك رأيته منذ ليال!"

فهمتفت ليلي برفق محتجة ٠٠٠ وقالت مرغريت تذكرها:

"ولكنك يا حبيبتي وقفت في البهو خمس دقائق كاملة، بعد أنطلاقي سيارة السيد الدوريت ٠٠٠ وما رأيت شخصاً في مثل غيبوبة السعادة المطلقة التي كنت فيها!"

كانت مرغريت مفتبطة لهذا ٠ فقد اعتادت أن ترى ليلي رصينة الى درجة غير طبيعية تقريبا، في سلوكها نحو

٨ - شهر العسل

استيقظت ليلى صباح اليوم المحدد للزواج على صوت الرعد ٠٠٠ صحيح أنه لا شاعرية في هذا القران، ولكنها كانت تتمنى على الاقل ان تكون الشمس مشرقة في مثل هذه المناسبة، ولكن حتى الطقس كان يذكرها بعدم صحة زواجها ٠٠٠ وما ان انقضت ساعة على يقظتها حتى بدأ الطقس يتحسن وخف الرعد وتباعدت الغيوم واشرقت الشمس ٠ واضطرت ليلى ان تعترف لنفسها بانها لم تكن تشعر بخسارة فادحة لفقدان بروس الا ان رويز الدوريت كان يشغل بالها أكثر مما ينبغي في الفترة الاخيرة ٠ ولكنها حاولت الا تفر بشعورها السعيد والا تستنتج معنى هذه السعادة فتفكر باستمرار في زواجها المقبل وهي بعد على أهبة الاستعداد للذهاب الى مكتب التسجيل لتوقيع عقد الزواج ٠

أندفعت جولي الى الغرفة طالبة من ليلى ان تتناول فطورها في الفراش ٠ وبدأت الامور بعدئذ تتلاحق وتتسارع وكأنما لم تستغرق وقتا يذكر حتى وجدت نفسها تغادر الفراش وتأخذ حماما دافئا معطرا ثم تضع اللمسات الاخيرة لزينتها، وتذهب للذهاب الى مكتب التسجيل ٠

وقبل موعد الخروج وصلت ستيتلا في موجة من العطر وسحابة من الفراء، فقبلت أختها بحب، متمنية لها الحظ كله ٠ وكان وجهها ينم عن أن لديها أمرا آخر أو اثنين تود إضافتهما، أولا أن أباهما كان في اليهو ينتظر، بفارغ الصبر وعصبية، فلم تشأ ليلى أن تطيل أنتظاره ٠٠٠ فضلا عن أنها ما كانت لتجازف بترك رويز في الانتظار بمكتب التسجيل ٠

وقد كان رويز هناك بالفعل، عندما وصلوا وليس في مظهره ما ينم عن امتلائه بأية عواطف معينة ٠ ونظر الى العروس بطريقة مبهمه، جعلتها تتساءل عما كان رايه في ارتدائها الثوب الابيض لمناسبة لم تكن برغم كل شيء سوى صفقة عمل، غير أنها لم تشأ ان تصدم أهلها بأن تتزوج وهي مرتدية أي شيء سوى اللون الابيض التقليدي ٠ وكان رويز في الواقع كالعهد به دائما ٠٠٠ طويلا، أسمر، جذابا بدرجة مذهلة،

بروس، وسرها أن تتبين أن ابنتها لم تكن دائما رصينة ٠ دهشت ليلى لردة فعل نفسها، فقد تخرج وجهها بشدة ولكنها لم تنكر ٠ فاذا كان لابد من خلق قصة خيالية كاذبة، فعليها ان تمضي في تغذيتها، وإذا أمكن لهذه القصة ان تضائل من شعور ستيتلا بأنها جانية فان رابطة الأخوة تظل باقية وهي رابطة لا يملك المرء ان يتجاهلها ٠

صعدت ليلى الى حجرتها، وأخذت تتأمل نفسها في المرآة طويلا، وهي مستغرقة في التفكير ٠٠٠ أكانت حقا في غيبوبة انتشاء واضحة، في ذلك المساء بعد أنصرف رويز الدوريت، حتى أن أمها خدعت تماما؟ وهل كان ذلك مجرد خداع؟ أم كان في الأمر ما هو أكثر ٠٠٠ وأكثر بكثير؟

وتحولت بشيء من العجلة عن مرأتها، غير راغبة في أن تشهد التعبير الذي انعكس في عينيها العميقتي الزرققة، بل غير راغبة في أن تصدق ان هذا التعبير موجود في عينيها ٠٠٠ فلئن كانت سريعة التحول، الى درجة انها استطاعت نسيان بروس في هذه الفترة القصيرة من الزمن، فهي ليست ليلى ديرموت التي كانت تعرفها وإنما كانت فتاة مختلفة كل الاختلاف، وجديدة، ومثيرة لدهشتها اذ كانت كما رأت أمها مدلهة في الحب لأول مرة في حياتها!

جعلت ليلى تعجب في داخلها لأنها لم تقدر من قبل كيف كان مليحا بهذا الشكل.

أكان من الممكن أن تصدق قبل شهر، ولنقل يوم سفهت أي أهتمام شاعري لجولي، بأنها ستقف يوما إلى جوارها، وتنطق بكلمات تربطها به بأوثق رباط بين رجل وامرأة؟ ما كانت لتصدق هذا، لأنه كان آخر ما يمكن أن تتوقع حدوثه لها. كانت في ذلك اليوم خطيبة لبروس، وها هي ذي اليوم تتزوج من روبيز الدوريت!

وردت في نفسها الاسم الذي لم يبد شديد الغرابة: ليلى الدوريت، ثم سمعت المسجل يقول مبتسما ان للشباب أن يقبل الآن عروسه. وبدون تردد، أحاطها روبيز بذراعه، ورفع رأسها بيده الأخرى، وأحنى رأسه ليلصق فما جامدا بفمها في قبلة العرس التقليدية. والتفت عيناها بعينيه السوداوين فأحست بالدماء الحارة تنفد لوجنتيها. أترأه أدرك شيئا مما كان يدور بخلاها ويساورها؟ وفي الوقت ذاته، كانت ستبلا تسائل نفسها: ليلى... دون كل الناس تتزوج رجلا كهذا! رجلا طويلا، رشيق وصلب البنيان، وفم بادي القسوة يوجي بالعاطفة المشبوبة، وشعر أسود لامع يشوبه ظل من زرقه جميلة، وقد أوتى مغناطيسية كفيفة بأن تجعل أية امرأة تشعر للتوه بوجوده... ثم العينان السوداوان اللتان أطلتا وفي اعماقهما ابتسامة على زوجته.

زوجته! أحقا تزوجت ليلى رجلا هذا شكله، أوتى ثروة ومركزا وشبابا وجاذبية مغناطيسية. وبقدر الدهشة شعرت ستبلا ب... الحسد! ولكنها أخفت كل ذلك، وأبتسمت لروبيز في مرح قائلة:

"أمل أن تعني بأختي يا سنيور الدوريت."

وتعمدت أن تناديه باللقب الاسباني، وشفاتها تختلجان، فأطل عليها روبيز بنظرة مبهمة، قائلاً:

"سأحاول ذلك، وسأحاول أن أسعدك كذلك."

قالت ليلى مبتسمة:

"مجرد وجودي معك سيسعدني..."

كانت تبغي التمويه على ستبلا، ولكن إلى أي مدى كانت جادة؟ ومرة أخرى، وسوس لها الشعور الفريزي الخطير أن في هذا القول من الحقيقة الشيء الكثير. وهتفت ستبلا بمرح:

"يا للسما! انكما ترهفان عواطفني، حتى لأظنني سأبكي بعد لحظة!"

ولكنها كانت أبعد ما تكون في مظهرها عن البكاء، وقررت كيري التي كانت تراقبها منذ وصولها انها اذا ذرفت دمعة فلن تذرفها لأجل ليلى، وانما على الأرجح حسدا لها! فما غفلت عن ان عيني الممثلة الحسنة ضاقتا عند تقديمها إلى روبيز ولم يفتها آتفه تغيير في أسارير وجهها.

فكرت كيري مكتئبة:

"أهكذا وضعت ستبلا عينيها على هذا الرجل أيضا؟"

الم تقنع بأنها انتزعت من أختها رجلا، فها هي ذي تشهر مخالباها الجشعة استعداداً لغزوة ثانية؟ وروبيز؟

ونظرت كيري إليه، ولكن تأثره بستبلا كان مستحيلا، فقد كان قادرا على أن يبدو غامضا أو مبهما حين يشاء. لعله بهر بها كأي رجل آخر... وأذا كان هذا الزواج عملية تجارية محضة، فبأي حق جعل ليلى تبدو مسحورة في تلك الليلة، لأنه ضمها في البهو... لعلها كانت بالنسبة له أكثر من مجرد نزوة عابرة.

يا للحب والرجال! عنصران أولهما أذى وثانيهما لا ينبغي الركون إليه. ويحسن بأية فتاة عاقلة الابتعاد عنهما... أفكار كانت تدهش اولئك الذين عرفوا كيري كيريغان، أنها قد تضحك وتمزح بل وتشارك في بعض المغالطات الخفيفة، بيد أنها ما أعترمت يوما ان تشغل نفسها جديا بالرجال. ولا بد أن لديها سببا لذلك، ولكن ما أقل الذين كانوا يعرفونه! الرجال! أنهم أكثر أيداء مما يبدون! فهم يقبلون حياة أي أنثى بسهولة ولا يهفلون. فها هوذا بروس قد فتن وسحر وبدأ يتطلع إلى ستبلا منصاعا، ثم ها هوذا روبيز الدوريت يشعر ليلى بالعاطفة لجمال ستبلا كأي شخص آخر... يا لعمى الرجال! لا يرون أبعد من الشعر الاسود اللامع، والعينين الخضراوين المنحرفتين قليلا... لا يرون ما وراء ذلك من فساد!

* * *

بعد عقد القران أقيم حفل استقبال صغير... وحانت لحظة الوداع، ومرغريت تبذل قصارى وسعها لتكبح دموعها فقالت ليلى مهونة عليها:

"أنني ذاهبة إلى المكسيك فحسب، وليس إلى القمر..."

وما كانت تعزم الغياب طويلا، وأن لم تدر أمها أنها

كانت ترتقب العودة عما قريب . وقالت الام بابتسامة دامعة:
*أمل أن تكوني سعيدة يا حبيبتي... أعتقد أن رويز أهل لأن
تعتمد علي* .

أجابت ليلى موافقة:

* هذا يقيني أنا الأخرى...*

ولأول مرة داخلها شعور خفيف عجيب، من الاستياء لأن هذا
الزواج لم يكن حقيقيا، فهو قادر على أن يسعد امرأة، وهي
جديرة بأن تعتمد عليه، ومهما يكن، فمع انقضاء الوقت بدأت
تشعر بجزع، فلن تلبث ان ترحل بصحبة زوج يكاد يكون غير
معروف لها .

كيف يكون الرحيل في شهر العسل حقيقياً معه، وللمرة
الثانية وجدت نفسها تتمنى لو أن زوجها كان حقيقياً،
ولكنها ظلت تأبى أن تنظر لما وراء هذه الرغبة التي لا تفسير
لها، وأن تكتشف الداعي لأمنيتها بأن يكون الزواج
حقيقياً... لعلها كانت تعرف في عقلها غير الواعي ولكنها لم
تشأ مواجهة السبب .

وخلال الرحلة في القطار الذي أقلهما للباخرة، وجدت نفسها
تأمل خلسة... زوجها!

كلمة كانت ذات وقع غريب، وأن اعترفت بينها وبين
نفسها بأنه كان وقعا مستحبا يرتبط برجل جذاب جدا . من
كان يظن قبل شهر واحد ان الرجل البارد المشاعر المثير
للفور في المكتب كان قادرا على أن يتحول الى شخص قادر
على ان يبعث قشعريرة انفعال سار في كيانها... الرجل الذي
كان يتذبذب على فمه الصارم في تلك اللحظة شبح ابتسامة
ضئيلة وكأنه كان يعرف أنها تنظر اليه، دون أن يعتزم
أشعارها... وغاصت في المعطف الفرائي الثمين، الذي كان
هدية الزواج شاعرة بأنها أكثر سعادة مما كانت الظروف
توحي .

وأبتسمت لنفسها... كاد هذا المعطف أن يسبب أول شقاق
بينهما . فهو ثمين، وقد اعترضت على أن يتاعه هدية لزواج
مؤقت، ولكنه أصر في تشدد على أن تقبله قال ان الزواج في
ظاهرة زواج عادي، ولهذا كان لزاما ان يقدم هدية زواج، كما
كان يناسبه ان يبدو كأي زواج آخر . وانصاعت ليلى أزاء
أصراره العنيد واستيائه البارد، وفوجئت باكتشاف انه لم يكن
يحب الخلاف . ومنذ تلك اللحظة طرأ على علاقتها تغير آخر .
لم تعد ليلى ترى الوميض المتهاكم في عينيه

السوداوين، وأصبحت ضحكة ود وصدافة... لعل امرأة ما
جعلته يشعر بأن الهدايا الثمينة منشودة، تستقبلها دائما
بأصابع جشعة... لذا فاعراضها عن تقبل هدية ثمينة حطم
الحاجز القديم الخفي الذي كان يرسم التهكم والازدراء على
فمه الفاتن .

وأذ صعدا الى الباخرة التي كانت تهتم بنقلهما الى أميركا،
تلفتت حولها مشدوهة... كانت "السديم الازرق" سفينة
أصحاب الملايين، ووقفت ليلى مذهولة لمظاهر الترف البالغ
حولها، وأقرت لنفسها دون طمع بأن وفرة المال متعة سارة،
وأنها جديرة بأن تهنا ببضعة أشهر تقضيها في الرفاهية .
وفي تلك اللحظة بالذات، خطرت لها فكرة... لقد قالت لجولي
مرة أنها ما كانت لتؤثر أجمل مليونير في الدنيا على بروس،
ومع ذلك فما هي ذي زوجة لرجل أكثر من مليح، وكان واسع
الثراء وأن لم يكن مليونيراً . وبالرغم من هذا فان امواله ما
كانت ذات قيمة تذكر... كان بوسعها أن تعترف لنفسها
أخيرا بأن الرجل نفسه هو الاثير باهتمام منها، يفوق
اهتمامها بأي شخص آخر .

★ ★ ★

وعندما بلغا الجناح المحجوز لهما، وقفت مبهوتة ازاء
فخامته، فما خطر لها ان لمثل هذه الاشياء وجودا الا في
الافلام... كان هناك حجرة جلوس خاصة بهما، ولها
بابان... فلما فتحت احدهما كادت تسمع دقات قلبها فجأة،
اذ رأت سريرين منفصلين... وسرت في كيانها هزة غريبة،
اذ شعرت بيد رويز على ذراعها، تديرها لتواجهه وقال:

*في الجانب الآخر لحجرة الجلوس حجرة أخرى سأستعملها،
لقد تعمدت أن اطلب جناحا واسعا* .

ولم تسعفها قريحتها، ولو بكلمات تبعد عن باله فكرة انها
فكرت لحظة في أن يتشاطرا مخدعا واحدا .
وقال فجأة:

*كان جديرا بي أن أعتذر لأنني ضمنتك على ذلك النحو ليلة
كنت في داركم... أهذا هو ما يقلق بالك؟ لا داعي للقلق فلن
يحصل شيء من هذا* .

وسادت فترة من صمت وجيز . ثم وجدت نفسها تسأله دون
تعهد:

*أكانت تلك ردا على ما قلت في مطعم ريكبي؟ فأجاب:

"الى حد ما . فما من رجل يتقبل تلك العبارات كاطراء
ومجاملة ، و . . ."

واومضت في عينيه ابتسامة واهنة ، وهو يردف:

"أنا كانت بعيدة جدا عن الحقيقة ، فأنا كأى رجل آخر ، ثم
انني نصف اسباني ."

وساءلت نفسها:

"أكان هذا تحذيرا خفيا ؟ بينما مضى يقول:

"ولعلك لم تضيفي بذلك كثيرا ؟"

وشعرت بوجهها يتضرج ، فتمنت لو قاومت هذا الشعور . . .
لكنها تلميذة غريرة ، أين ذهبت كل رصانتها وسيطرتها على
نفسها ؟ انه لم يجعلها تشعر بشعور كهذا ، وهما يعملان معا . . .
ولكن مسافة طويلة كانت تفصل بينهما في العمل . ما تعرضت
يوما لموقف كهذا في العمل بل أنها ما تصورت أبدا خلال
سنوات العمل أنه كان ينطوي في أعماقه على هذا الرجل
الغريب الاطوار . . . كانت العبارات التي قالتها في المطعم
غير حقيقية ، كما ذكر منذ لحظات .

وعاد ليسألها:

"هل ضقت بذلك ؟"

ورمقته بنظرة مباشرة ، وسريعة ، ثم غضت بصرها ، قائلة:

"كلا . . ."

لو أنها أجابت بغير ذلك ، لكان جوابها بمثابة صفقة ، ثم
ان سؤاله كشف عن أنه كان يدرك انها كاذبة ، لو أجابت
بالنقيض . وقال بهدوء:

"اشكرك . . . يسرني انك حاملتني بأن كنت صادقة . فتطلعت
اليه متسائلة:

"أكنت تدرك انني أكذب ، لو لم أفعل ؟"

هز رأسه مؤكدا . وتبينت انها ما كانت تحفل بعدد مرات
خرقه تأكيدات . . . وتساءلت في نفسها:

"يا للسماء ! ما بالي ؟ ما الذي دهاني ؟"

كان ثمة شعور غريب يسيطر عليها ومع ذلك ، فانه لم يكن
شيئا يبعث على الخوف ! بل أنها بدأت تستشعر نوعا من خيبة
الرجاء ، لأن هذا الزواج لم يكن مقدر له أن يدوم !

★ ★ ★

بينما عنيت المضيئة باخراج ملابس روييز وطرحها

١٠٠

على السرير ، ذهب روييز الى امين خزانة السفينة ، فقررت
ليلي أن تصعد الى السطح ، وبعد قليل ، لحق بها روييز .
قال بصوت خافت:

"أن للباخرة أن تبخر " وشردت نظراته بعيدا ، وكأنما كانت
افكاره تسابق السفينة ، وكأنه نسي الفتاة التي كانت
بجانبه . ولكنه في الوقت الذي خطر لها فيه هذا - اقترب
قليلا ، وابتسم لها ، وأمتدت ذراعه فأحاطت كتفها . وبدون
ارادة منها ، مال رأسها الى الخلف مستندا الى كتفه ، فاشتدت
ذراعه حولها ، بينما أخذ يشاهدان المسافة تتسع بين رصيف
الميناء والسفينة ، وكأنها هوة تفصل بين الحياة القديمة
والحياة الجديدة .

وحاولت ليلي ألا تفكر في أن الحياة الجديدة كانت لفترة
محدودة ، أنها ستضطر ذات يوم الى أن تعبر الهوة لتعود الى
الحياة القديمة .

★ ★ ★

تلفتت ليلي باعجاب ، وهما يدخلان قاعة الطعام الواسعة ،
في ذلك المساء ، وداخلها استمتاع ساذج بهذا النوع من
الرفاهية الذي لم تعرفه من قبل . وشغلا مائدة صغيرة لاثنين ،
حتى اذا فرغا من العشاء ، ذهبا الى قاعة الرقص . وبالرغم
من أن السفينة كانت في أول أيام الرحلة ، فقد بدا ثمة جو من
المرح والاحتفال ، ولعل ذلك كان لقصر الرحلة ، نسبيا ، ورغبة
المسافرين بغية الترويح في الاستمتاع بأقصى لهو في
عطلتهم .

واشتركا مع الراقصين ، فتبيننا أن خطواتهما كانت
متناسقة . وراحا طيلة السهرة يضحكان ويتكلمات دون ما
حرج ، وبالرغم من أنهما لم يتزوجا الا في صباح اليوم ذاته .
وفي وقت لاحق من ذلك المساء ، استلقت ليلي في غرفتها
الفخمة ، تنظر الى السزير الخالي ، وهي تفكر . . . كانت تلك
ليلة زفاف غريبة . فمنذ أشهر قلائل ، كانت تتصور أنها
ستقضيها مع بروس ، ولكن لو كان بروس هو الزوج لما حظيت
بجناح فاخر على السفينة ، ولما شعرت كذلك بوحدة . اترى
كان روييز هو الآخر ، مستلقيا يتأمل السقف في غرفته ، ويشعر
بالوحدة ، أو لعله كان يفكر في الفتاة التي احبها يوما ، من
قبل .

وأثار هذا فكرة جديدة لديها : ترى كيف كان شكلها ،

١٠١

تلك الفتاة التي خطبها من قبل، وماذا فعلت لتسبب له هذا الجمود العميق الذي خالته يوماً جزءاً جوهرياً منه؟ لقد أدركت الآن انه لم يكن من طبيعته، ولكن الصدمة التي أدت اليه كانت ولا بد حادة، ألميمة أحدثت في اعماقه جرحاً غائراً، وخلفت مرارة وعدم طمأنينة الى كل النساء. وداخل ليلى شعور من الارتياح الى عدم الثقة بدأ يتبدد، ولكنها تمنّت ان تفعل شيئاً أكثر من القليل الذي فعلته حتى الآن للتسرية عنه. ومع خيوط الفجر غشيها النعاس. ولكن من أجل ما في السفر في باخرة أن المرء لم يكن مضطراً لأن يستيقظ مبكراً لتناول الفطور.

ووجدت رويز في حجرة الجلوس وقال مبتسماً:

"لقد امرت باحضار الفطور هنا."

فجلست في مقعد مريح وهي تقول:

"ما أجل هذا! لكن أشعر بالكسل!"

فعاد يبتسم قائلاً:

"أكنت تفعلين هذا لو أنك في أنكلترا؟"

قالت:

"أتعني قبل أن يجري كل هذا؟"

أوما برأسه، فنظرت الى ساعتها، وأرسلت ضحكة خفيفة، قائلة:

"كنت في مثل هذه الساعة أدق مفاتيح الآلة الكاتبة، وأنتظر شاي الصباح، أو ارتقب جرساً ملحاحاً من سيد صعب عليه العثور على شيء يريده." وارتفع احد حاجبيه الاسودين، وتساءل:

"هل كنت ترينني رئيساً متعباً جداً؟"

فابتسمت قائلة في مداعبة:

"في بعض المناسبات."

"وهل كنت في تلك المناسبات تشعرين باغراء لأن تخبريني بما كنت تظنينه في؟"

قالت بصراحة:

"كلا. كنت اكتفي بتجاهل حالات غضبك الصغيرة."

وضحك ازاء ما بدا على وجهه، وهو يقول:

"يا لك من جريئة صغيرة!"

ما من أحد وصفها بهذا من قبل.

فلم تتمالك أن ضحكت، إذ اعتادت أن ترى نفسها طويلة ليست صغيرة قط، ولا من الصنف الخبيث الذي يوصف عادة بهذا الوصف.

نظر اليها في فضول، وقال ببطء:

"لا أفهم كيف لم اتبين حقيقة شخصيتك من قبل. انك كنت تبدين..."

فتساءلت كقطعة من اثاث المكتب: "قال شيء من هذا القبيل فيما أحسب."

"أليس هذا ما كنت تبغي؟ كنت أنظر لعملي بجدية، مصممة على أن اكون فتاة عاملة، الى أن التقيت ببروس."

لم يخالط صوتها اقل اختلاج، بينما واصلت حديثها:

"كنت عازمة على أن اكون ناجحة، فانتهجت السلوك الذي رأيت أنك تريده. ولو كنت راغبا في قطعة اثاث اخرى بالمكتب، لكان بوسعك الظفر بها."

قال بصوت أحش:

"لا بد أن هذا اقتضى منك سيطرة على النفس عظيمة. فبعد السكرتيرة العجوز، أخذت أغير سكرتيراتي باستمرار، قبل أن أحظى بك."

فأومات برأسها وعيناها تتوثبان بالضحك، وقالت:

"كان عملاً ممتعاً، من ناحية من نواحي الاعتبار... فضاقت عيناه السوداوان، وهو يتفرس فيها قائلاً:

"لعله كان من الخير أنني لم أعرف حقيقتك تحت مظهرك الرخامي."

"لماذا؟ اكان هذا يغير من الامر شيئاً؟"

هز رأسه في شيء من الحيرة وقال:

"لا أظن. لولا تلك الوصية ما عرفتك ابداً على حقيقتك!"

وسأله في فضول:

"ما الذي جعل جدك يضع وصية كهذه؟"

والتفت نظراته بنظرة جادة منه، وأجاب سؤالها بسؤال:

"أليس الامر واضحاً؟"

وتضرج وجه ليلى حيث أدكرت ما كان قد خطر لها عن سبب الوصية، بينما واصل هو الحديث:

"كان يريد وريثاً لكاراسترانو... وكانما نسي وجودها لحظة وراح يتأمل يديه النحيلتين القويتين، وقد انعقدتا على ركبتيه، ثم قال في لهجة تكاد تكون غاضبة:

"أنني لا أحب أن يملي أحد تصرفاتي علي... وكانت لجدى السلطة التي جعلته يفعل ذلك يوماً، فلم اشأ أن اسمح بأن يحدث هذا مرة أخرى."

وبدا غابسا كما تعودته في المكتب... وهمت

بالكلام، ولكنه قطعه عليها، دون أن يفطن تقريبا، إذ مضى يقول:

"حاولت من البداية أن أموه الشروط التي فرضها... فتزوجت، فلا سبيل الآن الى أية عقبة تعترض أن أرث كاراسترانو".

قالت في هدوء:

"ليس هذا... غشا... الى حد ما؟"

فهتف: "غش؟"

هزت رأسها قائلة:

"نعم، فأنت في الواقع سترت تحت ادعاء زائف".

ولم تدر كيف تسنى لها أن تجد الجراءة لتقول هذا. ونظر إليها وعادت لعينيه السخرية المتهمكة التي كثيرا ما صادفتها في الايام الاولى لاتفاقهما العجيب وتساءل:

"اتقترحين أن يجري تنفيذ الشرط بحذافيره حتى النهاية؟"

شعرت ليلي بأن وجهها يحمر ثانية، وقالت بلهجة، وأن تمننت لو أستطعت السيطرة على بوادر الحرج الاخرى:

"لست اقترح شيئا... كان من العسير بعد أن بدأت هذا الدرب ان تتحول عنه، وأستأنفت قائلة:

"لعلك كنت تقدم على زواج عادي، لو لم تسمح بأن يستفك هذا الشرط من جدك".

ولكن، ليلي لم أشأ الرضوخ له تماما".

"أذن فهل تعترزم بعد انضمام زواجنا أن تعيش هناك بقية عمرك، ثم تدع كاراسترانو يؤول بعد موتك لأغراب... إذا لم يكن هناك اعضاء آخرون بالاسرة لهم حق الوراثة؟"

قال متعجلا:

"ليس هناك أحد سواي".

كان مقطب الجبين وكأن فكرة استيلاء أغراب على كاراسترانو لم تكن مستحبة. وقال بعد لحظة:

"أحسب أنه ما كان ينبغي أن أفرط في لومه. فالعادة في المكسيك أن يدير الاهل الزيجات... لا بد انني عشت في أنكلترا مدة طويلة انستني ذلك".

وأضت عيناه بابتسامة ضئيلة جدا، وأردف:

"ما الذي تقترحين إذن أن افعل؟"

تحاشت ليلي نظرتة وقالت:

"لست املك ان أقول لك ما تفعل... فهذا امر لك ان تقرره وحدك، ولكني أحسب أن جدك كان يحب كاراسترانو

ولا بد قدر حبك اياه، والا ما وضع هذا الشرط أملا منه في أن يكفل الا يؤول الميراث لأغراب".

كان الحديث أعجب حديث، فأسرعت تصيف لكيلا يسيء فهم قولها:

"أحسب أنه سيكون من السهل، بعد انفضاض زواجنا، أن تدبر على وجه افضل، ذلك النوع من الزواج الذي كان جدك يفكر فيه، ولكنه في هذه المرة سيكون زواجا باختيارك الشخصي الحر، لن تكون مستهدفاً بالزواج ان تكفل ميراثا".

"تعنين بتعبير آخر، أن اختار بنفسي وأن يصدر الاختبار عن ارادة حرة، وليس عن رضوخ له؟"

"نعم".

ضحك في استهجان، وقال:

"فتاة اسبانية مطيعة، تتزوجني بأمر من أسرتها، هل هذا ما تقترحين أن افعل؟"

عادت ترفض بعناد ان تدلي بجواب محدد، مؤثرة أن تعلق على الموقف بوجه عام: أنني لا أملك أن أقترح شيئا. لقد كانت لي أسباب شخصية لهذا الزواج... فأكمل عنها العبارة:

"ولا رغبة لديك في أن تستمري فيه".

نهض، وأخذ يتأملها لحظة وعلى وجهه تعبير غامض، ثم خرج متمتماً بأن سكاثيره نفذت، وأنه سيذهب لشراء غيرها.

وقفت ليلي هي بعد أنصرافه وقد فطنت أخيرا الى أن يديها كانتا تتماسكان بشدة بدرجة ألمتها، ولكنها لم تلاحظ

الألم قبل ذلك... ولعل السبب كان ألما من نوع آخر، خالجها وهو يتكلم عن زواج ينشأ عن رغبته ورضاه، بعد حل زواجهما!

٩ - البيت الابيض

من فيراكروز حيث رست الباخرة استقلا الطائرة الى مكسيكو ستي، ونزلا في فندق صغير ولكنه كان راقيا، تسوده الاناقة والترف غير الصارخ. كان المبنى حديثا، يربط مكسيكو ستي بالحاضر. ومع ذلك فكانت تشعر ليلى بشيء ما يربطها بالماضي عندما كانت تتمشى في الطرقات، الصباح التالي مع رويز.

وقفا بجوار الكاتدرائية، يتطلعان عبر الزوكالا، التي كانت يوما موقع بلازا تينو كيتلان العظيم، حيث كانت نعال الآزتيك تطأ الارض يوما، وأقيمت اليوم على ارتفاع عشرين قدما فوق اطلاله العتيقة، المدينة الحديثة التي لا تزال تسمع همسات الماضي... وتأمل رويز وجه عروسه وابتسم قائلا:

"هل يثير اهتمامك شعب الآزتيك القدامى الذين كانوا من الهنود الحمر وحكموا المكسيك قبل الفتح الاسباني؟"
أومات برأسها، بدون أن تنظر اليه، وقالت:

"لكم وددت دائما أن أجيء الى هنا"
ولكنها لم تحلم أبدا بأن يكون مجيئها في هذه الظروف.
وأردفت بصوت خافت:

"كأنني بالماضي لا يزال بطريقة ما اأيبدو من البلاهة أن أقول أن بوسعي أن أغمض عيني، وأعتقد حقا بأنني أراهم يسرون؟"

هز رأسه وقال:

"كلا... فكتيرا ما شعرت شخصا بهذا..."

وكانما كان وقع اقدام الازتيك ينبعث هامسا في ردهات الزمن، وزعماء قبائلهم يمررون والریش التقليدي يهتز فوق رؤوسهم، وعيونهم الضاربة تهرق، والمخاربون بدروعهم المحشوة بالقطن، والكهنة بجلابيبهم السوداء يمسون بخناجرهم المصنوعة من الزجاج البركاني، التي كانت تشق قلب القرايين من الضحايا الاحياء، والنساء في ثياب بسيطة ولكنها غنية بالوشي المطرز، وشعورهن السوداء مسدلة على أكتافهن، وتتوجها أكاليل من الزهور... كل ما كان يمت

الى وثنية الماضي الغنية.

قال رويز مشيرا بأصبعه:

"هناك بقع قصر رئيس الجمهورية على أطلال قصر مونتروما، ولا تدري سوى السماء أية تحف دفينه تحت الزوكالا... لقد هدموا المعابد القديمة من أساسها..."

وهز رأسه وكأنه لا يقر تحمس أسلافه في اخفاء الحضارة القديمة تماما تحت حضارتهم. وبعد لحظة أشار اليها كي تتبعه، وراح يريها الحفر التي كشفت درجات المعبد الأكبر العتيق. ومضى في الحديث بهدوء، فاذا الماضي يتمثل حيا... وكأنها ترى في الخيال المعبد الأكبر كما كان يوما، والاسرى يصعدون مئات الدرجات، الى حيث كان الكهنة ينتظرون عند القمة، والحضور يترنمون لاسترضاء القوى الخفية، وأشار رويز الى حيث كان حامل الجماجم، والحوض الشمالي على شكل القارب ومعبد دائري لرمز الرياح، وحجر القرايين، والكأس الدائري الكبير الذي كان يستخدم لحرق القلوب.

ثم قطع حديثه مبتسما، وقال:

"لا يمكن أن ننكر بأن بعض عاداتهم كانت سيئة جدا، لكني كثيرا ما أرثي لضياح كل هذا..."

ومضى يحدثها عما كان مقدرًا للفاتحين الاسبانيين ان يجدوه وعندما وفدوا لأول مرة الى المدينة التي كانت تدعى اذ ذاك تينو كيتلان... حداثق يانعة وبنائيات بيضاء جميلة، لم يكن بعضها ينم في البداية عن الانحراض الرهيبة التي كانت تستخدم لأجلها... كانت المدينة القائمة بين بحيرات تربط بين معابر وجسور، وتعبر سطحها الازرق الزوارق، تلوح وكأنها تبرز من حلم. وكانت المعابد الهرمية الشكل تعلو فوق بنايات المدينة، وحامل الجماجم بزينته المخيفة. ولو انهما كانا جاءا في تلك الايام، لشهدا حجرا دائريا آخر، يختلف في النقوش والغاية عن حجر القرايين الكبير... هنا كانت تمارس ألعاب رياضية قاسية في أيام الاحتفالات، اذ يربط أسير الى حجر، وعليه أن يدافع عن نفسه بهراوة خشبية ضد غريم يمتاز بالاستحواز على خنجر حاد من الزجاج البركاني.

قال رويز بصوت أجش:

"كان عادة يلقي حتفه... ميتة مشرفة، حيث أنه يقدم قربانا الى رمز الشمس تونانتيوه... وأحيانا، كان الاسير يقاوم مقاومة بارعة تكسبه العفو..."

* ماذا جرى للهنود بعد الفتح؟
* أنهم لا يزالون باقين ٠٠٠ مستذلين أبشع استذلال لسوء الحظ
ولكن، قد تتاح لهم الآن فرصة.*

كانت ليلى قد سمعت عن البرنامج التعليمي الذي قدمته
الحكومة المكسيكية لأهل البلاد القدامى، بعد ان كانوا
مستعبدين لفترة طويلة.

سألت ليلى في فضول:
* الا يزال الهنود الموجودين كثيرين؟*

فاوما رويز قائلاً:
* حوالي خمسي سكان المكسيك من ذوي الدم الهندي
الخالص. واذا استبعدت اولئك الذين فيهم بعض الدم
الهندي، فلن يبقى من السكان سوى جزء من عشرين من عدد
السكان الحالي.*

رماقه ليلى بنظرة فضولية، وسألته:
* هل في عروقك دم هندي؟*

فابتسم قائلاً:
* كلا. ليس فينا شيء من دم الآزتيك.*

وتأملها وهو يقول مداعباً:
* هل خيب هذا أملك؟ أكان يزيدني إثارة وجود الدم الهندي
في عروقي؟*

قالت وعيناها تتراقصان:

* الى حد كبير جداً، ولكني على استعداد لتقبلك بدوني.*

ضحك قائلاً:
* اظنك تودين رؤية المتحف ما دام هذا شعورك نحو
الماضي.*

ووافقت على الفور، فلما بلغاه، أذهلها القدر الهائل من
الآثار المستخلصة من ماض متباين المراحل، مفرق في
الداء.*

وبعد الغداء قاما بجولة مختلفة، حيث اتجاها الى المتاجر
الحديثة، وأصر رويز على أن يشتري لها برغم اعتراضها أي
شيء كان يعجبها. مما أجبرها في النهاية على أن تلزم
الصمت إذ شعرت بأنها أخذت أكثر مما ينبغي ولكن هذا لم
يحقق غرضها تماماً، إذ بدا أنه اكتسب قدرة على قراءة
أفكارها.*

ثم تناولا العشاء في ذلك المساء في مطعم حديث، ورقصا
في قاعة للرقص واسعة بدرجة مدهشة. وكانت قد

اكتشفت على الباخرة انه راقص بارع، لم ينقصه المران، وأن
كان مسلكه السابق في العمل أوحى لها بأنه ما كان يحضر
كثيراً من المناسبات الاجتماعية. كان رجلاً يختلف كل
الاختلاف عن ذلك الذي عرفته في المكتب، حتى لم يعد
بدهشها ان تكتشف جديداً عنه في كل يوم تقريباً. بل بدا أنه
كان يزداد تغيراً في كل دقيقة، حتى أيقنت أنه سيأتي يوم
سيبدو فيه غريباً لكل من عرفه حيث لم يعد فيه شيء من رويز
الدوريت الذي كان يمتلك مؤسسة مريديت.*

وفي اليوم التالي حضرا حفلة عشاء، ومع انها كانت
مستحبة في بادئ الامر فإنها سرعان ما تخلت عن ارتباكها
اذ تبينت أن في وسعها الكلام باسبانية مفهومة، وأن تشترك
في الحديث الدائر حولها. وبدا أن رويز مازال على اتصال
بكثير من أصدقائه في المكسيك، وربما انه جدد صلات
التعارف في زيارته السابقة. كان أحد معارفه ممثلاً شاباً ذا
شعبية كما بدا لها، نشأ قريباً منه، وكان كثير الحركة،
جريباً. ومع انها لم تكن قد امضت في مكسيكو سيتي أياماً
تذكر، فقد عرفت اسم رامون تالمونت، كواحد من أشهر
الممثلين.*

وأخذت تراقب رويز في السهرة وتنصت الى صوته الخافت،
وهو ينكلم الاسبانية بسرعة وطلاقة، وشعره الاسود اللامع
يتألق تحت الاضواء، كان واضحاً أنه لم يكن يختلف عن أي
من الموجودين في شيء، بل أنه رقص مثلهم، وكان في كل
حركة من رقص اللاتينيين بهاء ووقعا موسيقياً. وشعرت
بشيء من العذر إذ لم تتمالك ان تعترف لنفسها بأنها اكثر
استمتاعاً بالرقص معه، مما كانت مع بروس!

كذلك امتازت الاسبانية بحدث آخر، هو أن أسماها الجديد لم
يبد لها لأول مرة غريباً بل كان من الممتع ان يوجه اليها
الحديث كسنيوراً آدوريت.*

وفي اليوم التالي تناولا العشاء ورقصا معا على حدة وتكلما
بالانكليزية، ولكنها بعد أن سمعته يكثر من الحديث
بالاسبانية لاسيما في الاسبانية السابقة بدت لها اللغة
الانكليزية غريبة من شفثيه، وهي التي تعودت سماعها منه
طيلة وقت عملها معه.

وقالت له:

* اتعرف ٠٠٠ أنني أفضل أن تتحدث الاسبانية.*

ثم تضرع وجهها اذ تبينت انه ليس من حقها ابداء اية
تفضيلات، وقالت تعتذر بارتباك:

أعني أنني...

فابتسم قائلاً:

أنني أحتار أحياناً أي اللغتين لغتي.
فسألته:

ألسنت تفضل أحداها؟

وأخلد للتفكير، ثم قال:

*لا أدري في الواقع انني أحب الاثنتين، ولكنني تعلمت
الاسبانية أولاً.*

وعاد يبتسم، ابتسامة غريبة الدفء، أرسلت هزة عجب في
نفسها، وأردفت:

لعل الجدير بي أن أدع القرار لك.

قالت وقد عاودها الارتباك، مدركة أنه لم يعني ذلك:

*الآن وقد عدت لوطنك، فسيكون من الطبيعي أن تتكلم
الاسبانية.*

استمرا بعد ذلك يرقصان فترة أخرى، ثم أوبا الى
غرفتيهما المنفصلتين. ورات ليلي في نومها حلماً بالغ

الغرابة. بدا كأن ستيلاً ظهرت لها فجأة، وقالت:

*ان ما حدث كان خطأ، وأنها لم تكن رابعة في بروس حقا،
فلها أن تستعيده اذا أرادت.* كان هذا في حد ذاته سخفاً

ساذجاً، ولكن الذي أدهشها حقا، هو أن الحلم أقنعها بأنها لا
تريد استعادة بروس. أذ قالت:

أنني أوتر أن أبقى كما أنا...

وعندها ظهر رويز فجأة في الحلم، وابتسم لها ابتسامة
دافئة، الابتسامة التي بعثت في نفسها الدفء في وقت سابق

من الليل.

في الصباح التالي، أحضرت لهما السيارة السوداء الكبيرة،
التي اشتراها رويز في زيارته السابقة، وكانت أولى جولاتهما

فيها في بقعة كالدي تاكوبا الممتدة على طريق مرتفع قديم -
الى تلاكوبان - حيث تفهقر القائد كورتيز وهو كسير القلب

وحيث ظلت شجرة السرو القديمة، التي بكى تحتها القائد
الشهير تجسد الصلة بالماضي، وحيث انشئت كنيسة في

الميدان الرئيسي في ازكابوتزالكو، العاصمة العريقة لزعماء
التولتيك والتبانيك، وفي طريق العودة الى مكسيكو سيتي،

عرجا على البقعة التي كان الهنود يوماً يكرمون فيها
توانانزين، رمز الامومة لدى الآزتيك.

كانت ليلي في بادئ الامر مترددة في الاسراف في

إبداء اهتمامها بماضي المكسيك، لكيلا تضجر رويز، ولكنها
حين تبينت أخيراً أنه كان يستمتع بهذا الماضي قدر
استمتاعها، لم تحاول أن تكبح اهتمامها، وأخذت تبتسم
لنفسها كلما أدركا أنه كان يفخر بأن يريها معالمة. كان يحب
ماضي هذه البلاد وحاضرها، ثم، كان هناك كاراسترانو...
لا عجب في أنه كان على استعداد لأن يفعل أي شيء ليظفر
بالميراث الذي كان في انتظاره.

بعد اسبوع اشبعاً فيه حبهما للماضي، قررا أن الوقت حان
ليمضيا الى كاراسترانو. ومع ذلك فانهما قطعاً الرحلة ليعرجا
على تيوتيهواكان، حيث كانت الحكومة تنقب عن المدينة
التي كانت عاصمة يوماً ما، وما زالت الاطلال توضح بعضاً من
عظمة الماضي وأمجاده. كانت تيوتيهواكان أولى مدن المعابد
المقدسة، وأعظم مدن عشائر التولتيك، موطن أولئك
المعماريين والميكانيكيين المحفوفين بالغموض، والنجارين
والزراعيين البارعين، كان وادي تيوتيهواكان بأكمله ثلاثة
اميال ونصف الميل طولاً، وحوالي ميلين عرضاً، فكانه طريق
ممهدة... وقد تناثرت في المساحة كلها أطلال بنايات فخمة،
هجرت... قبل مجيء الاسبانين الى المكسيك.

أدركت ليلي أن هذا الوادي أكثر ماسيلصق بذاكرتها،
والتفتت خلفها أكثر من مرة، تتأمل الاهرام وهي تتلاشى عند

الافق. وعادا بعد ذلك الى الطريق العامة المفضية الى
كاراسترانو، وتوقفا عند فندق كبير ليتناولوا الغداء، فرأت

ليلي عدداً كبيراً من السياح، وسمعت اللهجات الاميركية ولكن
المكان الذي تناولا فيه العشاء، وقضيا فيه ليلتهما، كان بيتاً

اسباني الطراز، على النمط المعماري القديم في عهد
الاستعمار وقد حول الى مطعم تعلوه غرف قسيحة. وبعد

افطار خفيف في الصباح التالي استأنفا رحلتهم بالسيارة.
وكان اليوم قد انتصف تقريباً، عندما اقبلا على قرية

صغيرة، وراء حدودها مباشرة مخفض رويز سرعة السيارة،
والتفت اليها مبتسماً، وسألها:

أتودين أن تذهبي الي عرافة؟

فأجابت على الفور:

أحب هذا...

ثم أردفت وهي تضحك:

*أنني أعرف ان المرء لا يصدق كلمة مما يقوله العرافون،
ولكنهم مع ذلك يأسرونك!*

كانت العرافة عجوزا مجعدة الوجه، تعيش في كوخ على حافة بحيرة، تأملتها بنظرات مبهمة وهذا طابع المهنة لدى كل العرافين، ثم وجهت ليلي الى مقعد صغير بلا مسند، خارج الكوخ، وجلست على الارض، وأمامها وعاء مسطح فيه ماء، وناولت ليلي حفنة من التراب لتقبض عليها لحظة، ثم اشارت لها بأن تلقيها في الوعاء، وراحت تتفرس فيه لدقائق.

وقالت أخيرا، دون أن تنظر اليها:
"كان هناك شقاء، ستنسيه بعض الوقت، ولكنه سيعود".
وتفرست بنظرات غامضة في ذرات من التراب طافية ثم قالت:

"حزن يفيم على الماء..."
وفي تلك اللحظة ظهرت الشمس من وراء بضع سحبات في السماء، ألقت أشعتها على الماء وكأنها تثبت خطأ العرافة. واختلجت شفتا ليلي بابتسامة صغيرة، على الرغم منها، في حين أنها كانت تعجب في نفسها كيف أستطاعت المرأة أن تعرف أنها تعرضت لشقاء.

وكانما بدت بوادر خفيفة على وجهها، فاذا العجوز تنظر اليها فجأة، قائلة انك تبترسين، ولكن هناك نجمة داكنة في حياتك، ولن تشرق الشمس بسعادة باقية الا بعد غروبها. ونهضت فجأة، وأفرغت الماء في البحيرة، ودخلت كوخها وأغلقت بابه بشدة. فألقى رويز بضع قطع نقدية على المقعد، ومس بأصبعه مرفق ليلي يقودها الى السيارة. وعندها انتبه الى صمتها، فوجم لحظة، ثم ادار وجهها اليه، وقال بابتسامة واهنة:

"ما أظنك تأخذين قولها على محمل الجد؟"
فقالت متعجلة:

"كلا... كلا طبعاً، ولكنها لم تتمالك أن اردفت:
"كيف عرفت بأنني صادفت شقاء؟"

"هؤلاء المسنات يتعلمن قراءة ما يفغل عنه سواهن من أسارير الوجه، ولكننا سنحاول ان ندبر الا يكون ثمة شقاء آخر لك!"
وحاولت ليلي أن تبترسم ولكنها لم تستطع أن تنسى كلمات العجوز، بالرغم من أستهجانها هذا من نفسها... ماذا كانت تعني العرافة بوجود نجمة داكنة في حياتها... وفجأة تذكرت انهم كانوا يسمون ستيلاً بالنجمة الداكنة احيانا، فشهقت والتفت اليها رويز متسائلا:

"ما بالك لا أحسبك تدعين العجوز تضايقك؟"

ورفع احدي يديه عن عجلة القيادة، وأمسك

يدها، واستبقاها تحت أصابعه وهو يمسك العجلة وقال:
"ما كان ينبغي أن أخذك اليها".

"أنه سخف مني، ولكنني أظن أن في نفوسنا جميعاً قدراً من الايمان بالخرافات وخاصة إذا مست وترا في النفس".
واستسلمت مطمئنة الى قبضة اصابعه، فقال:

"أنسي هذه المرأة".

وجاهدت نفسها لتطيعه، ولكنها لم تستطع أن تنسى تماماً... كانوا يسمون ستيلاً النجمة الداكنة كتدليل ومحبة، وليس كتشاؤم، وإذا كانت ستيلاً قد سببت لها بعض الشقاء، فانها لم تكن متعمدة... لم تتمالك نفسها من أن تقع في هوى بروس... ومثل هذه الامور تحدث!

ولكن ما الذي رمت اليه العجوز بقولها ان السعادة المقيمة لن تكون دائمة حتى تغرب النجمة الداكنة.

أوقف رويز السيارة حوالي العصر على قمة طريق منحدر طويل. وتبعته ليلي عندما فتح باب السيارة وغادرها، فقادها الى حافة التل، وقال:

"كاراسترانو". وأطلت الى حيث أشار. كان التل ينحدر في سلسلة من الطرق المنحدرة، حتى اذا بلغ مستوى الارض في النهاية رأت جوهرة في سهل مترامي الاطراف، رأت هبنى ابيض كبيراً تحيط به غلالة لامعة من اللون، بدت انها ازهار... على مسافة قصيرة من قرية صغيرة، كأنها من مخلفات الايام التي كانت فيها كاراسترانو مجتمعاً صغيراً ذا كفاية ذاتية.

وسمعت نفسها تقول بصوت خافت:

"ما أجمله!"

وفهمت اذ ذاك لماذا ارتبط بزواج دون حب في سبيل الاستحواذ عليه.

وعادا الى السيارة، وانطلقا، فأخذ كاراسترانو يفيب عن بصريهما كلما انحرفا بين التلال المنخفضة ليهبطا أخيراً، انسابت بهما السيارة خلال القرية التي بدت كأنها من فيلم عن عهد الاستعمار. وكان ثمة رجال ونساء يرتدون زياً تقليدياً قديماً... ولعلهم كانوا يؤثرون أسرة ألدوريت بولاء يفوق ما يكون للحكومة.

ورمقت رويز بنظرة سريعة، تسائل نفسها كيف يبدو لو أنه ارتدى الزي القديم في كاراسترانو، كما يرتديه القوم.

انه يناسبه أكثر من الثياب الحديثة . وما لبثت السيارة ان خلفت القرية وراءها ، وأخذت تقترب من كاراسترانو .
 كان المبنى اذا ازداد اقترابا أكثر جمالا . والورود المتسلقة تعلو السياج الحجري القديم ، والابواب الخارجية المعدنية مفتوحة ، تحمل أشعارا للأسرة كادت نقوشه تنمحي . ولم تستطع ليلي أن تتبين الشعار ، ودخلت السيارة عبر البوابة المفتوحة ، واستقرت في فناء مرصوف ، تكاثفت الورود في كل مكان فيه . وكانت امامها مباشرة درجات تؤدي الى اقواس من الطراز العربي المغربي . وفي أعلى الدرجات ، خلف الاقواس ، كانت شرفة مرصوفة بالقرميد الازرق الدقيق ، بينما تخلل جدران المبنى البيضاء بابان مفتوحان من الخشب السميك .

سارا عبر البابين الضخمين اللذين كانا يحملان نفس الشعار الذي حملته الابواب المعدنية ، وأذا بأمرأة بدنية تقف في البهو الرطب ، مرحبة بهما باحترام ، على النمط القديم ، واصطف خلفها بقية الخدم ، وقد انحنوا ورويز يقدمهم ، كل بدوره . وما لبثت أن صرفتهم مدبرة البيت البدينة تشيتا ايستوريل .

طلب رويز قد حين من القهوة ثم اجتازا حجرة منخفضة طويلة ، تطل على فناء داخلي منخفض ، أثار عند ليلي رغبة ملحة في اكتشاف البيت ، فقال رويز :
 " سأصطحبك في جولة تفقدية بعد أن تستريح وتتناولي بعض المرطبات ، وأمل ان يروق لك ."
 فهتفت : كل ما رايت حتى الآن جميل كل الجمال . . . جميل حتى لقد بدأ يأسر قلبي . . .

جلسا في مقعدين مرتفعي الظهر ، من خشب أسود عتيق ، كان يلعب تحت الصقل المستمر . وكان الظهر والمقعد مبطنين بالجلد الموشى بالنقوش التي ظلت زاهية بالرغم من قدمه . وأحضرت تشيتا القهوة من قدهين صغيرين ، رقيقين تزينهما رسوم يدويه . فهتفت ليلي :

" أشعر ك انني رجعت القهقري في الزمن . فأوما رويز قائلا :
 " لقد أنشئ كاراسترانو في عهد الاستعمار القديم ، وحاولنا ادخال الطابع الحديث دون ان نفسد مظهره الخارجي ."

نهض رويز اذ فرغا من القهوة وقال :
 " الآن سأصطحبك في الجولة التفقدية التي تريدين ."
 وأذ خرجا الى البهو ، قادها الى ممر تحف به

الاقواس ، يؤدي الى ردهة جدرانية من الزجاج . وأدت الردهة مباشرة الى الجناح الجنوبي للقصر ، وادركت ليلي سر البذخ في فخامته ، حين عرفت أن أرض الجناح بأكمله تؤلف قاعة للرقص ، في أحد جانبيها نوافذ طويلة تطل على الساحة الوسطى للقصر ، وفي الجانب الآخر شرفة واسعة ، واجهتها صف الاقواس المتوالية التي شاهدها وهما يقتربان من كاراسترانو .

قالت متهدجة الانفاس ، وهي تتصور الموسيقى والمرح يترددان في جنبات الحجرة الجميلة :
 " أنها . . . باهرة !"
 فابتسم قائلا :

" يجب أن نقيم حفلة راقصة احتفالا بعودتنا لدرانا . . . العودة للدار ! أهذا ينصق عليها ؟"
 قال وهما يخرجان الى الساحة الوسطى فيجتازانها الى الجناح المقابل :

" سوف اصطحبك لتلتقي ببعض جيرانا ."
 في هذا الجزء من المبنى كانت غرف استقبال ، مزيد من الغرف في واجهة المبنى ، بعضها كبير ، وبعضها صغير ، بعضها ذو طابع رسمي ، وقلّة منها لا تقل عن الباقيات جمالا ولكنها مستعملة . وكان من الواضح أنها أكثر الغرف التي استخدمتها أسرة الدوريت .

ومن هناك عادا الى البهو ، ولخطواتهما همس على الارض الخشبية الناعمة ، وهما يتجهان الى السلم الرحب المنساب . . . لا بد بد أنه كان مقاما منذ قرون وأن فرسانا وسيدات رفيعات المقام قد صعودوا درجاته الواسعة في الماضي . . . كم كان الاختلاف كبيرا بين خلفياتهما حتى ان سفنا من بلادها وسفنا شرعية من بلاده ، التحمت في الماضي في حرب ، لقد كانت ثمة اقاويل عن مغامرين من أجدادها ، فسألت نفسها عما اذا كان قد قدر لأحدهم ان يكون على سفينة اشتبكت يوما مع سفينة تحت امرة فرد من أسرة الدوريت عفا عليه الزمن . . . لقد قال رويز أن أسرته وفدت أصلا مع الفاتحين ربما كانت عائلته خارج المكسيك عندما كان القراصنة الانكليز يغزون البحر القاري .

وما قد صمتت المدافع منذ زمن بعيد ، وجاءت هي عروسا الى هذا البيت العتيق الزاخر بذكريات الماضي . . . عروسا مؤقتة ، جاءت للزيارة وليس للاقامة !

كان هناك رواق للصور ذو ثلاثة جوانب وفي طرف من الجزء الأوسط منه اقواس تقود الى الاجنحة الاخرى بالقصر . وكان الجزاءن الايسران والاطوسط يحملان لوحات لأفراد من الأسرة ، بينما كان جزء من القسم الاوسط وكل القسم الايمن مبطنين بالخشب الاسود الصقيل .

نظرت ليلى الى الصور مبتسمة ، وقالت :

"هؤلاء بعض اسلافك؟"

فأجاب ابتسامتها بمثلها ، وقال :

"تعالى أعرفك بهم . . ."

وسارا الى بداية القسم الايسر ، واوما برأسه نحو اللوحة الأولى في الصف قائلا :

"دون اكرافير مانويل جوزيه باليادي الدوريت ."

فهمت ضاحكة :

"ما أروعه!"

قرص خدها برفق مداعبا ، وقال :

"لا تنسى الاحترام!"

ومد يده الى كتفها ، وذراعه تحيط بمنكبها في عناق خفيف .

كان دون اكرافير - فيما يبدو - هو الجد الذي جاء مع الغزاة وشيد كاراسترانو . ومضيا من الصورة الى اخرى ، وهو يحدثها عن الرجال والنساء في تاريخ القصر : دون فيليب ، الذي كاد يقضي على ثروة الاسرة في القمار دون ريناتو ، الذي انقذ القصر وثررة الدوريت ، بالكشف عن أحد كنوز الاينكا الدفينة في بيرو وعن احد مناجم الذهب ، وهذه الحسنة دونا روزاليا التي أثرت دخول الدير على الزواج من رجل اختارته لها الاسرة وكانت تحب سواه ، ووصلا الى رجل ذي ذقن تنم عن العناد ، وشفتين رفيعتين قاسيتين ، كان ذا شبه مذهل بالرجل الذي وقف الى جوار ليلى ، ثم رجل وامرأة لا يشبهان رويز الا في القليل ، بالرغم من أنهما كانا . . . ابويه ! ووفقا امام الرجل الذي استرعى انتباه ليلى واهتمامها وتساءلت :

"أهو جدك؟"

فهز رأسه ، وزم فمه ، ثم قال :

"نعم . . . أذن ، فهو الرجل الذي أجبر حفيده على الزواج ، رغم ارادته ."

وتأملت القسمات الحادة السمراء ، التي كانت شديدة الشبه بقسمات الرجل الذي تزوجته . . . لعله أوتي طباعا كطباع رويز ، ومن هنا كان الصدام بينهما . بالاضافة الى خلافهما بشأن الخطبة المفسوخة التي ذكرها لها مرة ؟ ووجدت ليلى نفسها اكثر فضولا بصدد الفتاة التي اراد ان يتزوجها يوما ، بيد أنه كان من المستحيل أن تسأله عنها . كانت عروسا غريبة ، لا تعرف عن زوجها سوى القليل . . . بل لا تعرف كيف مات أبواه ! ولعله فطن الى نظراتها الفضولية المتسائلة ، فقالت في شيء من التردد :

"بيدو أنني لا أعرف الا القليل ."

فقال :

"وهذا ليس عدلا ، لأنني أعرف الكثير عنك ."

وابتسم لها محيطا كتفها بذراعه أكثر أو لعلها تخيلت ذلك ، وتجلت رغبته في المداعبة ، اذ قال :

"أنني أعرف مثلا أنك أوتيت ولعا بتسلق الاشجار ا لابد أن أعرفك يوما ببعض الهنود الحقيقيين!"

تطلعت اليه في دهشة ، وتساءلت :

"أيوجد بعض منهم حقا؟"

قال :

"قلة ضئيلة في التلال ، وفي كاراسترانو بعض افراد يجري في عروقهم دم هندي ."

وسارا الى نهاية القسم الاوسط من الرواق ، حيث امتدت ردهة ضيقة معتمة ، تقود الى الجناح الشمالي . وكانت ثمة ردهة أخرى بطول هذا الجناح ، تحيط بها حجرات ، وبعض نوافذ تطل على الساحة الوسطى ، ونوافذ في الجانب الآخر تؤدي الى شرفات على الجانب الخارجي للقصر . وقال رويز :

"أن الجناح الجنوبي كان على النسق ذاته . ولما بلغنا نهاية الردهة تحولا الى القسم الخلفي للدار ، حيث غرف الخدم ."

وكان هذا الجزء من الدار مغلقا ببابين ضخمين من الخشب الصقيل ، مزخرفين بنقوش محفورة ، أما الاثاث فكان مريحا ، بل فخما ، شأنه في الحجرات الاخرى التي كانت مؤثثة بذوق أنيق ، يجمع بين الطرازين الاستعماري والحديث ."

عادا الى مقدمة البيت ، خلال الردهة الوسطى للجناح الجنوبي ، فوق قاعة الرقص . كان كاراسترانو مريحا ، يتوسطه فناء مغلق من كل النواحي . وفي المقدمة تماما ، كانت هناك

ردهة واسعة، تؤدي الى احد جانبي البهو، حيث النوافذ الواسعة التي تطل على الساحة الامامية لكاراسترانو، وتسمح بدخول اشعة الشمس، وكانت هذه الردهة مزودة ببضعة مقاعد عتيقة الطراز من الخشب المنقوش والجلد المزركش. هنا بدأت أولى لحظات الحرج فمن هذه الردهة دخلا الى الغرفة الرئيسية الكبيرة، على باب واسع يحمل شعار الدوريت الذي ابلاه الزمن... حيث أعدت الغرفة لسيد كارسترانو وعروسه. كانت غرفة جميلة، ذات باب يوعي الى حمام خاص، ولكن ما بدد جمال المكان، سرير ضخم ذو أربعة أعمدة، وستائر قرمزية وزهية... وشهقت ليلي على الرغم منها مأخوذة!

لم تستطع ليلي - بكل ما اوتيت من قوة - أن تحول دون تدافع الدماء الى وجهها، حتى أيقنت أنه أصبح بلون الستائر القرمزية. أما رويز فبدأ متعجبا اكثر منه محرجا. وقال:
"كان ينبغي أن أفكر في هذا، فان من الطبيعي أن تعد تشيتا الغرفة الرئيسية".

كانت حقائبها قد نقلت الى الغرفة، ولم يكتمل افراغها، وكان الخادمة الشابة التي تولت العملية استدعت لأمر ما، سرت لأجله ليلي بيد أن ارتباك العروس لمشاطرت زوجها الغرفة، كان جديرا بأن يثير الاقاويل لو شاهده أحد غير الزوج!

التفت اليها رويز بابتسامة مداعبة، وقال:

"هناك غرفة للملابس، واتجه للطرف الآخر من الغرفة، وازاح إحدى الستائر القرمزية والذهبية، فاذا بها تكشف عن باب يؤدي لغرفة صغيرة، ذات رياش لائقة ان لم تكن باذخة وقال رويز:

"كان جدي معتل الصحة قبل موته، فكان خادمه ينام هنا... ورمفته - بعد لحظة - بنظرة مترددة، وقالت:
"حقا، ولكن... ألن يثير... أعني، أحسب أن الخدم سيتقولون بهذا الصدد!"

هذا صحيح، ولا مفر منه... هنا أختلف الامر عما كان عليه في الفندق فالعيون حولهما هنا ودودة ومتطفلة. وما من شك في أن من حولهما سيتساءلون عما اذا كان السيد وزوجته على شفاق، ولن تكون هذه بداية طيبة. ولو أن الغرفة ضمت سريرين صغيرين بدلا من السرير الهائل ذي الاعمدة الاربعه، لكان محتملا أن تجد ليلي الشجاعة لأن تقترح أن

يستعملا الغرفة معا. أما في هذه الظروف، فكان الامر يختلف. وبينما ذهب رويز ليصدر التعليمات لاعداد فراش الحجرة الصغيرة، اقتربت ليلي من حقائبها لتكمل افراغ محتوياتها. ولم تكن قد أخرجت سوى ثوب واحد، حين أقبلت خادمة مكسيكية شابة، فبدت مرتاعة لرؤية سيدة كاراسترانو الجديدة تهم باستخراج ثيابها بنفسها. وسمحت ليلي لنفسها بأن تقف جانبا متخذة مركز سيدة القصر، المركز الذي كان مفترضا ان تشغله في كارسترانو، والذي بدا غريبا لها ولكنها انصاعت للامر تاركة ماريا تفرغ الحقائب وعلى اساريرها ابتسامة تحببذ وأعجاب همزوجين باحترام. وآثرت ليلي ان تغتسل استعدادا للعشاء. فلما عادت، وجدت ماريا في انتظارها لتساعد في ارتداء ثيابها. ومرة اخرى انصاعت ليلي مسرورة لأن تكون مخدومة، وهي التي اعتادت الاعتماد على نفسها.

كان الثوب الذي اختارته ابيضا، بسيطا، بالغ الاناقة، كان من الثياب التي ابتاعتها لحياتها الجديدة، قبل مغادرتها انكلترا. وغني عن البيان انه كان من نوع ما كانت لتبتاعه لولا المبلغ الذي اودعه رويز المصرف لحسابها. وفتح لها حسابا آخر عندما وصلا الى مكسيكو ستي، وقبلت دون جدل - اذ تعلمت ان النقاش معه لا يجدي - معترمة الا تكثر من الافادة من هذا الحساب، الا لشراء ما يكون من الطبيعي ان تبتاعه كزوجة رجل غني، دون ان تسرف.

كانت قد ارتدت ثيابها، واخذت ماريا تسوي لها شعرها، عندما عاد رويز. فابتسم لها بابتسامة جعلت قلبها يخفق بشدة ولعله اضطر اليها لوجود ماريا ثم ذهب ليغتسل. وما لبث ان سمعته يغني لنفسه بصوت خافت، فابتسمت اذ بدا ان سيد كاراسترانو كان سعيدا في تلك الليلة، الليلة الاولى له في داره ووطنه. وكان لزاما ان تعترف لنفسها بأنها هي الاخرى كانت سعيدة جدا مع أنها لم تنس للحظة ان الوضع مؤقت وعليها ذات يوم ان ترحل الى انكلترا حيث تعود حياتها لسابق عهدها، وأن أصبحت الآن تعرف انها لن تنسى ابدا الرجل الذي تزوجته. طبعاً ليس من الضروري أن تعود حياتها لما كانت عليه تماما، فسيكون بوسعها لو شاءت ان تنشيء لنفسها مشروعا صغيرا، بعد أن دبر رويز ما يكفل لها الاستقلال بدخل خاص بها في المستقبل.

وعندما أصبحت مستعدة للهبوط الى الطابق الاسفل،

صرفت ماريًا وقالت بصوت لابد أن يسمعه رويز في الحجرة الصغيرة:

*سألقي نظرة أخرى على رواق الصور، وأقوم بجولة... فواتها صوته:

*حذار أن تضلي الطريق... وضحكت مطمئنة إياه الى أنها لن تضطره لارسال حملة للبحث عنها.

عندما التقيا بعد فترة في قاعة الجلوس، شاهدت ثانية جاذبية الرجل الذي كانت تظنه يوماً داعياً للنفور. كان يرتدي

بزة سهرة تناسب المنطقة الحارة، وقد رفع رأسه الأسمر بكبرياء غير متعمد، وعيناه السوداوان تبتسمان لها وسألها:

*الم تحتاجي لحملة للبحث عنك؟
فضحكت وهزت رأسها قائلة:

*المكان مخطط بحيث يصعب ان تتوه... انه جميل يا رويز.

بدا انه مسرورا جدا لأن كاراسترانو راق لها... وبعد أن قدم لها كأسا من الشيري، التفت الى الحدائق البادية خلال اقواس الشرفة وقال:

*ما أحسبني أدركت مدى افتقادي لهذا المكان حتى عدت اليه.

فسألته:
*ما الذي دفعك لتركه؟

ما أن نطقت بالكلمات حتى تمنيت لو أستطاعت ان تسحبها، فما كانت لتحب ان توحى بالفضول، لاسيما أنه بدا

عازفا عن الحديث عن نفسه، عندما ذكرت له انها لم تكن تعرف عنه الا القليل. ولكنه لم يضق بها هذه المرة، بل قال

وعلى وجهه الاسمر تجمعا:
*لأنني تشاجرت مع جدي...
ولمحت الوميض المتهمم الذي ندر ظهوره في الفترة

الاخيرة:
*بشأن امرأة، في الواقع.

قالت:
*أهي التي كنت قد خطبتها؟ وبادرت تردف معذرة، *أسفة

ما ينبغي ان أتطفل هكذا...
فهز كتفيه قائلاً:

*لم لا؟ ربما من الافضل أن تعرفي، فلا بد ان يخبرك شخص ما؟
قالت:

*لم أتمالك نفسي من الاهتمام...
وترددت أذ أوشكت أن تقول الفضول، ولكن هذه الكلمة

كانت كفيلة بأن توحى بالتطفل. وأضافت تتذكرا سئلة اختها الصبية تيس المداعبة المستحبية:

*لا سيما بعد الذي قلته في حفلة التوأمين...
ابتسم اذ ذاك ابتسامة شبه صبيانية، وقال:

*لم يكن لدى أختك الصغرى اية مخاوف من القاء الاسئلة...
فسألته بلهفة:

*الم تتضايق منها؟
قال:

*كلا، في الواقع... لو كنت تضايقت، لرفضت ان أجيب...
فعلا كان يمكن أن يتصرف هكذا... ان يتراجع وراء حاجز

الانكماش الجامد والتحفظ. لكنه أخذ الكأس من يدها، ووضعها على خزانة المشروبات ذات القمة الزجاجية، وقادها

الى مقعد وتير، وقال:
*تعال، فاجلسي...
وظل واقفاً، مبتسما وسألها:

*من أين تودين أن أبدأ؟
قالت:

*ربما... وتوقفت، ثم سألته وهي مازالت مترددة:
*كيف مات ابواك؟

وأسرعت مردفة:
*ولكنك أخبرتني بهذا من قبل...
فقال:

*نعم... وأنا بعد أفيق من لقاء جيرونيمو، كان يشير الى

يوم فاجأها في دور الهندية الحمراء، وابتسم في مداعبة ثم قال:

*ماتت امي عند مولدي. اما أبي فمات بعد ذلك ببضع

سنوات، مات في حادث، وهو على صهوة جواد...
وتولى جدك تنشئتك؟
او ما برأسه، وقال:

*لعلي كنت مرهقا لهما... احسبني كنت... جامحا...
وابتسم فضحكت ضحكة خفيفة، واسترسل قائلاً:

*اننا اهل المكسيك من أصل اسباني، ولعلنا - كما تزعم

الدنيا - أكثر استعداداً للآثار العاطفية من غيرنا...
وهز كتفيه، دون ما ارتباك، وهو يقول:

* ما كانت مغامراتي الغرامية تزعجهما، طالما كنت اخوضها بتعقل، ولكنهما عارضاني حينما رغبت في الزواج من احدي صاحباتي.

وتأمل النظر اليه مباشرة، ثم أضاف بعد لحظة:

* كان اسمها ميرسيدس لاسترو، راقصة في ملهى دون الدرجة الثالثة * تطلعت اليه اذ ذاك فرأت في تلك اللحظة في الذات - امارات استهجان ممزوج بالعجب ولكنه كان يستهدف نفسه بها . وعاد يقول:

* بالرغم مما قلت عن تجاربي، فانها كانت اكثر تجربة مني بقليل . كان يبدو أن كل امريء كان يرى حقيقة كنهها . . . ألا أنا . *

وكان ثمة اصرار على ألا أتزوجها، ولكنني قررت العكس، وغادرت كاراسترانو . كنت أعرف ما يترتب على ذلك وكنت مستعدا للمضي فيه، واخشوشن صوته وهو يقول:

* والظاهر أن ميرسيدس لم تكن مستعدة، كنت أظنها ستتقبل الانظف بشيء من كاراسترانو . *

سألته ليلي باستحياء، وقد بدأ الامر يتخذ وجها جديدا:

* ولكنها . . . لم تتقبله؟ كانت تظن من قبل انه لم يكن قد بلغ سن الرشد، وأن مجرد رفض السماح له بالزواج، هو الذي حال بينه وبينها . وقال في شيء من العجب، ولكنه ظل عجبيا مستهجنا:

* لم تتقبله . ذهبت لشراء زهور الزفاف، فلما عدت لم أجد لها بدا أنها كانت تود الزواج من كاراسترانو وثروة الجد، وليس رويج الدوريت . . . وفي تلك السن، يبدو أن المرء يأخذ الامور مأخذ الجد في مبالغة ظلت أريدها، ولكنني كرهتها، وألقيت اللوم على جدي لرفضه استقبالها في كاراسترانو . . . لم أعد أهتم باي امريء هنا . . . بل أنني هجرت البلاد، وذهبت الى انكلترا، حيث أهل امي التي كان يبدو أن زواجها بأبي أثار بعض الشحنة، اذ لم يكونوا راغبين في زواج ابنتهما من اجنبي، ولكنها خرجت على ارادتهم وتزوجته . كانت ثمة مرارة باقية، فسرهم ان يستقبلوني اذ لاح ان في ذلك صفقة لآل الدوريت في كاراسترانو . وسرت أنا الآخر بذلك، اذ كنت ألقى على جدي اللوم على كثير مما حدث . وأشركوني في موءسة ميريديت . . . وأنت تعرفين بقية ما جرى . *

أجل، كانت تعرف ما جرى . . . فتى مسكين، كسير القلب، ناقم على الفتاة التي أحبها لغدها به، وعلى الجد الذي

كان يعرف عنها ما يكفي لأن يرفض أن يتقبلها كسيدة مقبلة لكاراسترانو . وكثيرا ما يكره المرء شخصا حاول العمل لخيره، ومن المحتمل كذلك ان دون ديفغو تصرف في غطرسة وتعصب . فان تصلب عضلات عنقه - في صورته - كان ينم عن كبرياء متعنت كاف لان يقصى رويج عن كاراسترانو - الذي كان يحبه - الى اقارب غير معروفين في انكلترا، ولعل رويج فكر في الايعود أبدا، وحاول طيلة الوقت ان يكره الدار التي احبها اكثر مما أحب اي شيء آخر في الدنيا، وأن يغلق قلبه دون أن تدري انه حدث . . . أو على الاقل رآته يحدث، ولكنها لم تفهم . ان صفقتها - التي أقدمنا عليها كعملية مصلحة دون أية عاطفة - فظيعة، بل بشعة - ثم اخذت بشاعتها تخف قليلا، أزاء طلبها العجيب بأن يتظاهر بأنه يهواها أمام اسرتها، وعلى ما يبدو فان كل المرأة القديمة قد انزاحت، واصبح على استعداد لأن يبدأ حياة جديدة، وربما لأن يقع في الحب من جديد، ولعل هذا ما كان سيحدث اذا ما وضع نهاية لزواج العمل . *

وعبست دون ان تفتن وهي تعجب من أن هذا ما كان يبعث فيها مسرة تذكر . لقد اتفقا منذ البداية على أن هذا ليس سوى زواج عمل، وما كان من حقها هي ان تود تبديل ذلك، ولا كانت لديها فكرة عما يدعوها لأن تود ذلك . *

أم تراها كانت توده؟ أن حبا واحدا خاب، كان صدمة كافية وما كانت من الحماقة بحيث . . . مست تغضنات العبوس بين حاجبيها اصبع سمراء، اصبع رويج وقال:

* أنك عابسة كل العبوس . ما الذي يضايقك؟ أمي قصتي؟ *

* نعم . . . اعني أنني شعرت بالأسف من أجلك . . . ومما حدث . *

* لا داعي لأن تأسفي، حدث كل هذا منذ زمن طويل . . . *

وبسط يده نحوها مبتسما، اذ انبعث رنين ينبهها، وقال:

* الآن . . . هل ننتقل لتناول العشاء؟ *

نهضت ليلي مسرعة، وبالرغم من أن العبوس زايل محياها، فانه يلازم ذهنها، وهي تحاول أن تتبين الداعي له . أمي فكرة أنتهاء زواجهما، وهي التي عرفت من البداية انه لا بد أن ينتهي؟

١٠ - على سهوة الجواد

رفعت ليلي رأسها عن الرسالة، إذ أقبل رويز الى الغرفة، وقالت:

"أنت من كيري، هل تتذكرها؟ أنها الأخرى ذات شعر أحمر." فقال بلهجة محيرة:

"أنني أذكرها جيدا. أعتقد أنها الأخرى كانت في مطعم ريكي في يوم ذي ذكرى معينة. وقالت رأيا يشبه رأيك نوعا ما. فتضرج وجه ليلي ولكنها ضحكت قائلة:

"ما أحسبك ستتركني أنسى هذا." قال:

"قد لا تنسيه حتى اجعلك تعتقدين عكسه."

وبدت مترددا لحظة، ثم دس يده في جيبه، فأخرج صندوقا صغيرا وقال:

"أتذكر انك اعجبت بقرط من طراز الآزتيك، وقد أمرت بصنع واحد لك."

فتحت ليلي العلبة، فرأت قرطين من الذهب كانا مطابقين تماما لقرطين اعجبت بهما في المتحف. وومضت عيناها ابتهاجا، وبدافع لا أرادي، اندفعت لتقبل خده. وتضرج وجهها إذ فطنت لما فعلت، ولكنه لم يضق البتة بالحركة اللاارادية، بل ضحك مداعبا، وقال وعيناه السوداوان تتأملان ارتباكها في مرح:

"أحسن طريقة للتعبير عن الشكر. أظننني سأضطر لشراء مزيدا من الهدايا."

فقال:

"أنك أفرطت في الكرم حقا."

هز رأسه، وأضاف وفي عينيه بريق مداعب:

"من الذي لا يحاول ان يكون كريما أزاء حافز كهذا؟"

كان في عينيه وميض دافئ أخذ ينمو باطراد خلال الشهرين اللذين قضياهما في كاراسترانو. وابتسمت ليلي ولمست الرصعة المعدنية في حزامه الجلدي، وقالت:

"أراك متأهبا لركوب الخيل."

ولم يكن يرتدي ثياب الركوب المتعارف عليها، كما كان يفعل في انكلترا، بل كان يرتدي بنطلونا اسود، غاب طرفا ساقيه في حذاءين قصيرين، وقميصا حريريا ابيض مفتوحا عند الرقبة، وحزاما عريضا مرصعا بقطع فضية. لم يكن يشبه الرجل الذي كان يملي عليها الرسائل في المصنع، في انكلترا! أو ما برأسه، وقال:

"هل تستطيعين أن تحتلمي درسا آخر؟"

فهتفت لكم أتمنى؟"

وصعدت لترتدي ثياب الركوب، وكانت نسخة أنثوية من ثيابه، وأكثر اشراقا من ثياب الركوب العادية. وتوجت رأسها بقبعة واسعة الحواف. عندما واغت رويز، كان يقف عند رواق الصور، يتأمل اللوحات باستغراق. وكان ثمة منديل حريري أحمر قان عقد حول رقبتة، واحدى القبعات العريضة الحواف - المألوفة في تلك البلاد - مدلاة على ظهره من شريط جلدي حول عنقه.

ولم يبد انتمائه للاصل اللاتيني صارخا كما كان في تلك اللحظة، فوقفت عند مدخل الردهة الجانبية المفضية الى مخدعها، تتأمله - دون ان يفطن - وتعجب مما اذا كان يفكر في الخيط الطويل من آل الدوريت الذي كان ينتهي اليه. وقالت بصوت ظننته خافتا، وهي تتقدم دون ان يفطن الى ان صوتها كان مرتفعا:

"كل هؤلاء الرجال والنساء يضربون في سنين الزمن. وأنت آخرهم. هل نترك الماضي الآن، ونتلقى درسا في الركوب؟"

هبطا سويا، وخرجا الى الشرفة الممتدة حول البيت، وهبطا الدرجات التي في الجزء الخلفي، الى الساحة الخارجية، حيث كانت الحظائر مقامة، وحيث الفرسة الكستنائية التي اعتادت ليلي ركوبها منذ وصولها الى كاراسترانو - بصهيل خافت، فربتت عنقها الناعم برفق. وبينما كان السائس يسرح لها الفرسة، التفتت الى حيث كان رويز يتلقى لمسات منبهه من جواد اسود صار، أصيل وسمعته يقول:

"ليس اليوم يا خوان. ربما غدا."

وعندما انطلق الى جوارها هذه المرة، كان على جواد أشيب مثير للاعجاب.

كانت مليدا فرستها سلسلة القيادة. على أن ليلي كانت على أية حال - قد أصبحت تجيد الركوب. فقد اعتاد ابناء

ديرموت منذ الصغر التردد على المزرعة التي نشأت فيها كيري، وكانت فيها بعض جياذ صغيرة. فكان ركوبها مع رويز مجردا إعادة مران على التدريب.

★ ★ ★

راحت ليلى ترمق رويز خلصة. كانت الشمس قد اشتدت، فارتديا قبعتيهما، وبدا ان القبة عريضة الحواف، وقد مالت قليلا على رأس رويز فأبرزت فتنته السمراء. وأحست بأنفاسها تحتبس في حلقتها، وهي تتأمل أشعة الشمس تترامى على قسماط وجهه الحاد.

واذ ابتعدا مسافة عن كراسترانو، ترجلا، وأخذا يطلان على المبنى من قمة تل. فبدا ليعني ليلى أجمل مما كان حين رآته أول مرة وأن كانت عرفت ان جماله العالم يخفي بعض لمسات حديثه جدا، مثل ذلك المبنى الطويل المنخفض، الذي أقيم على هضبة منبسطة، ليكون مكانا لطائرة صغيرة، ومثل ذلك النطاق من الأشجار الى جنوب من كراسترانو، وقد توارت خلالها محطة توليد الكهرباء لامداد القصر والقريّة الصغيرة القريبة، كان القصر قديما جدا. ومع ذلك فقط ارتبط - بفضل العلم الحديث - بالحاضر المعاصر.

التفتت اليه مبتسمة، وقالت:

"انه يبدو أجمل مما رأيته أول مرة. الآن افهم انك كنت مستعدا لأن تفعل أي شيء لتستردده."

قال بهدوء:

"نعم، كنت مستعدا لأن أفعل أي شيء، ولو كان غير مستحب - كما كنت أرى الزواج المفروض اجبارا - ولكنني أجد أن زواجنا هذا أبعد من أن يكون غير مستحب!"

والتفت نظراتها بنظراته لحظة، وهي تحمل نفسها على أن تبدو وكأن كلامه أية مجاملة أخرى. ثم قالت بلهجة عفوية، وهي تتحاشى نظراته:

"شكرا لك ماذا تراك ستفعل عندما... تدعو الحاجة لإنهاء هذه الصفقة؟"

وظل برهة لا يجيب، فالتفت لتواجهه، متسائلة:

"هل ستعيش هنا وحيدا؟"

مد يده، فأدار ليلى لمواجهته تماما، وتفرس في عينيها، وقال بصوت أجش قليلا:

١٢٦

"هل ستعودين للقاء المحاضرات؟"

عضت ليلى شفتيها، ثم عادت الى تفادي نظراته - وهو الأسلوب الأسهل - وقالت:

"أحسبني كنت على وشك، ولكن لا ينبغي ذلك... فليس هذا من شأني."

فقال برصانة:

"بل قولتي... لعلني أجد محاضراتك طريفة... وربما تكون مفيدة. واردف باقتضاب: على أية حال يبدو أن جدي دون ديبغو كان يحظى بمشورة ملحاحة."

قالت:

"ليس الامر هكذا... أنني أرى انكما كلاكما عنيدان، وأنت لا تخالف ما كان يريد، الا أنه حاول أن يأمرك به أمرا!"

قال في عجب خشن:

"شكرا لك."

ورمقته اذ ذاك، فلم يبد عليه غضب أو ضيق. وسألته:

"هل قدر لك أن تراه، بعد أن غادرت كراسترانو؟"

فأوما برأسه، قائلا:

"مرة واحدة."

"منذ عهد قريب؟"

"قبل حوالي ستة أشهر."

هزت رأسها، وكان هذا كان يعزز شيئا دار بخلدها، وقالت:

"أحسبني الآن ادرك السبب في أنه أثبت ذلك الشرط في وصيته. لعله كان يعترزم ان يدعك تستحوذ على كراسترانو، على أية حال، ولكنه كان يحاول ان يضمن الا ينقطع خيط السلالة. ولن ادهش قط اذا ظهرت في وقت لاحق وصية تمنحك كراسترانو، دون ما قيد ولا شرط، اذا رفضت الرضوخ لشروط الوصية الأولى."

"ماذا كان يدعوه لكل هذا العناء، اذا كان ينوي ان أظفر بكراسترانو، على أي الأحوال؟"

"قلت لك، انه كان يحاول أن يكفل الا يؤول كراسترانو - بعد موته - لأغراب، ويحتمل أنه حين رآك منذ ستة أشهر، شعر بأنك لن تتزوج قط..."

وتوقفت لحظة، دون ارادة منها، ثم واصلت الحديث:

"أنني شخصيا كنت موقنة من أنك لن تتزوج أبدا. كنت تبدو أبعد مخلوق صادفته عن العواطف!"

ومرة أخرى، قال:

١٢٧

* شكرا لك *

فبادرت قائلة:

* لا تقطع استرسالتي . أنت طلبت أن أحاضرك .

وبدا كأن قوة غريبة تسوقها ولم يعد بوسعها التوقف .
فعدت تقول:

* كان يريد أن تمتلك كاراسترانو ولكن من المحتمل انه كان يخشى ان تكتفي بالمجيء ، والاستحواذ على القصر ، والاقامة وحيدا ، وبذلك . . . واختلج صوتها قليلا ، ولكنها واصلت الحديث:

* بذلك لن يكون ثمة وريث لكاراسترانو ، ويموت أسم الدوريت . في رأيي ان هذا السبب في أنه صاغ وصيته على ذلك النحو وليس لأنه كان يحاول ان يفرضه عليك أمرا *

* * *

ساد صمت طويل ، ثم تحول رويز داسا يديه في جيبه ، وهو يطل من فوق التل على كاراسترانو . وتساءل:

* أذن ، فمن رأيك انه كان ينبغي أن ارفض الشرط ، وانتظر الوصية اللاحقة - التي تفترضينها - حتى تظهر؟ *

* فانت الفرصة الآن ، وعلى أية حال ، فأنني قد أكون مخطئة ، ولا تكون هناك اية وصية أخرى . *

* ولكن من المحتمل انك لاتزالين تظنينني أغش ، اذ أتخذت هذا المخرج وأنه كان جديرا بي أن أدبر زواجا عاديا باختياري ، لتوفير وريث لكاراسترانو؟ *

كان صوته قد أصبح خاليا من أي تعبير عما في نفسه ، مما لم يتح لها فرصة لأن تحدد أكان مغضبا أم غير مكترث لما قالت . . . فقالت محاولة معرفة ما بنفسه:

* قد لا تلبث ان تقع في الحب بالطريقة الطبيعية * ولكنه هز رأسه في تأكيد حاسم ، وقال:

* لا أظن *

وكان ما يزال يتفادى النظر اليها ، فلم يكن بوسعها الحكم على ما يدور برأسه . ثم أستأنفت الحديث قائلا:

* أذن ، فالرأي النهائي أنني بالاستحواذ على كاراسترانو بهذه الطريقة ، أغش بالنسبة لبنود الوصية ، ان لم يكن بأجراء مكتوب ، فمن طريق نية غير مكتوبة . *

قالت مترددة ، مدركة ان كلامها كان شخصيا ، ولم يكن

له داعي : * تقريبا ! *

قال مواصلا لهجته القاسية:

* أذن ، ففي رأيك ان الحاجة الى زواجنا تنتهي ، اذا ما اكتملت الاجراءات القانونية ، وأصبح كاراسترانو ملكا لي دون ماشك . . عندها ينقسم الزواج ، وأشرع في زواج عادي باختياري ، لأنجب وريثا لكاراسترانو واكفر عن محاولتي للفش؟ *

قالت:

* نعم . . . وابتقت نظراتها مشدودة الى الارض ، وقد ادركت كيف تحول الحديث الى مجرى عجيب وغير عادي . *

وعاد يتكلم:

* ولكن ما الذي يجعل هذا ضروريا ؟ وبدا لها ان صوته تغير ، بشكل لم يعد من الميسور تحديده ، وتحول اليها أخيرا ، وشدت قبضته على كتفها بحزم ، وسألها بهدوء:

* هل تمنحيني وريثا لكاراسترانو برضائك؟ *

ورفعت رأسها وهي تشهق ، ثم اجفلت اذ التقت نظراتها بنظراته ، وبينت انها كانت تحبه ، وانها كانت كذلك منذ مدة !

١١ - ولادة حب

ساد الصمت لحظة طويلة، وليلي تحاول ان تتبين كيف حدث لها شيء كهذا. لا بد انه ظل يزحف عليها وقتا، وهي لا تفتن. والواقع انه أوضح أمورا كثيرة، اذ أصبحت تتبين ما كان وراءها، كيف برئت سريعا من ظننا بأنها تحب بروس... الرغبة القوية العجيبة في ألا ينتهي هذا الزواج، هذا وحده كان كفيلا بأن يجعلها تدرك ما كان يطرأ عليها. كان رويز قد عاد من زيارته الاولى لكاراسترانو متغيرا. وقد أذاب وطأة السنين الباردة، وأصبح بذلك شخصا مختلفا كل الاختلاف. أصبح رجلا يجتذب النساء على الفور، بمغناطيسية لا يمتلكها سوى القلة من الرجال. لذلك لم يكن ثمة عجب يذكر في أن شعورها نحو بروس مات بسرعة مية طبيعية!

ورق صوته اذ أساء فهم الدهشة والاجفال اللذين اعترياها، وظنهما قد نتجا عما قاله: أسف لأنني روعتكم الى هذا الحد. يبدو أن الفكرة لم تخطر ببالك قط. لم تخطر؟ ما الذي كان وراء انشغالها بشروط وصية دونديغو؟ أكانت رغبة صادقة في ألا يموت أسم عريق، وأنه ما كان ينبغي لرويز أن يتحایل ليسترد القصر الذي أحب، ولعله يلوم نفسه على ذلك، أو لعلها رغبة شخصية خفية كانت هناك، رغبة عميقة في أن يكون هذا الزواج اكثر من مجرد صفقة المصلحة التي بدأ بها؟ رغبة في أن تكون حقيقة له، بكل ما في هذه الصفة.

ولما واصلت الصمت انزلت يداها عن كتفيها، والتفت ذراعاه حولها، وقربها منه قائلا:

"أهو أمر صعب جدا؟"

وحاولت ليلي أن تتكلم فكانما كان ثمة شيء يسد حلقها، ولم تتمالك سوى أن تتطلع اليه صامتة، وقد اتسعت حدقتها، وارتجفت شفها قليلا.

قال وفي صوته العميق، الناعم، رنة اغراء:

"لا داعي لأن نبقي هنا طيلة الوقت، اذا كنت تودين مزيدا من المرح. من الممكن أن تكون هناك زيارات لمدن المكسيك، كما أن هناك فيلا على الساحل. أنني أعرف ان النقود لا تعني لك الكثير، ولكنني غني وفي وسعك أن..."

١٣٠

وقطعت عليه كلامه، قائلة وقد استعادت صوتها:
"أرجو ألا تتحدث عن المال في هذا الصدد،"

قابتسم قائلا:

"كنت ادرك انك ستقولين هذا."

ساد الصمت لحظة، ثم هز رأسه وقال:

"أجد كلمات مناسبة لاقتناعك. أردت أن أسألك أن تبقى هنا معي، بدلا من العودة الى انكلترا، فاذا بي لا أتكلم الا عن المال!"

"الكلمات تسعف فقط الاناس المنمقين عندما يريدون التعبير."

أفلتت الكلمات منها دون ارادة، ولكن بدا انها راقت له فشدتها اليه، واحنى رأسه، وأحست بدفع يديه وقال:

"ما أحسبني منفرا لك فبادرت قائلة، كلا."

قال: "انك فقدت الرجل الذي تحبين" وأحس بجسدها يتصلب فلم يفهم السبب على حقيقته، وواصل الحديث ولكن الحياة قد تكون حافلة في كاراسترانو، والزمن يقتل الالم."

وتحولت لتتطلع اليه، وسألته:

"هل كنت تحبها حبا جما؟"

فتحرك الرأس الاسمر نغيا وقال:

"كنت أظنني كذلك ولكن هذا مات من زمن طويل. المرء يظن أن الالم سيستمر للأبد، ولكن... ولكن... اذا به يتبدد ذات يوم، ويدرك المرء ان الحب خرافة شاعرية."

سألته ليلي بهدوء:

"الآن، ألم تعد تؤمن بالحب اطلاقا؟"

فهز رأسه ثانية، وقال:

"الحب المثالي الذي يؤمن به أهل الخيال؟ اليس يكفي أن يتبين الرجل والمرأة أن يوسعهما أن يعيشا في صداقة؟"

ودت لو تقول له ان منطقته خطأ، وأن الحب حقيقة، وأنه يأتي مرة واحدة. أما الذي يموت فهو الافتتان، ومات افتتانها ببروس بسهولة وسرعة، وعندما واجهه الحب الحقيقي، ولعل لمسة من التعب الذهبي بدت على وجهها، فأدارها نحوه ليتفرس في أساريرها، ثم اشتدت ذراعاه حولها، وبعد لحظة أبعدا عنه وهو ممسك بها، وأطل على وجهها المتضرج. وصمدت لحظة للابتسامة المحيرة التي ابرقت عيناه. وقالت:

"أكان هذا... لتغريني بلاقتناع؟"

وبدا للحظة أنه يفكر ثم هز رأسه قائلا:

١٣١

* كلا يا عزيزتي، أظنه كان لأثبات أن ألم فقدان الرجل الذي تحبين يمكن أن ينسى!

وبقيت متكئة على ذراعه، وهي تود لو تخبره بأن بروس لم يعد يعنيها في شيء ولكن كيف تصارحه بحبها له، وهو لم يذكر شيئا عن حبه لها ولكنها شعرت بالارتياح لرغبته ببقائها. ولم يؤلمها انه لم يحبها بعد، فالحب قد يأتي فيما بعد. ولو أنه لم يكن قد شعر نحوها بشيء ما، وأرادها ان تبقى معه لتنجب له أبناء، لكان هذا أمرا لا لايطاق، لقد انثنت محاولتها لأن تنبيهه الى واجبه نحو كاراسترانو، على نحو لم تتوقعه، ولكنها لم تأسف لذلك.

وسمعت نفسها تسأله في أستحياء: هل ذاك من أجل كاراسترانو فحسب؟

ولم تتمالك أن تشعر أنه سؤال سخيف. وتأملها لحظة، ثم هز رأسه، وكأنه تبين لتوه أمرا. وقال بتوءدة: بل لأنني أجرك قد أصبحت جزءا من حياتي، وأرى بوسعنا أن نسعد معا، وأن لم نستطع أن نتحاب.

* أياكون هذا عسيرا؟

وابتسم أذ حاولت تتكلم، فلم تستطع سوى أن تهمس باسمه، وقال:

* لا تحاولي أن تبتي الآن. سنعود الى كاراسترانو، وهناك فكري مليا، ثم لعلك تمنحيني الليلة الجواب الذي أود سماعه.

وهكذا عادا الى كاراسترانو، وفكرت كما قال، ولكنها كانت على استعداد لأن تعطيه الرد في الحال. كانت مفادرة كاراسترانو، وتركه لتحل أخرى مكانها، أشبه بتمزيق كل شيء حي في جسدها!

عندما جاء اليها في تلك الليلة، كانت النوافذ مفتوحة، والنسيم اللطيف المنحدر من التلال القريبة يحمل أريج ورود كاراسترانو، لو أنها اضطرت الى ان تبرح كاراسترانو، فأنها يقينا كانت ستظل دواما تذكر هذا، اكثر مما تذكر أي شيء آخر، عدا الرجل الذي تتركه هناك، أما الآن فكان مقدرًا لأريج الورد أن يلازمها على الدوام.

كانت تجلس الى المرأة ترتب شعرها الطويل، حين دخل الحجر وتوقفت بحركة غير أرادية، والفرشاة معلقة في الهواء، فأخذها من يدها وجلس الى جوارها، قائلا:

* دعيني افعل هذا عنك!

وجلست ليلي جامدة ويده السمراء تعمل الفرشاة في الشعر الحريري. وفجأة أفلت الفرشاة، ورفع الشعر الناعم الى وجهه، محنيا به خده الأسمر. وقال:

* شعر جميل يا عزيزتي... لا تقصيه أبدا.

قالت بصوت مرتجف، وهي لا تكاد تدري ما كانت تقول:

* لقد فكرت في ذلك أحيانا، فهو مبعث ازعاج.

قال:

* أنه جميل جدا، وصارخ بالانوثة، لا أحب الشعور القصيرة.

ابتسمت ليلي ولكنها قالت، ولا يزال صوتها مرتجفا:

* يقولون كلما طال الشعر قل العقل.

* بوسعي أن أشهد لهم بأنهم مخطئون.

كانت ليلي يوما سكرتيرة عظيمة الكفاءة.

وأردف بصوت مبحوح:

* ولكني أفضل زوجتي الجميلة جدا.

وشعرت ليلي بأنها ترتجف قليلا، وقالت:

* ما خطر لي وأنا أعمل لديك - أن من الممكن أن يكون الأمر

كذلك.

فقال بلطف:

* أظن أن كلا منا كان يخفي عن الآخر شعوره ولا بد* ثم ضحك

فجأة، وقال برثاء مشتغرب:

* أن هؤلاء الشيوخ المسنين ماكرون. وأني لا تساءل! أكان

جدي يعرف ان هذا سيحدث؟ فرمقته وقالت:

لعله كان يعرف، ثم أشاحت مستحيية أمام نظراته الدافئة،

وقالت:

* ترى هل تمنع في أن يحدث؟

فهز رأسه، وعاد يبتسم قائلا:

* من حماقة ان يتمنى رجل أن يأتي الى هنا وحيدا، ويعيش

بقية عمره وحيدا. وأني لمسرور لأنني لم أرتكب خطأ السماح

لك بالعودة الى انكلترا.

وأطبقت يدها على كتفها، وتفردت عينان السوداوان في

وجهها، وهو يردف:

* وأنت... يا ليلي الأدوريت؟ هل تمنعين في أن يحدث هذا؟

قالت بصوت خافت:

* كلا، لا أمانع البتة. بدا أن ردها كاف فتركت يدها كتفها،

وشدها الى احضانه. كان هذا كافيا كبداية، لعل الحب يأتي

في وقت لاحق، اذا كان القدر رحيفا.

كانت ليلى تمشط شعرها حين مست يده كتفيها، دون ان تلتفت، وقالت:

"اذا كانت هذه لعبة التخمين، فلست احتاج لغير حدس واحد، والتفتت اذ ذاك وقد تحولت ابتسامتها الى شيء من المداعبة، واردفت:

"ليس هناك سوى رجل واحد قادر على أن يؤثر على كياني. فابتسم رويز قائلاً:
"وأنا سعيد بذلك".

أكان هذا هو الجبل الجليدي الذي عملت معه في انكلترا. كانت أحياناً تشعر بأن أقزاماً سحرية غيرته - في غفلة منها - ليكون اختباراً لها وتحدياً!

وفجأة، قال جادا: ألسنت تفتقدين بروس كثيراً الآن؟
فبادرت قائلة:

"أنني لا أفقده بتاتا. ورفع ذقنها بأصابعه النحيلية القوية وقال:

"هذا جيد... أنني قلت ان الألم والفقدان لا يلبثان ان يخرمدا، ولا أظننني أتركه يستعيدك الآن".

فابتسمت قائلة: أنه الآن خطيب لستيلا، وهما سعيدان.
"بقدر ما نحن سعيدان؟"

"هذا ما لا يتسنى لهما".

ضحك بلطف، وتناول الفرشاة يمشط شعرها، كما فعل ليلة تغير زواجهما من مجرد صفقة عمل الى شيء رائع وواقعي.

* * *

بعد أسابيع ثلاثة من ذلك، وصلت رسالة من ستيلا، فعلمت ليلى أن اختها ستطير لانتاج فيلم في المكسيك، وتلقت النبأ بمشاعر مختلطة... من اللطيف طبعاً أن ترى اختها، وهي التي كانت مشغوفة بستيلا عمراً طويلاً، فمن العسير أن تعتقد الآن شخصاً أهلاً لأن تعامله بحذر، وأن تخشى غدره... كانت مستعدة لأن تعتقد أن ستيلا قد شعرت بندم لما فعلته بها، غير أن هذا لا يعني امكان محو الأذى ونسيانه، وكأنه

مجرد غبار على نافذة قدرة.

ولأية امرأة في وضع ليلى مع زوج أيقنت الآن أنها مدلهة به، كانت فكرة وصول ستيلا المتألقه، لتبسط تأثيرها الانثوي على رجل تحرر من تحفظه فأصبح اكثر تعرضاً للتأثر مما كان قبل بضعة أشهر... كانت الفكرة مروعة. ولكن ليلى شعرت في الوقت ذاته بخفقات من اللهفة لأن ستيلا كانت تمثل الاسرة وقد ودت ليلى أن تعرف جميع اعضاء الاسرة مدى سعادتها.

قالت لزوجها بهدوء:

"سيكون من الجميل أن نرى ستيلا ثانية... وهي تقول انها ستمثل فيلماً أمام رامون تالمونت، أليس هو الذي قابلناه في المطعم عندما أتينا للمكسيك؟"

فأوما رويز برأسه، وعيناه تتأملان زوجته بفضول، وقال:

"نعم... الظاهر أنه واسع الشعبية".

وأمسك لحظة ثم قال:

"ليس ثمة ما يمنع من فتح دارنا في مكسيكو ستي، وسأخذ الاجراءات لأرسال بعض الخدم اليها، وتستطيع اختك أن تمكث معنا هنا".

كان ثمة ساكن يستأجر الدار، حين وصولهما أول مرة ولكنه ما لبث أن تركها.

حاولت ليلى أن تبدي ابتهاجاً بالفكرة، وسألته:

"ألن تمانع؟ أعني ألن يكون في هذا ازعاج؟"

ولما نفى ذلك، عادت تقول وفي نفسها أمل واهن في أن يقر قولها:

"ليس هناك ما يمنع من نزولها في فندق، فهي لن تكون وحيدة ولا بد أن معها اعضاء آخرين من الشركة".

بدت الرقة في عينيه بالاضافة الى نظرات متحدية مختبرة وقال:

"لا تزعمي انه ليس عندك الكثير لتحدثني حوله مع اختك عند وصولها. ستكون مثلهفة لمعرفة كل صغيرة وكبيرة عنك، وما لم تهينني لها كل الغرض، كيف سيبلغ أهلك النبأ السار عن أن زواجك موفق، وأنتك سعيدة هنا؟"

تضرج وجه ليلى غبطة، وركعت الى جوار مقعده، وشعرت بأصابعه تداعب شعرها، وجذبها نحوه وطبع قبلة خفيفة على جبينها، وقال بصوت خافت: أنك سعيدة ألسنت كذلك يا عزيزتي؟"

فقالت وأنفاسها تحتبس في حلقها من نشوة السعادة:

وبعد بضعة أيام ذهبا بالطائرة الى مدينة مكسيكو، واستقرا في دار آل الدوريت، وكانت مبنى رائعا، يشبه كاراسترانو، حتى في الفناء الداخلي والتنافورة المفردة. كان ثمة شعور بالاستمرار والاسترسال في تلك الدار، وكان أجيال أسرة آل الدوريت قد تركت طابعها في المكان وتاقت الى ان تبهر الاجيال اللاحقة من خلفها بما فعلت، وكانت الحياة هناك أكثر اتساما بالشكليات مما هي في كاراسترانو، فجو الحفلات، والمآدب الطويلة الأمد، وأصداء حفيف الثياب الحريرية والأوشحة المطرزة، كان مخيما على الدار كانت قاعة الطعام حيث علقت فوق المدفأة لوحة لدون ديبغو من الفخامة بحيث بهرت ليلي.

اخترارات ليلي لستيلا حجرة في الطابق الاول، وهي موقنة من أنها ستعجب بها، كانت اغطية الفراش ثرية بالنقوش المطرزة، والاثاث من خشب البلوط الأسباني القاتم، وهناك خزانة فسيحة للثياب، وكثير من المرايا كما كان الحمام الملحق بها فخما، كانت ليلي تدرك ان ستيلا ستعجب بهذا الوسط لأنه الجو الذي من حقها الإقامة فيه، فلن تساورها أية فكرة للانتقال الى فندق، واعفاء زوج اختها من عبء الاحتفال بها، بالرغم من رغبة ليلي بالترحيب بأختها، وتكريم وفادتها وتشعرها بأنها في بيتها، ولكنها في الوقت ذاته - كانت تتمنى ان تطمئن تماما الى أن ستيلا ستجازيها عن اكرامها بسلوك يعفيها من لحظات القلق وعدم الارتياح. كانت موقنة من أنها لن تنسى قط ما حدث بالنسبة لبروس، وكان رويز أهم واثمن لا سيما في سعادتها الراهنة من أن تعرضه للخطر. ومع ذلك، حرصت على أن تخفي عن رويز أية وساوس تنتابها بالنسبة لأختها. وشعرت أنه في بعض الاوقات كان يرمقها بنظرات محيرة، لاسيما حين كانت تؤكد له مدى تطلعاتها الى وصول ستيلا، فكانت تسائل نفسها:

"اتراه كان يحدث عدم ارتياحها الخفي؟ ولكنه لم يقل شيئا".

وكانت تتمنى أحيانا لو أنه سألها، فقد تجسر على أن تصارحه مقدما بمخاوفها!

* * *

وأطلقا بالسيارة الى المطار لاستقبال ستيلا في يوم مشرق، وجاهدت ليلي خلال الطريق لتظهر بمظهر

مرح، فأخذت تثرثر ولكنها كانت اذا نظرت لوجه رويز الأسمر الفاتن تشعر فجأة بلوعة الهواجس والتوجس وتساؤل نفسها كيف لم تبتكر على الفور حجة للحيلولة دون اقامة ستيلا معها، غير أنه كان من المستحيل الاهتداء الى حجة تقنع ستيلا و رويز بأن من الافضل للممثلة أن تنزل مع أعضاء الشركة السينمائية في أحد الفنادق الراقية في مكسيكو سيتي.

كان لا بد من المضي فيما كان مقدرًا، ولم تكن تملك سوى الأمل... الأمل في أن تسير الامور على خير.

ارتمت ستيلا بين ذراعي اختها حين التقيا في أرض المطار كانت كالعهد بها في أقصى اناقة، وقد بدت فاتنة الى درجة مذهلة، غاص لها قلب ليلي وقالت ستيلا وقد هدأت انفعالات اللقاء:

"انك تبدين رائعة يا عزيزتي!"

كان في عينيها ومضة التهكم القديمة، الى جانب اشراقة الحب، وهي تواصل الحديث:

"انك مثال المرأة المتزوجة! رشيقة جميلة المنظر، حتى كدت لا أعرفك في البداية".

سألها رويز:

"اترينها تبدو في حال طيبة؟"

"في أطيب حال. ما كنت يوما أحسن مما هي. لا بد انك زوج بالغ الارضاء!"

ورمقته بعينيها الجميلتين، وتساءلت:

"هل لي أن اقبلك يا رويزاننا على أية حال وثيقا القرابة الآن".

وبدون انتظار لموافقته، ألصقت شفيتها في لين ونعومة أواراق الورد، بخده الاسمر وغمرته بموجة من عطرها الذي كان أشد واكثر من أي عطر سمحت ليلي لنفسها باستعماله.

تراجعت ستيلا وتأملته وهي تقول:

"أظنني سأرتاح اليك كزوج لأختي!"

لم يرد رويز المجاملة، ولكنه بعد نقل حقائبها الى سيارته رأى أن من اللائق، كأمر طبيعي، أن تشغل المقعد الأمامي المجاور له، وأن تجلس زوجته في المقعد الخلفي بالرغم من شعوره بعدم رضا ليلي عن هذا الترتيب وانطلقت بهم السيارة وشمس المكسيك تغدق عليها اشعتها، وأظافر ليلي تغوص في لحم يديها، وهي مضطرة لأن تقاوم مشاعرها، موقنة بأنها تتصرف بصورة تثير السخرية ازاء وصول

مثيرا ٠٠٠ مثيرا حقا! وقالت وهي تضيف لمسات لزينتها:
* وهذا بيت مدهش حقا، فقالت ليلي معلقة:

* انتظري حتى تري كاراسترانو*.

فابتسمت قائلة:

* أنني مصممة على رؤيته، قد أمكث معكما طويلا، وستكون
مهمة شاقّة أن تتخلصا مني*.

أخفت ليلي جزعها بجهد، وكان رويز في انتظارهما بقاعة
الجلوس الرئيسية، ومرة أخرى، أبدى رعاية للضيافة، فقدم
لها شرابا قبل العشاء، واختار لها مقعدا مريحا، وأطرى ثوبها
بلهجة الخبير، وأجلسها الى يمينه في قاعة الطعام الفخمة
الاثاث.

* * *

وقالت له ستيلا:

* لا تنادني أنسة نورديت، فهذا اسمي الفني، وليس لأفراد
أسرتي أن يستعملوه، أن أسمى ستيلا إذا لم تكن تعرف*.

وارسلت ضحكة مرحة فردد اسمها باحترام وأحنى رأسه
عرفانا إذ سمحت له بمناداتها باسمها، وراح يردده، وكأنه
معجب بوقوعه، قائلا:

* ستيلا؟ أظن أن معناه النجمة*.

وأستقرت عيناه السوداوان عليها، وبدا مأخوذا بتألقها،
وقال لنفسه بخفوت:

* نجمة داكنة* واستغرق في التفكير ٠٠٠ ودهش إذا اضطربت
ستيلا، بل ارتجفت قليلا. وقالت:

* لا أظنني أود أن أكون نجمة داكنة فهذا يبدو نذيرا بنحس
ما ٠٠ أثر أن أكون نجمة تزداد باستمرار ارتفاعا وبريقا. ان
النجمة لا تعتم الا عند اقتراب الفجر، وأنا افضل أوج
التألق ٠٠٠٠

فالتلق ٠٠٠٠

فالتلق ٠٠٠٠

فالتلق ٠٠٠٠

* لا تجزعي، فأوج تألقك سيدوم طويلا ٠٠٠ انك الآن في الاوج
من ناحية فنك*.

فالتلق ٠٠٠٠

فالتلق ٠٠٠٠

والتلق ٠٠٠٠ نظراتها بنظرات رويز ثانية، فقالت وكان الحديث
ينبعث من فؤادها:

* أحسبني أفضل زواجا موفقا، على الاستمرار كممثلة ناجحة.
لقد بدأت أسأم التمثيل ومطالبه، اما الزواج - كما

أختها، حيث كانت في الواقع تعتقد بأن ستيلا لن تتورع عن
فعل أي شيء لهدم زواجها. وحاولت السيطرة على مخاوفها
فمهما يكن، فان رويز كان طرازا مختلفا كل الاختلاف عن
بروس، واقنعها هذا الخاطر أخيرا بأن تكون طبيعية في
تصرفها، وأن تنظر الى ستيلا كما كانت تفعل في الأيام
الخالية قبل أن تصادف أي مبرر للشك في أختها!

أمر واحد هز تجلدها: بينما كانت ستيلا تفرغ حقائبها في
حجرتها، بعد وصولهما الى الدار، وسألها ليلي:

* هل اعلنت وبروس خطبتيكما؟

فالتفتت ستيلا واعترفت بأنه ما من خطبة بينهما، وغام
وجها وكأنها تناضل لتخفي ظهور الشقاء على محياها، ثم
اردفت الواضح ان بروس لم يكن يحبني حقا. كانت النجمة

السينمائية اللامعة هي التي اجتذبتك! هكذا قال لي.
هتفت ليلي بدافع غير ارادي:

* أنني أسفة يا عزيزتي الست أدري ماذا أقول؟

وكانت أسفة حقا. فهزت ستيلا كتفها قائلة:

* لا عليك يا عزيزتي! ليس هناك ما تملكين في هذه الظروف
سوى ٠٠٠ أنني قد استحق ما حدث!

وأكفهر بريق عينيها لحظة، وزمت فمها ٠٠٠ وأرتجف الفم
الجميل فجأة، سواء كان ذلك عفوا، أو عن عمد، أو مجرد
نتيجة لعاطفة مكبوتة ٠٠٠ وأشاحت بوجهها لتخفي ضيقها،

وقالت في رجاء، بصوت مختنق:

* أفضل الا نتحدث في هذا الآن*.

قالت ليلي على الفور، في عطف:

* طبعاً ٠٠٠٠

طبعاً ٠٠٠٠

طبعاً ٠٠٠٠

* أنني أفهم شعورك فهما تاما. علينا أن نحيطك بأمور بهيجة
وأنت هنا، حتى لا تفكري في بروس، ولا تدعي التفكير

المهموم يشقك. فالهم لن يجديك شيئا، ومكسيكو ستي
رائعة في الواقع، وواقن بأنك ستحبينها. أن لرويذ اصداق
كثيرين، وسنقدمك اليهم ٠٠٠ لن تجدي وقتا للشقاء*.

التفتت اليها ستيلا شاكرة، ولكن اهدابها الطويلة كانت
تخفي عينيها، بحيث كان من المستحيل الجزم بحقيقة فكرها
وشعورها. وقالت:

* ألا يحسن بنا الهبوط والانضمام الى زوجك؟

* كان من حسن التوفيق ان تزوجته. انه يبدو لي

يوحى منظركما - فأمره مرض للغاية .
ومرة أخرى أحنى رويز رأسه قائلاً:
"انك على صواب ."

وأبتسم موليا وجهه الى ليلي، فخفق قلبها، وأسرعت تقول
لستيلا متلهفة على أن تواسيها لفقدانها بروس:
"أنا نريد أن تحظي بفترة هانئة هنا، وقد اعددنا العدة لحفل
عشاء صغير ترحيبا بك، وأظن أن جليسك في العشاء لن يفكر
فيما اذا كنت ممثلة او غير ممثلة كنت ستقابليه في أية
حال، وقد رأينا التعجيل بذلك ."
وتساءلت ستيلا برجاء طفولي جذاب عن يكون، فأبتسمت
ليلي قائلة:
"رامون تالمونت، زميلك في بطولة الفيلم، واكبر ذئب في
مكسيكو ستي ."

وحيدت ستيلا هذا وقالت:
"لعله ليس سيئا كما يصورونه . . . ومن اللطيف مداعبة ذئب
الذئب !"

وتشعب الحديث، وليلي تعجب بتمثيل أختها، لو أنها كانت
تحب بروس لشعرت بتعاسة بالغة، وكان مجهودها عظيما
لاخفاء عواطفها .

بعد ليلتين توافد الضيوف لحفلة العشاء . واختارت ليلي
ثيابها بعناية لهذه المناسبة، فكان الثوب من المخمل الياقوت
الازرق الداكن، وقد زركش ببراعة بحبات من اللؤلؤ . . . كان
غاية في الرشاقة، حتى انه لم تكن بها حاجة لمزيد من
الزينة . وفيما كانت تقف امام المرأة، تتأمل قلادة من
الياقوت والماس أهداها رويز أياها، وتختار سوارا يتمشى
معها، اقبل رويز ووضع على المائدة علبة غير سميكة من
الجلد . ثم رفع غطاء العلبة، فاذا فيه قلادة من اللؤلؤ الوضاء،
فهتفت:

"ما أروعها !"
قال:

"ستكون حول عنقك أروع !"

وأحاطت اصابعه النحيلة عنقها بالقلادة، وقدم اليها قرطا
من لؤلؤ على شكل الاجاص . وظلت لحظة تحملق في المرأة لا
تصدق ان الصورة المنعكسة كانت صورتها . ثم تحولت بدافع
غريزي، فقربت رأسه وقبلته، قائلة:

"لست ادري كيف أشكرك على كل ما منحنتني !"

فقال بهدوء:

"ان ما منحنتني انت أكثر . كنت قد نسيت كيف يكون المرء
حيا، حين ينزوي في قوقعة . . . وظل لحظة يحتضنها، ثم
نحاهما برفق وقال:

"أذهبى وتبينى هل أستعدت أختك . . . تذكرى أن الأمسية
مهمة لها، ويجب أن توليها اكبر قدر ممكن من الانتباه !"
وقبل أن تبلغ الباب، دعاها، ورأت وجهه الاسمر يستدير
نحوها، وعينيه ترقبانها في استغراب، وسألها:

"أحسب أن هذا اللقاء بأختك لا يسبب لك ألما يا عزيزتي؟"
أبتسمت وهزت رأسها قائلة:

"أتعني . . . بسبب بروس؟ أنه لا يسبب لي أتفه ألم، لقد
تغلبت على ذلك منذ زمن ."
قال:

"هذا بديع . وهل يسرك وجود أختك هنا؟"

فترددت لحظة، ثم طمأنته بقدر من الصدق:

"أجل . من الجميل ان أراها ثانية ."

فبدا عليه الرضا، وقال:

"يجب ان ندعو صديقتك كيري يوما، ونبحث عن شخص مثل
رامون تالمونت ليتزوجها !"

هتفت ليلي باغتباط:

"يا لرامون المسكين ! ستضعه ستيلا الليلة، وارى ان تعفيه
من كيري في الوقت الحاضر، ولكني اوافق على أنه سيكون
من الرائع أن تأتي كيري وتنزل عندنا وسنبحث لها عن
يتزوجها ."

قال بصوت أجش:

"عليك أن تزوجي ستيلا أولا !"

أسرعت ستيلا باطراء فخامة ثوب ليلي، حين وافتها في
حجرتها، وتعلقت عيناها بالقلادة اللؤلؤية وأخذت تمسها
برفق، وقالت:

"لست بحاجة لأن أسألك أهو لؤلؤ حقيقي ."

فاكدت ليلي ذلك . وهتفت ستيلا:

"يا لك من فتاة محظوظة !"

ثم تحولت تتأمل صورتها في المرأة، وعلى وجهها تعبير
غير عادي، وغضت بصرها تتفرس في اظافرها، وقالت:

"لقد هنأتك يا عزيزتي بزواجك الناجح، ولكني اعني

بالنجاح انه تحول على نحو مدهش . أنك ورويز عقدتما صفقة عمل، اليس كذلك؟ وقد ر لها التوفيق .
قالت ليلي متلعثمة:

ص ٠٠ صفقة؟

وأستدارت ستيللا الجميلة ومست خد أختها بحنان، قائلة:
"أجل، هذا ما حدثت ٠٠ ولو أنك مثلت دورا لراحة بال امنا، أما الآن وقد تزوجته فعلا، فيجب أن تكوني بارعة إذا شئت الاحتفاظ برويز! أنه يعجب بالجمال، لاسيما الجمال الانكليزي الهادي ٠٠٠ لقد أرتبكت لطريقة حملته في هذا المساء ٠٠٠"
كان من العسير على ليلي أن تصدق ما سمعت . فقالت:
"هذا لأنك أختي و ٠٠٠ وهو يعجب بك طبعاً، كأى امرئ!"
وأبرقت عينا ستيللا بنوع من الهزاء، وقالت متلطفة:
"طيب، ولكن انصتي لنصيحتي وابعديه عن كل الحسنات اللاتينيات هنا!"

ثم هبطتا لأستقبال الضيوف، وقد شعرت ليلي بأن شطرا كبيرا من متعة الأمسية قد تبدد . وقدمت ستيللا بطريقة آلية الى رامون تاليمونت وبقية الضيوف . وحاولت ليلي جاهدة أن تبدو وطبيعية عندما لمحت روييز يحملق بأختها . لقد أدركت بأن ستيللا شعرت بالغيرة إذ رأت القلادة اللؤلؤية الثمينة، مما جعلها مأكرة، ولكن هناك احتمالا بأن الامر لم يكن مكرراً، وأن ما قالته كان انذاراً ٠٠ فلو أنها كانت قد قابلت روييز وعرفته قبل أن تلتقي ببروس، لكان روييز وليس بروس هو الذي انتزعه . ولا بد أنها الآن تأسف لأنها لم تلتق برويز أولاً .
صعب على ليلي ان تصدق أن أختها خطر يهدد سعادة مستقبلها، ولكن التجربة الماضية علمتها أن تجزع، وأدركت أنها لا تستطيع أن تثق بستيللا، وبالرغم من أنها كانت تثق برويز، فإن الموقف جعلها مكتئبة . ليت روييز لم يقترح نزولها عندهما، وداخلها الامل في أن يتغير الموقف اذا ما بدأت أختها العمل في الفيلم .

* * *

وبدا الاهتمام على ستيللا برامون تاليمونت، فعادت الحياة تمضي هادئة لبضعة أسابيع . كان ستيللا تود رؤية كل شيء في مكسيكو ستي، وتتذوق مباحثها، وكان رامون لحسن الحظ تواقاً الى تمكينها من ذلك، فأصبحت تقضي وقتها في صحبته وفي الاستديو . كانت ليلي تعيش على حافة بركان، فما عادت تشعر بالسعادة الا في غياب أختها عن

البيت، ولكنها كانت تشعر بالاثم لأن شكوكها في ستيللا كانت تتضمن روييز، رغم ان روييز كان زوجها رائعا .

كانت الحياة تمضي على هذا النحو العصيب، حين اعلنت اليها ماريا مديرة البيت ذات يوم، وهي في قاعة الجلوس الرئيسية ان سيذا انكليزيا يرغب في مقابلتها ٠٠٠ وعجبت ليلي، وسألته عن اسمه، فقالت السيد بروس، ولم تترث ليلي بل أسرعت الى البهو، حيث كان بروس يقف في شيء من الحرج، كان المكان قد بهره، وكأنه لم يكن يتوقع ان يقابل بترحاب، ولكنه نسي حرجه، حين وقعت عيناه على ليلي الجديدة، الانيقة الملبس، سيدة هذا القصر المنيف ٠٠٠ وعيناه تومضان، وحاول دون تردد ان يتلقاها بين ذراعيه ٠٠٠ فصعقت ليلي وتفادته، وتساءلت في فتور:
"ماذا تفعل هنا يا بروس ٠٠"

"لا يبدو عليك أنك سررت برؤيتي!"

قالت وهي تسترد سكينتها:

"يجب أن يكون هذا مفهوماً، في هذه الظروف ٠٠٠ اجئت لترى ستيللا؟"

قال:

"أذن فقد وصلت ٠٠"

فقالت:

"نعم، منذ اسبوعين تقريبا ٠٠"

وتوقفت منتظرة تعليقه، ولكنه لم يقل شيئاً، فعادت تسأله:

"اجئت لترأها؟"

ثم فطنت الى أنه ما كان ليتصرف كما اراد ان يتصرف، لو كانت رؤية ستيللا هي غايته الوحيدة!

وأطلق ضحكة قصيرة، وقال:

"أختك الساحرة؟ أنتهى ما كان بيني وبينها . كنت احمق، ولكني افقت في وقت مناسب ٠٠"

فقالت:

"كنت احمق؟ أما خطر لك أنك شيء آخر كذلك ٠٠٠ لقد خذلتني، ثم خذلت ستيللا ٠٠"

فقاطعها قائلاً:

"أهذا ما قالته لك؟"

"ألم تتخل عنها؟"

"لا بد أنها روت لك قصة مؤثرة ٠٠٠ أود سماع ما قالته

اختك الناصعة البيضاء عني. ولو سمح الوقت فسأروي لك الكثير عنها.

قالت محنقة:

* لا أقبل أن تتحدث عن أختي هكذا!

قال:
* ليكن... غير أن عليك أن تخبريني بما قالته عني، فإني أود معرفة موقفك.

صاقت ليلي بالموقف، وقالت بجفاء:

* ما من داع لأن تكذب ستيلا، ولا بد أن ما قالته هو الصدق... أنت فتننت بالنجمة السينمائية، ثم افقت من غوايتك... ففز رأسه، وأمسك بذراعيها بقوة، وقال وهي تحاول التخلص:

* متى ستواجهين الحقيقة عن أختك؟ متى ستواجهين أنها لا تشبه أحداً من أسرتكما؟ أنها أكثر الشابات اللاتي قابلت أيتها لنفسها، وهي على استعداد لتحطيم حياة أي امرئ دون أن تكثر. أنني أعرف حقيقتها... كانت تتسلى بي فحسب، وما كانت جادة أبداً في الزواج مني... لو لم تصلي حين وصلت، وتفاجئتنا في موقف باد مريباً... ضحكت ليلي وقالت:

* لقد كان موقفاً مريباً، وأنت تدرك ذلك... وبرغم أنك أرك الآن، فانت كنت مفتتنا بها.

قال لها: أؤكد لك أنني لم أعد أحبها.

فهزت كتفيها، وهي في دمهشة من صلابتها، إذ كانت لا تشعر برثاء يذكر له أو لستيلا. وقالت وفي عينيها أشمزاز:
* إذن، فكل ما أقوله هو أنك بارع في الوقوع في الحب والخروج منه، وأنني لأستهجن بشدة مجيئك وأتاهمك أختي بالتنكر لك.

أطلق ضحكة قصيرة، وقال:

* أنها لا تلام أبداً على أي شيء... هي دائماً الصغيرة، البريئة، الناصعة، لكنك ستبئين يوماً ما حقيقتها، وأمل ألا تكون الصدمة قاسية.

وأفلحت ليلي في التخلص من بروس، وابتعدت وقالت:

* إذا استمررت بكلامك هذا، فسأضطر لأن أدعوك للانصراف، وعلى أية حال، فلماذا جئت إلى هنا؟ أنه موقف محرج كما تعلم.

وفوجئت برده: لقد جئت لاصطحبك إلى الوطن...

وساد الصمت لحظة، ويلي تحاول أن تستوعب ما سمعت، ثم قالت أخيراً:

* أنسيت أنني متزوجة من روبيز؟

فتقدم نحوها، ولكنها أسرعت بالابتعاد وقال:

* أنه زواج عمل فحسب... هذا ما قلته أنت. يجب أن تعودتي معي. فكل منا للآخر، وما كانت ستيلا سوى نزوة جنونية... قالت:

* أو تريد الآن أن تصل ما انقطع من خطبتنا؟

خدعه هدوء صوتها، فقال:

* بوسعك الحصول على الطلاق.

فقالت بنفس الهدوء:

* افترضني أنني لا أريد.

وهم بأن يتكلم، فاحتبس صوته... وأستأنفت ليلي حديثها:

* لا أريد العودة إلى ما كانت عليه الأمور، حتى لو لم تكن قد تخلت عن ستيلا، ولا أريد أن أترك روبيز فأنتي الآن أحبه. وأذا كان زواجنا قد بدأ كاتفاق عمل، فإنه الآن حقيقي... فضاقت عيناه، واحتقن وجهه غضباً وقال:

* إذن، فقد كانت ستيلا على صواب. قالت أنك ما كنت لتقبلي التخلي عن صفقة كهذه.

فصاحت ببرود قاس:

* لا تقل هذا ثانية!

فاعتر متمتما:

* أسف.

وأذ ذاك أردفت تسأله:

* وما شأن ستيلا بهذا؟ أخبرتها بأنه مجرد مشروع تجاري؟ وراحت ليلي تحدث نفسها:

* أتراها أساءت الحكم عليه؟ لعل ستيلا اكتشفت أنه زواج عمل فحسب، فرفضت لهذا الزواج من بروس، اعتقاداً منها بأن أختها باقية على حبه، فشاعت أن تتركه طليقاً لها إذا ما أنتهى الزواج. أذا صح هذا، فلماذا ألقت ستيلا اللوم على بروس، وقالت أنه لم يحبها، وبهرته أضواء النجمة؟ كلا ما كان بوسع ستيلا أن تعرف شيئاً عن أن زواج أختها بدأ كاتفاق عمل، والا لذكرت هذا لها!

وقال بروس معتذراً:

* ما تعمدت أن أخبرها... كانت زلة لسان... ولكن كان

* * *

فجأة ظهرت ستيليا مقبلة من الحديقة، وقالت:

هل علمت يا ليلي العزيزة ٠٠٠

*وتوقفت ورفعت احدى يديها الى فمها، اذ رأت بروس ٠٠٠
كان اجفاله حقيقيا في بعضه، وتظاهرا في بعضه، وقالت:
*أأنت هنا؟**فأسرعت اليها ليلي، وأحاطت كتفيتها بأحدى ذراعيها
لتسرى عنها، قائلة:

انه يتأهب للانصراف يا عزيزتي.

قال بروس في قحة:

كلا ٠٠٠ لا بد من ايضاح أمر أو اثنين قبل انصرافي.

وحملق في ستيليا، وسألها:

اية قصة كاذبة كنت تروينها لشقيقتك ليلي؟

فرمقت ستيليا أختها بنظرة مبهمة، وقالت:

لست أفهم ٠٠ عما يتحدث؟

فصاح بسخرية:

*حقا؟ كأنك لم تتعمدي فسخ خطبتنا لمجرد هواك، وما كنت
تعتمزين يوما الزواج مني! وكأنك لم تسخري مني، ولم
تشرعي في أعماظتي بصدد رويز الدوريت حين قلت لك أن ليلي
تزوجته كاتفاق عمل، وذلك لكي لا تلومي نفسك من جراء فسخ
خطبتنا!*

التفتت ستيليا الى ليلي، وقالت في أستعفاف يثير الاشفاق:

عما يتكلم بحق السماء؟

فقال وقد ارتفع صوته:

*انك تعرفين عما أتكلم ٠٠٠ أنك جئت هنا معتزمة فصم زواج
ليلي، لأنك قررت يوم زواجهما انك تؤثرين ان تستحوذي على
أموال رويز الدوريت!*وسحبت ليلي ذراعها فورا من حول أختها، وذهبت نحو
الجرس، ولكنه اعترضها قائلا:

كلا ٠٠٠ بل ستصفين لما سأقول.

قالت وبعد أن دقت الجرس بشدة:

أظنك قلت ما يكفي ٠٠٠

قالت لتشيئا بالاسبانية اذ أقبلت:

*السيد بروس جرمين يتأهب للانصراف، أسمحين بمرافقتي
لللباب؟*

خفض بروس صوته، وقال بالانكليزية التي لا تفهمها مدبرة

البيت:

حسن، سأنصرف، ولكنك قد تجدين ما يدعوك لرؤيتي ثانية.

أنني أنزل في فندق منديتو.

فقالت ليلي في فتور:

لا أظنني سأحتاج الى ازعاجك.

فأطلق ضحكة قصيرة مكتئبة، ورمق ستيليا بنظرات عابرة،

ثم قال لأختها:

قد تقررين أن تعودي الى انكلترا معي ٠٠٠

ورافق تشيئا مغادرا الغرفة.*

* * *

ساد الصمت برهة وجيزة، ثم قالت ستيليا:

لا أظنك صدقته؟

فأسرعت تطمئننها، قائلة:

كلا، طبعا، لم أكن اظن أنك تعلمين.

قالت ستيليا:

ولكن ماذا يقصد؟ فأنت تبدين سعيدة جدا.

فقالت ليلي بهدوء:

وأنا فعلا سعيدة.

ولكن هل كان الزواج اتفاق عمل؟

*أجل، كان رويز مضطرا للزواج ليرث كاراسترانو ٠٠٠ وكنت

أظن أنني بذلك أسهل الامور لك ولبروس.*

وظهرت ستيليا بمظهر الخجول، وقالت مبهوتة:

ولكن، ما كان ينبغي ان تفعل شيئا كهذا.

فأبتسمت ليلي قائلة:

*الذي حدث ان كل شيء سار الى أفضل ما يمكن ٠٠٠ لم أكن

في البداية أحب رويز، ولو كان في الاتفاق ما يشترط انجاب

وريث لكاراسترانو عندها ٠٠٠ لما وافقت لحظة.*

*أذن فقد كانت عملية مؤقتة ٠٠٠ طلاق بأسرع ما يمكن

تدبيره، دون ما ضجة؟*

ارتاعت ليلي لقسوة وقع الكلمات، وحاولت ان تقنع أختها

قائلة:

*ولكنه لم يعد كذلك ٠٠٠ عندما بدا أننا منسجمان، أقترح

رويز أن نجعله زواجا حقيقيا ٠٠٠ وأنه حقيقي فعلا الآن.*

وبدت عن ستيليا حركة تنم عن أنها تجد صعوبة في الفهم

والادراك، وهتفت:

* يا للسماء يا ليلي! أي تورط فظيع وغير ضروري. أنكما لو لم تتزوجا، أو أنه ما يزال من الممكن الغاء علاقتكما! أحسب أنه من السهل الحصول على الطلاق، إذا لم تكوني واثقة تماما بصدد المستقبل... ولست أرى كيف تكونين مطلقة الثقة في هذه المرحلة؟*

وابتسمت ليلي في اعتداد، وقالت:

أنني متأكدة. ولست أريد طلاقا. قلت لك أن كل شيء تحول إلى خير وضع. ولقد أحببت رويز، ولا أريد استعادة بروس.
عضت ستيلا شفتيها، وقالت:

أموقنة أنت تماما؟ لكنك كنت مشغوفة به.
فقال ليلي:

أنني متأكدة تماما... والشغوف ليس حبا.

فرمقتها ستيلا بنظرة محيرة، فيها ما عجزت ليلي عن فهمه، وقالت:

حسنا... هذا يريك كم من أخطاء تستطيعين ارتكابها في الحياة!

بدت ستيلا مشغولة البال، حين اصطحبها رويز وليلي في السيارة بجولة. وفي ذلك المساء، سبقت ستيلا شقيقتها إلى الهبوط قبيل العشاء، وكان رويز يقف بجوار خزانة المشروبات وتقبلت منه كأسا.

ولم تلبث ليلي أن فطنت إلى أنها تأخرت، فأسرعت بالهبوط... ولما لم تعد ستيلا في حجرتها، توقعت أن تجدها في قاعة الجلوس، كانت وساوسها من ناحية أختها قد هدأت نوعا ما، منذ حديثهما بعد الظهر، لذلك صدمت إذ فتحت الباب قليلا، فسمعت ستيلا تقول بصوتها الخافت، الجميل:

يسرني أن وجدتك وحيدا يا رويز، فهناك شيء كنت أحاول قوله منذ وصولي، ولكنني كنت أرتبه... غير أن أمرا حدث بعد ظهر اليوم، جعلني أدرك ألا بد من أقحام نفسي.
وكان جواب رويز هادئا، مشوبا بالدهشة:

إذا كان هناك ما أستطيع فعله لمساعدتك، فأرجو أن تخبريني.

أنه عن أختي... وبروس.

قال بلهجة مؤدبة:

نعم؟

فصرعت تقول:

من العسير أن أتحدث في هذا... وازداد صوتها بحة.

ولم تدر ليلي لماذا لم تبادر بالابتعاد، فما كان من عاداتها التنصت على أحاديث الغير. بيد أن ذكر اسمها سمرها في مكانها، وستيلا ماضية في الحديث: لست أدري كيف أعبر ولكنك ربما تدرك الاتجاه، إذا قلت أنني أعرف ما دعا ليلي إلى الزواج منك... لترث كاراسترانو...*

وساد الصمت لحظة، ثم واصلت الحديث:

ألا تظن... أن من الغبن أن تستبقها مرتبطة بك... أعني، يبدولي أنك لا تنفذ نصيبك من الاتفاق. انها فعلت من أجلي الكثير، وأرى من واجبي تصحيح هذا الوضع.

قال في اقتضاب:

أذن أخبرتك هي بالسبب الحقيقي لزواجنا؟

ليس تماما... تصادف أن سمعتها عفوا تذكره لشخص آخر.

ومن يكون هذا الذي تحدثه في أمر شخصي بحت كهذا.

قالت "بروس" قهتف:

آه!

لو لا أن ليلي كانت مسمرة في مكانها لاندفعت إلى الغرفة في تلك اللحظة. وأردف رويز:

الرجل الذي كان خطيبها يوما؟

فاجابت ستيلا، وفي صوتها رنة ارتياح:

*نعم... أن هذا ليس شأني في الواقع، ولكنني شديدة الولوج بها، وأعرف كم كانت متعلقة ببروس يوما... ويبدو أن ستيلا تنفست بعمق إذ ذاك، ثم أسهبت في القصة التي أعدتها:

كنت في الحديقة مصادفة عندما جاء... ولم اشأ أن أقطع عليها اللقاء، فتريئت متوارية عن البصر... بودي أن أعفيك.

من التفاصيل كان لقاء جياشا بالعواطف...*

ظل رويز صامتا، بينما أستأنفت هي:

*وعندها سمعت طرفا من الحديث:

قضى رويز تلك الليلة في غرفة أخرى لأول مرة منذ أصبح زواجهما حقيقيا... وكان قد خرج عقب العشاء مباشرة لمقابلة بعض أصدقائه، وعاد في ساعة متأخرة، وفي الصباح التالي، أخبرها بأنه مضطر للعودة إلى كاراسترانو، فلما

بادرت لاعداد عدتها لمرافقته، قال بحزم:

ما من داع لذهابك معي، فلن أعيب سوى بضعة أيام.

وهمت بأن تتكلم، ولكنها تريئت، فما كانت اللحظة مناسبة للحساب، بينما كانت تعد له حاجياته، سألتها فجأة:

مناسبة للحساب، بينما كانت تعد له حاجياته، سألتها فجأة:

* لماذا لم تخبريني بأن خطيبك السابق اتصل بك؟ *
فأجابت:

* كنت أعتزم ... ولكن الفرصة لم تسنح لذلك *
فقال:

* أم لعلك لم تظني ان للأمر أهمية؟ *
قالت:

* كلا ... لم يكن ذا أهمية *.

ونظرت اليه في لوعة . كان الأمر المهم الوحيد، هو أنه لم يقبلها، وهو يتعجل الخروج للحاق بالطائرة . ووقفت تعض على شفيتها أمام الباب الخارجي للدار، والسيارة تنطلق به نحو المطار .

* * *

أطبقت عليها الوحدة الموحشة بعد ذلك . كانت هي الأخرى تود العودة الى كاراسترانو، حيث أصبح بيتا ومقرا وموطنا لها، أكثر من الدار التي نشأت فيها، لاسيما وأنه كذلك بالنسبة للرجل الذي أحبته . وتقبل الحياة معه برتابة وصداقة، دون ان تكتشف ان ذلك لم يكن حبا ماذا لو لم تأت تسبلا ... وتفتح عينيهما على الحقيقة أن رويز وليس بروس هو الحبيب الحقيقي لها !

* * *

تري أين رويز الآن؟ هل حطت به الطائرة؟ لو كانت معه لشعرت بيده تحت ابطها وهو يساعدها على الصعود درجات الشرفة الامامية للبيت . ولأحست بكل عصب في جسمها يغرد، لأن اتفه لمسة منه كانت كفيلة بأن تسعدها ... ولدخلا البهو اللطيف الجو ... وتراءت لها ذكريات لحظات هنيئة مشرقة ذكريات رويز يغادر الحمام، وبشرته البرونزية تظفر بالصحة، وشعره الاسود مبتل ومتناثر ... أو هو في بذلة السهرة، في أوج أناقته ... أو وهو ضاحك طروب، في ثياب ركوب الخيل، وذكريات الوقوف في رواق الصور تتأمل اجيال آل الدوريت، حتى تصل للمساحة الخالية، المحتجزة لأجيال مقبلة ... كان ثمة خطر في يوم ما بأن تظل خالية، ومع انه لم يكن ثمة وريث لكاراسترانو بعد، فانها كانت تشعر دائما بيقين داقي، بأنها ستخبر يوما الرجل الذي احبته، بأنه لن يكون آخر آل الدوريت ... وكان احيانا يجدها واقفة امام الصور، فيحيط كتفيها بهد ذراعيه ... وتنفرج شفاتها - دون ارادة منها - عن ابتسامه، وتخال ان عينيهما تشيان بشعورها

نحوه، كان رجح تفخر أية امرأة بحبه، وأن لم يكن قد قال يوما انه يحبها .

كان كاراسترانو نعيما خاصا بهما، ولكن، ما الذي يجري الآن؟ هل بدأ يندم على أنه سمح لزواجهما بأن يتحول من اتفاقية عمل بحت، كما كان يوما أو ترى كانت ثمة يد، بطريقة ما ... لبروس؟

* * *

وقررت في اليوم التالي ان تذهب لمقابلة بروس، خشية ان يكون رويز وقد علم بقدمه الى البيت - قد اتصل به، وأن يكون بروس قد قال شيئا يسبب مزيدا من المتاعب، ولكنها حين وصلت الى الفندق الذي كان ينزل فيه علمت انه خرج .

وعادت الى البيت، ولكن نوبة من القلق وعدم الارتياح استولت عليها، فعادت الى الخروج مرة أخرى، وراحت تسير على غير هدى ... ما كان بوسعها ان تتحدث مع أحد، حتى تسبلا ... إذ كانت اختها تلازم غرفتها طيلة ما بعد الظهر، والستائر الخضراء مسدلة وقد تولاه صداد قاس نتيجة بقائها تحت الشمس خارج البيت - وقتنا طويلا ... وعلى أية حال فان ليلي لم تعد تثق فيها أو تطمئن اليها .

شعرت ليلي بتعاسة، إذ لم يعد بوسعها ان تطمئن الى أحد ... فتابعت السير على غير هدى، تحت الشمس الشديدة، الحارة حتى أنهارت قواها ... وعندها عادت الى البيت .

أخذت ليلي تستعيد ذكرى عودتها للبيت على غير موعد في المناسبة الاولى، وقدمها غير المتوقع - في هذه المرة الذي كان مختلفا ٠٠٠ فبدلا من أن تنسحب تلقائيا، وقد شلت صدمة المفاجأة والألم تصرفها، اذا بها تتوارى عن البصر، وتصفى . كانت المناسبة في هذه المرة - مختلفة جدا . لقد أقبلت - كما حدث من قبل - من غير المدخل الامامي، اذ دخلت من الابواب المفضية من الشرفة الامامية الى الحديقة ٠٠٠ وهذا هو وجه الشبه الوحيد بين المناسبتين . ولكن ما شعرت به في هذه المرة لم يكن ألما، وإنما كان تبديدا لوهم، وبداية لقرار حاسم، وهذا ما جعلها تستمر في الأصفاء لما كانت تقول ستيتا لبروس، في ايضاح يشويه شيء من السخرية:

"أظن بأنك جدير بأن تكون اكثر سرورا ٠٠٠ فالأمر برغم كل شيء لصالحك انت الآخر ٠"

وأجابها بروس:

"قد لا أكون راغبا في أن اتردى الى المستوى الذي بلغته أنت!"

"من الذي يحفل بالوسائل ما دامت النهاية المنشودة تتحقق؟"

يجب أن تشكرني يا عزيزي . لقد مهدت الطريق فعلا، ولن يدهشني اذا ما بات بوسعك - في القريب العاجل - أن تستطيع اقناع ليلي بأن تعود الى انكلترا في صحبتك ٠

هنا قالت ليلي، وقد ظهرت في باب الشرفة:

"كلا ٠٠٠ أنك فسخت خطبتي من قبل يا ستيتا، ولكني لا أنوي أن أسمع لك فصم زواجي من رويز!"

كان من الغريب حقا ان يتمكن المرء من التحول فجأة من النقيض الى النقيض في لحظة واحدة . أن ليلي ما كانت حتى يضع دقائق مضت على استعداد لأن تصدق أي سوء عن ستيتا، أما الآن، فقد زال تماما كل وهم، وكل ما كان يحيرها، واتضح كل شيء حتى أدق دقائقه ٠٠٠ واصبحت تعرف أن بروس كان صادقا حين قال أن ستيتا كانت تعبت بهما معا، حين فسخت خطبتهما ٠

أستدارت ستيتا بهدوء، وظلت اساريرها لحظة لا تنم عن شيء، ثم عاودتها الابتسامة الهازئة ببطء وقالت دون حياء:

"أنتك مولعة حقا بالظهور في أوقات غير متوقعة يا عزيزتي ٠٠٠ أليس كذلك؟"

فأقلت ليلي بنفس الهدوء الذي لازمها حين كشفت عن وجودها:

"كان من الخير أن أظهر، في هذه المناسبة بالذات ٠"

قالت ستيتا متهكمة:

"أتقصدين ٠٠٠ أعذر من أنذر؟"

"نعم ٠٠٠ كان من المحتمل ان تنجح لو أنني لم أعرف انك التي سببت المتاعب ٠٠٠ ما الذي قلته لرويوز حتى جعلته يرحل الى كاراسترانو فجأة، على هذا النحو؟"

قالت ستيتا هازئة:

"الا تفضلي عدم المعرفة؟"

فأبتسمت ليلي ابتسامة واهنة، وقالت:

"أحسب انه كان من الافراط في السذاجة ان تخبريني من تلقاء نفسك . لكن قد يكون بوسعي ان أعرف من رويوز نفسه ٠"

وأمسكت وتوقفت لحظة، وقد زمت شفيتها في قسوة غير طبيعية، ثم اردفت:

"أنني أعني ما قلت يا ستيتا ٠٠٠ لن ادعك تفسدين زواجي!"

كانت جادة فعلا، فقد تولد العزم كاملا، ووطيدا، بمجرد ان تبينت حقيقة ستيتا، وفهمت أخيرا مدى خطأ أسرة ديرموت في اعتزازها بالابنة الجميلة ٠٠٠ النجمة الداكنة، كما كانوا يسمونها ٠٠٠ النجمة الداكنة! لقد انجلى للوصف معنى جديد، ينطوي على شؤم . ما أعجب أن العرافة العجوز كانت على صواب! ولكن أعذر من أنذر حقا، كما قالت ستيتا . ولقد عقدت ليلي العزم على النضال من أجل زواجها، مستخدمة كل سلاح يتيسر لها، ودون ما مخاوف أو تردد يذكر ٠

* * *

ومن خلال فهمها الجديد لستيتا، أيقنت ليلي بأنها ما كانت مستعدة البتة للموافقة على طلاق، لو أن اختها استغلت فتنتها وجمالها فجعلت رويوز يهيم بها . فما كان بوسع ستيتا قط أن تسعده . ولكنها كانت مستعدة لتحمل نفوره وكراهيته، والتردي في الشقاء والتعاسة، ولكنها لن تسمح له بالتعرض لتبديد الوهم مرة أخرى، اذ أن أي رجل يحب ستيتا يعرفها في النهاية على حقيقتها . على ان الوقت لم يكن قد اتسع

لتحدث ستيليا ضررا جسيما .

أدركت من خلال فهمها الجديد لأختها - ان ستيليا ما كانت قادرة ان تحب أي رجل . واذا حاولت ان تنتزع منها رويز وقد بدا انها شرعت في المحاولة فعلا - فما كان ذلك الا رغبة في ماله ومكانته ، بالإضافة الى جاذبيته كرجل . واذا كان الصراع على هذا المستوى ، فلليلي الحق كل الحق في ان تحمي زوجها والرجل الذي أحبته . ولو أن ستيليا كانت امرأة أخرى امرأة من طراز مختلف تماما فقد كان من المحتمل ألا يكون قرارها قاطعا أما مستوى الصراع فانه يقوم على الجاذبية الانثوية ، وهي نا حية كان بوسع الزوجة ان تمنح رويز اياها ، فان النضال كان من حقها ، اذ انها الى جانب ذلك كانت تحبه وكانت على استعداد لأن تفعل كل ما في وسعها لأسعاده بينما ستيليا لم تكن تفكر الا في نفسها !

وأذا كان على ليلى ان تحارب ستيليا فلتحاربها على مستواها اذا دعت الضرورة انها كانت توفر السعادة لرويز ولهذا السبب وحده ، كان من حقها ان تحارب للذود عنه أن تحارب لتستمر السعادة التي وفرتها له .

وقطع عليها أفكارها صوت ستيليا وهي تقول :

* وبعد؟ أحسبك ستطلبين أن أعد حقائبي واغادر الدار؟ *

فقالت ليلى محتفظة بهدوء صوتها :

* أظن ان هذا واضح ! *

ضحكت ستيليا في سخرية ، وقالت :

* وماذا ستقولين لرويز؟ أنك تظنين أن أختك تحاول سلبك زوجك الغني؟ *

فقالت ليلى :

* ليس لأمواله قيمة لدي . *

وعادت ستيليا تضحك ، ولكن السخرية شابها شيء من الأزدراء ، وقالت :

* أنني أكاد اصدقك انك من الغيبات اللائي يتدلهن في حب رجل دون ان يحفلن بأمواله . *

وسارت الى الباب ، ثم وقفت لتقول :

* يحسن بك ان تعودني نفسك على الرضا ببروس ، لأنني اعترم ان أفوز برويز . *

فردت ليلى دون أن ترفع صوتها ، محتفظة بهدوئها :

* وأنا اعترم ألا أمكنك من تحطيم زواجي . *

قالت ستيليا في غرور وغطرسة :

* تظنين أن في وسعك ان تنازليني؟ *

* سأحاول . أنك لا تملكين سوى الجاذبية . ولو دعت الضرورة فسانازلك في مجالك . أنني لست بشعة . وزواجي من رويز عرفني بهذا . *

قالت ستيليا هازئة :

* أذن ، اتمنى لك حظا * ولوحت بيدها ، ثم خرجت .

وقفت ليل حيث كانت ، وبدأت تشعر بالبرودة . كانت خائفة بالرغم مما قالت ، فان ستيليا كانت جميلة ، وما كانت تتورع في شيء ومهما يكن ، فان رويز كان رجلا وله عواطف مشبوهة وتذكرت ما قاله رويز يوما :

* أننا معشر ابناء المكسيك أوتينا دما أسبانيا ، وقد نكون كما تزعم الدنيا أسهل من سوانا أستنارة في الناحية الحسية ، وفي هذه الناحية سيعتبر مجهود ستيليا بطبيعة الحال ! *

* * *

هتف بروس ل ليلى بعد انصراف أختها ، بصوت خافت :

* ما كنت احسبك أوتيت هذه الجرأة يا ليلى ، وأمسك رسغيها فجأة ، وهو يقول :

* ولكنك لا يمكنك ان تفوزي وضد ستيليا بالذات ! *

فقالت بهدوء :

* بوسعي ان أحاول . *

شد قبضته على معصمها ، وقربها اليه قائلا :

* الامر لا يستحق المحاولة . لندعها تحظى به . كنا سعيدين يوما وبوسعنا ان نسعد من جديد . *

فدفعته بحركة لا أرادية ، قائلة :

* لقد انتهى هذا وعفا عليه الزمن . *

قال : * لا داع . ستيليا لا تتورع عن شيء ، ومضى في حديثه : أنها ستتهدي الى طريقة كي تفوز في النهاية لو جئت معي الآن ، فستعفين نفسك من كثير من الشقاء . *

* لن أدعها تفوز . سأهتدي الى طريقة كي امنعها . لا بد من ذلك فأنا أحب رويز وهي ستشقيه لو فازت . *

واكفهر وجهه فجأة ، وأصبحت قبضته مؤلمة ، وبحركة سريعة ضمها اليه ، وقد أثاره عدم أكثراتها فجأة . وتمتم وهي تناضله :

* ليس ممكنا أن تحببه . انك تحبينني . انكلم تتزوجيه الا بسبب ستيليا ، كما قلت وسأبرهن لك على ذلك . *

وزاد من هياجه ان حاولت التملص منه . ولكنه كان

أقوى من مقاومتها ٠٠٠ واذ كانت قد احتاطت الى ما يثبت مدى شفائها من افتتانها به فقد وجدت اثبات في هذه اللحظة . وشعرت بأن قبلته تثير اشمئزازها فعلا !

في تلك الاثناء ، كانت ستيليا تقف في البهو ٠٠٠ اذ فتحت الباب الامامي فجأة ، ودخل زوج أختها الطويل الاسمر . وأوما لها برأسه ايماءة خفيفة ، وارتسمت على شفيتها الابتسامة الخادعة ، الساحرة . ولما أغلق الباب ، وتقدم في البهو ، تحركت بسرعة ، متظاهرة بأنها تود أن تعوقه عن الحجرة التي خرجت منها . وقالت :

" أرجو ألا تدخل . "

فضاقت حدقتها وهو ينظر اليها ، وسألها في حدة وأقتصاب :

" لماذا؟ "

" لأن بروس هناك ٠٠٠ مع ليلى . "

وفي هذه المرة ، اتجه رويز الى الحجرة بحدّة ، دون ارادة منه تقريبا ٠٠٠ فأمسكت بذراعه قائلة :

" أرجوك ٠٠٠ يجب ألا تغضب . لقد أخبرتك قبل رحيلك ٠٠٠ "

وكان قد وقف ، وقالت بعد لحظة صمت :

" هل فكرت فيما قلت؟ "

وواجهها ، ودفع يدها عن ذراعه فجأة ، وكأنها قبضة سامة وقال :

" نعم . ولكن عليك أن تدعي حياة زوجتي وحياتي ندبرها معا . وهناك أمر آخر ٠٠٠ أرجو أن تلتمسي عذرا لمغادرة بيتي . أن كرم الضيافة تقليد اسباني ، ولكني مضطر لأن أخرقه الآن . أنني لا أود أن أقول لزوجتي أن أختها غشاشة ، كاذبة ، لا قلب لها اطلاقا ، تحاول أن تفسد حياتها ، كما حاولت مرة - من قبل - في انكلترا ، لمجرد اللهو والتسلية . "

فهمت بالكلام ، ولكنه أسكتها ، وأستانف حديثه :

" أظنك تفهمين ٠٠٠ وهناك أمر آخر . هذا ال بروس ٠٠ لا أدري اذا كنتما دبرتما هذا بينكما ، ولكني أود أن تفهمي كذلك أنني لن أسمح . لزوجتي بالعودة اليه ، مهما تكن الظروف ، سألتني ان افكر فيما قلته لي ، ولقد فكرت ٠٠٠ انني لا اصدق انها تحبه ، ولن ادعها - على اية حال - ترحل مع رجل تركها يوما من اجل امرأة مثلك . والآن ، اسمحين باتخاذ الاستعدادات لمغادرة الدار؟ "

وأحنى رأسه في تحية موجزة ، ودخل الغرفة ٠٠٠ ووقفت ستيليا لحظة ، حائرة مرتبكة ، ثم أضلم وجهها وثييدا

بالغيظ والقهر ٠٠٠ وتحولت مسرعة تصعد درجات السلم .

★ ★ ★

اغلق رويز الباب ، ووقف لحظة ووجهه الاسمر لا ينم عن شيء ٠٠٠ ما كان ليدخل في لحظة أسوأ من تلك ومع ان ستيليا أدركت أنها قد خسرت المعركة قبل أن تبدأ ، فانها كانت تشعر بارتياح خبيث ، لو قدر لها ان تشهد هذه اللحظة ٠٠ فمع دخول رويز كان بروس يقبل ليلى ا على ان ارتياح ستيليا ما كان ليديم طويلا ، لأن الواضح ان ليلى كانت مكرهة ، غير راغبة ، وما ان تمكنت من تخليص احدي يديها ، حتى وجهت لكمة لمعدة بروس وهي مهتاجة ٠٠٠ وانحنى بروس وهو يشهق ألما ، واذ بصوت رويز ينبعث في اعجاب واضح :

" انك تخالفين كل توقع يا عزيزتي . فالمعناد ان تواجهي اللكمة الى الأذنين ! "

وأستدارا ٠٠٠ كان وجه ليلى شاحبا ، وبدا بروس مرتبكا ، مخرجا متوجسا في أن واحد . وانحنى رويز في تحية مقتضية ، وقال في هدوء :

" لا أعتقد اننا نقابلنا من قبل ، ولكني لا أجد داعيا للتعارف . "

" أنني ٠٠ بوسعي ان أوضح . "

أتعني انك كنت تنهيا للانصراف؟ من المؤسف أن يكون تعارفنا قصيرا الى هذا الحد ، ولكننا نقدر رغبتك في الرحيل على الفور . "

وشهق بروس وغادر الغرفة وهو يكاد يجري . وتابعه رويز وعلى وجهه الاسمر الجميل لمسة من السرور ، وقال متفكها :

" أنني كواحد من آل آدوريت أعتبر نفسي شديد السيطرة على أعصابي . ولعل هذا ورثته عن الجانب الانكليزي في دمائي ! "

همت ليلى بالتقدم اليه ، باسطة احدي يديها ، ثم توقفت لا تدري كيف تتصرف ٠٠٠ فبعد النسوء الذي أحدثته ستيليا ، كيف يتسنى لها ايضاح ما حدث ٠٠٠ دخوله الحجرة ليري رجلا يقبل زوجته ٠٠٠ والآنكى ان الرجل كان خطيبها السابق !

أبتسم رويز فجأة ، تلك الابتسامة الوضاعة ، هل كان يظن انني ادعك ترحلين معه؟ "

فتشبثت بذراعه وهتفت :

" أنني لا أريد الرحيل معه . يجب أن تصدقني . أنني لا أدري ما قالته لك ستيليا ، ولكنه أكاذيب ! "

" أنني اصدقك ، ولكنني لا أظن أنني كنت مستعدا لأن أتركك ترحلين ، ولو كنت راغبة في ذلك ! "

وشعرت ليلي بهزة سعادة جديدة تسري في كيانها ... بعد أن بدأت ستيتلا ودسها الخبيث يتلاشيان .
وتساءلت لماذا؟ ولكن الغزيرة وشهور السعادة التي قضياها معا ، سبقته الى الاجابة ، وهو يقول:

"لأن الرجل لا يفرط في المرأة التي أحبها دون نضال . وفي اللحظة التالية ، كانت بين ذراعيه ، وقبلتهما المتبادلة تعبر عن الحب الكامل ، وعن ثقة كل منهما بالآخر ، وأدركت ليلي أذ ذلك انه لم يكن ثمة شيء من ستيتلا في الواقع لأن شهور المعاشرة ولدت بينهما شيئا لا يمكن تدميره أبدا !

أبعدها رويز ونظر الى وجهها بعينه السوداوين الدافئتين ، كما يفعل أي رجل حين يريد معرفة متى رفعت حبيبته الى مقام كل الرجال ... وابتسمت ليلي قائلة:

"لقد حدث ذلك منذ زمن بعيد ، ولكنني لا أحسبني أدركت عن بينة ما كان يعتريني الا حين سألتني أن أهيك رويثا لكاراسترانو ، فأدركت أن كل ما قلته لك بصدد تحاليلك على شروط الوصية ، إنما صدر في الواقع عن رغبة في عقلي الباطن في أن يكون زواجنا حقيقيا . كنت أخدع نفسي بكل حديثي عن كاراسترانو ..."

فضحك بلطف ، ضحكة الرضا الكامل ، وقال:

"أحسبني بدوري كنت أخدع نفسي . ومع ذلك فلا بد أنني كنت أريدك دائما زوجة الى نهاية العمر !"

"لكنك كنت تقول اذ ذلك أنك لا تؤمن بالحب؟"

"كنت أحمق . فالرجل الذي لا يحب لا يكون مكتمل الحياة !
وكذلك أية امرأة ."

"أذن فنحن متفقان على أننا مكتملا الحياة !"

وابتسمت عيناه السوداوان ، ثم اختفت الابتسامة فجأة ، وبدا جادا وهو يقول:

"لقد ذكرت أختك منذ لحظة ... هناك ما تبغيه أن تقوليه عنها؟"

فغضت ليلي بصرها ، وقالت:

"كلا ... ليس الآن . ذلك أن ستيتلا لم تعد في وضع يتيح لها إثارة المتاعب ، فما من حاجة لأن يعرف رويث حقيقة اختها ، ومدى ما سمعته هي نفسها عفوا . وأمسك بذقنها ورفع وجهها وراح يتفرس لحظة في محياها ، ثم هز رأسه . وقال:

"أظنك عرفت أخيرا حقيقتها !"

فانفجرت شفتاها دهشة ، وهتفت:

"أكنت تعرف يا رويث؟"
"عرفت من البداية . ولا أظن أنك تنزعجين ان تعرفي أنني سألتها أن ترحل !"

فضحكت ليلي قائلة:

"سألتها أن ترحل؟ أنني أمرتها بذلك قبل أن تفعل !"

فابتسم قائلا:

"ما أظيب أن نتشابه في تفكيرنا !"

"تشابه؟"

كانت ليلي مستعدة لأن تنازل ستيتلا في المجال الذي اختارته ، والآن يبدو أن رويث عاد من كاراسترانو وقد عقد عزمه على ألا يدع زواجهما ينهار . وسألته:

"ولكن ، إذا كنت عرفت حقيقة ستيتلا من البداية ، وأدركت أنها تحاول عن قصد أن توقع بنا سوءا ، فلماذا رحلت الى كاراسترانو على النحو الذي حدث؟ ألم يكن رحيلك بسبب شيء قالت؟"

"رحلت لأنني كنت أعرف أن في ما قالت قدرا كبيرا من الحقيقة ، وبالرغم من جهودها كي تلوي هذه الحقيقة لتناسب اغراضها ."

وتوقف مقطبا جبينه قليلا ، ثم أستأنف الحديث:

"أنك عندما تزوجتني ، كنت تحبين ذلك الـ ٠٠ بروس ."

ونطق الاسم في أزدراء غاضب ، تحول الى ابتسامة اذا رفعت يدها تخفف عنه ، فأمسك اليد وطبع على كفها قبلة ، وهو يتابع الحديث:

"ولقد أقنعتك بأن نجعل زواجنا حقيقيا ، وبدا لي أنك سعيدة ، ولكن أختك ما لبثت أن جاءت ، وأخبرتني بأنك ما زلت تحبين بروس ، وبأنه كان يعلم أن زواجنا زواج عمل - أو هكذا كان - وبأنه جاء الى المكسيك ليحاول أن يستردك ، ولكنك صدته بسبب ولاء نحوي نشأ عن اعتقاد خاطيء . وبدا ان في هذا قدرا من الحقيقة . واكتشفت - في تلك اللحظة - كم كنت قد خدعت نفسي . لم يكن ما بيننا مجرد تكافؤ عقلي وقدر معين من الجاذبية الجسدية ، بل أنني كنت أحبك ..."

وفوجئت بفكرة احتمال ان اضطر الى التخلي عنك . كنت تبدين سعيدة معي ، ولكنني لم أكن عرف ما اذا كنت - تحت هذا الظاهر - تحنين الى ذلك الرجل في أنخلترا . لهذا عدت الى كاراسترانو لأحاول أن أصل الى قرار . ولكنني خم أكن بحاجة الى أن ابحت عن الحقيقة في كاراسترانو ..."

كانت الحقيقة تحيط بي هناك... ذكريات سعادتنا، فأدركت
اننا ما كنا نسعد بهذا القدر ما لم نكن متحابين*
كانت ليلة واحدة هناك كفيلة بأن تخبرني بالحقيقة. لعلك
لم تتبينني هذا، ولكني موقن منه، لهذا عدت معتزما أن
ارفض التفريط بك، حتى لو سألتني أن أحلك من زواجنا!
كنت على يقين بحيث أنني كنت على استعداد لأن أواجه
الشقاء الى فترة... الى أن تتبينني أنك انما تنعمين لي، وأن
الآخر كان مجرد بقايا راسبة من تعود قديم... تعود الظن
بانك تحبينه!

ضحكت ليلى، وقالت:

*تعود! كحذاء قديم نسيت أن ترميه ما كان أشد أسى بروس
لو أنه سمع هذا الوصف. ومضت تقول*
*ما شعرت الا بتوتر عصبي من الضيافة التي أحدثها... ثم
بالخوف، حين تبينت ما كانت عليه ستيتلا حقا، وما كانت
تحاول أن تفعله*.

وتوقفت لحظة، وهي تهز رأسها في عجب، ثم أردفت:
*أليس غريبا أن تساورنا معا فكرة واحدة؟ أنك كنت مستعدا
لاحتمال كراهيتي اياك لفترة، ولكنك كنت ترفض ان تدعني
أعود لبروس... كذلك كان شعوري أنا ازاء ستيتلا*
قال في هدوء:

*ليس غريبا، في الواقع. فكل منا يعرف أنه مرتبط بالآخر،
ويؤمن بهذا كل الايمان بحيث أنه على استعداد لاحتمال أي
شيء آخر. لعل قدومها الى هنا كان ضروريا، حتى نعلم مدى
قيمة كل منا للآخر!*

وشدها الى احضانه ثانية، ومضى يقول:

*والآن... لننس كل شيء عنها. فلن تلبث ان ترحل عن الدار
بعد قليل، وسنعود الى كاراسترانو معا*
العودة الى كاراسترانو الى السعادة الكاملة والدائمة!
وابتسمت ليلى له، مدركة أن زواجهما الذي بدأ على ذلك
النحو الغريب، واحتجاز بحارا غريبة قد بلغ أخيرا المرفا الذي
ينشده كل أمرى*.

وغربت... النجمة الداكنة من سماء حياتهما!